العدد
١٩
جمادى الاول
جمادى الثاني
١٤٤٧هـ
تشرين الاول
تشرين الثاني
٢٠٢٥م

الانتظار

الأمنُ المهدويُّ في مواجهة الانهيارِ والتفككِ في منظومةِ الأمنِ الاستكباريِّ

- قيادةُ المرحلةِ من قِبَل الصالحين
- كيف تُطيل العمالة لإسرائيل زمنَ الغيبة؟
- منتظرونَ في الزمنِ الأخير
- القيادة الغربية المُصابة

www.alentedhar.com

من نحن

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الانتظار مجلة تعنى بالقضية المهدوية فكراً وسلوكاً ورواية وحدثاً وهي وقف للإمام المنتظر عليه السلام. وهي لا تتبع أي حزب ولا جماعة، وإنّما تهدف أن تساهم في تعميق فكر الانتظار والدفع باتجاه تجسيد التيار المهدوي الذي نتمنى أن يأخذ على عاتقه توظيف الجهود المبذولة من قبل أحباب الإمام المنتظر وعشاقه وتنسيقها من أجل إحياء أمر الإمام (أرواحنا فداه) والتذكير به والإسهام بتأهيل الأمة من خلال نطاق القلم المهدوي ومناهضة كل الأفكار التي تخدش بقداسة وشأنية القضية المهدوية أو تنتحل كذبا وزوراً أي من واجهاتها ورموزها، مستهدين بذلك برأي علمائنا الأعلام ومراجعنا الهداة، ونأمل أن يتم الانتباه للأمور التالية:

أولاً: المقالات المنشورة تعبّر عن رأي كاتبها، وهي لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة وإدارتها.

ثانياً: إن ترتيب المقالات يخضع للاعتبارات الفنية البحتة، ولا علاقة له بشأنية كتابها.

ثالثاً: الكتابة في المجلة متاحة لجميع أحباب الإمام المنتظر (عليه السلام) شريطة أن يستوفي الشروط العلمية والتربوية المعتمدة في هذا المجال.

رابعاً: لا شأن للمجلة بالأحداث السياسية في أي بلد إلا بمقدار تعلقه بمسار القضية المهدوية.

خامساً: المجلة تنتشر ألكترونياً، وبمقدار ما يتاح لها من إمكانات تطبع ورقياً.

سادساً: لا تمانع المجلة من أن يستخدم أي محب للإمام المهدي (عليه السلام) موادها الفكرية التي تنشرها.

سابعاً: تنشر المجلة أفكار المختصين بالقضية المهدوية حتى وإن اختلفوا فيما بينهم، فإننا نعتبر الاختلاف في هذا المجال أمر صحي يتيح للمتابعين سعة في الأفق وعمقاً في التدبّر.

ثامناً: يتولى شأن المجلة التحريري والفني والإداري عدد من مشرفي مجاميع منتظرون ومنتظرات للحوار المهدوي الناشطة في برنامج التلكرام.

تاسعاً: نرحب بأي اسهام او مشاركة لرفد ودعم المجلة .

عاشراً : تصدر المجلة عن مركز براثا للدراسات والبحوث (بغداد . بيروت)

المحتويات

كلمة العدد ٤
نهج العلماء ٧
الأمنُ المهدويُّ في مواجهة الانهيار والتفكك في منظومة الأمن الاستكباريّ ٩
كيف تُطيل العمالة لإسرائيل زمنَ الغيبة؟ ١٢
أبعادُ الانتظار ١٤
الانتظارُ الإيجابيّ وحقيقته البنّاءة رغم امتلاء الأرض بالظُّلم ١٦
الانتظارُ السلبيُّ عند اليهود ١٧
مؤسّسة الانتظار والعلاقات العامّة ١٨
توظيفُ الإعلام في عمليّة التمهيد للظُّهور المبارك ٢٠
المنهجيّة الموضوعيّة في فهم القضيّة المهدويّة ج٣ ..... ٢٢
قيادة المرحلة من قِبَل الصالحين ٢٤
كشافة الانتظار في العراق أنموذجٌ مهدويٌّ حيٌّ ٢٦
سلمانُ المحمديّ ناصرُ المهديّ ٢٧
فطريّة الدّين والعقيدة المهدويّة ٢٨
بابُ حطّتكم أفضل من باب حطّتهم ٣٠
التّمهيدُ في أفق الانتظار ٣٢
أسسُ هويّة المُنتظر في دعاء العهد ٣٤
القيادة الغربية المُصابة ٣٥
التعايش المؤدلج ٣٦
الأمل المهدويّ، ضرورةٌ نفسيّة ٣٨
الخروج عن دائرة التأثير الإيجابي ٣٩
منطق الترابط في علامات الظهور: قراءةٌ سُنَنيّةٌ في ضوء نظريّة الاحتمالات ٤٠
منتظرونَ في الزّمن الأخير.. ..... ٤٢
ضوء على مفهوم الغيبة (الحلقة الثانية) ٤٣
الحكومة الحقيقيّة ٤٥
السياسة الترامبية: حاضرُها ومُستقبلُها ٤٦
ضَرورةُ التّماسُك ٤٨
ثقافة الاقتدار في زمن الانتظار ٥٠
المناعة الفكريّة في ساحة الانتظار ٥١
الجهل المتقَن ٥٣
هندسة وعي الجماهير ٥٤
التقاليد العشائرية وتوجهاتها المهدوية ٥٦
مُمارسة التّمهيد قدر المستطاع ٥٧
القلمُ المهدويّ ٥٩
هل يمكنُ للذكاء الاصطناعيّ أن يكونَ جنديّاً في جيش الإمام المهديّ؟ ٦٠
المُنتظرون والحضارةُ المادّية ٦٢
الأسئلة والأجوبة المهدوية ٦٣

الأحداثُ المعاصرةُ وعلاماتُ الظهورِ: قراءةٌ تحليليةٌ وتحذيريةٌ

كلمة العدد

بسم الله الرّحمن الرّحيم. الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد، وعلى الهداة الميامين من أهل بيته الطيبين الطاهرين. لا سيما بقية الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، ونسأل الله أن يوفّقنا لأن نكونَ من الثائرين لحقّهم مع إمام منصور من أهل بيت محمد (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين).

ينشغلُ العالمُ في الآونة الأخيرة بجملة من الأحداث المتسارعة، والتي تتسمُ في كثير من الأحيان بطابع صادم لم يألف الناسُ لهُ مثيلاً منذُ عشرات السنين، وبيد أنّ ما يعنينا من هذه الأحداث، على أقل التقادير، هو ثلاثة اتجاهات تتقاطعُ مع المسار المهدويّ وطبيعة ما جاء في حنايا هذه القضية المباركة: ـ وأعني بذلك الأحداث المرتبطة بإيران، وتلك المتعلقة بالشام، وكذلك الواقعة في أوروبا ـ وفي هذا السياق، فإنّ مروياتنا حينما تحدثت عما نصطلحُ عليه اليوم بـ (علامات الظهور) لم تذكرها من باب الترف الفكريّ أو السرد القصصيّ، بقدر ما أوردتها لتكونَ معالم دالة في قضية يُرادُ منها أن تبعث فينا الأمل؛ إذ أنّ الأجواءَ العامة تلقي علينا ظلالاً من اليأس والإحباط، خاصة في زمنٍ أصبحَ فيه الخداعُ، حتى في الأحداث الكبرى، سمة من سمات العصر.

فيمكنُ للمرء أن يرى المشهدَ المتعلق بـ (جرينلاند) مثلاً، أو المفاوضات الأمريكية مع الأوكرانيين والروس، ويفهمهُ في سياق معين، ولكن، مَن يضمنُ أنّ هذا السياق هو الحاكمُ الحقيقيُّ على مجريات الأمور؟ ومَن ذا الذي يجزمُ بأنّ السعيَ الأمريكيَّ للضغط على الأوكرانيين للتنازل عن أراضيهم لصالح الروس، وإقناع حلف (الناتو) بأنّ الخطرَ الروسيَّ قد أصبحَ على الأبواب، ومن ثمّ المطالبة بـ (جرينلاند) لإعادة التحالف ضدّهُم، هو الوجهُ الحقيقيُّ للأحداث؟

وبالنسبة لنا، تأتي هذه الروايات بعد التثبت من وثوقها، أو ورودها في كتب يمكنُ اعتبارُها في مجملها، وذلك لأنّ مثل هذه المرويات، في غالبيتها، تنتقي فيها المصالحُ الشخصيةُ للرواة؛ إذ هي تتحدثُ عن المستقبل، والراوي إذا أرادَ منفعة عاجلة، عادةً ما تكونُ حساباتُه آنية، فإذا كانت الروايةُ منقولةً لأزمنة بعيدة، تنتفي إلى حدٍّ كبير دواعي الكذب لدى الرواة، بالشكل الذي يدفعُهُم إلى افتعال صورة مزيفة ونسبتها إلى الأئمة (صلواتُ الله وسلامه عليهم) إلا أن يكونَ الأمرُ مرتبطاً بسياسات ذات طابع عامّ، رسمت خطاً بعيدَ المدى، كما هو الحالُ في الروايات التي تُروى لتهويل شأن السفيانيّ أو الدجال وما إلى ذلك من الأمور التي يمكن أن يُلحظَ فيها مرتسمٌ بعيدُ المدى، يُرادُ منهُ إلقاءُ الرعب في نفوس خصم يصارعونَهُ، ويسعونَ لإحباطه إلى أمدٍ بعيد، باعتبار أنّ الصراعَ ممتدٌ ومستمرٌ.

وتكمنُ إحدى الآفات في أنّ المؤمنَ، على الرغم مما يُعهَدُ فيه من اتزان ووقار، قد ينزعُ عند مداهمة الأحداث لهُ -إما لفورة عاطفية أو لحالة إحباط غامر- إلى تفسير هذه العلامات وفقاً لأهوائه، أكثر من تأويلها بمقتضى مواصفاتها الموضوعية والشرائط المرتبطة بها، وقد رأينا في الأيام الأخيرة كيفَ أنّ الحديثَ عن (فرقيسيا) قد أخذَ بهذا المنحى، حتى إنّ بعضَ الإخوة -وللأسف- قد اتجهَ إلى عملية (التشخيص) والتطبيق على الوقائع، وكلّ ذلك نتيجة للتفاعل العاطفيّ الذي سواءٌ أكانَ سلبياً أم إيجابياً، فإنّ مآلهُ أن يُوقعَ المؤمنينَ في مأزق تجرُّ عليهم المشاكل، أو تحولُ دونهم ودون رؤية الموقف الحقيقيّ، فيفقدونَ بالنتيجة البوصلة.

كثيرونَ كانوا يتحدثونَ عن أنها (هي هذه) ثمّ خمدت الأحداثُ فترةً، فأصابتهم حالة من الإحباط، إننا لسنا بحاجة إلى هذا ولا ذاك، ولسنا مكلّفين بأن نُطبّقَ العلاماتِ بحذافيرها، فليس هذا من شأننا، ومَن لم يلتزم بهذا الحدّ، وأرادَ أن يفسرَ الأمورَ على غير بصيرة، فإنه يقعُ في مشاكلَ متعددة ولا يصيبُ الهدفَ بأيّ صورة من الصور، فمع أنّ الأحداثَ آتيةٌ لا محالة، وستطرقُ أبوابَ الناس جميعاً، إلا أنّ استعجالَ البعض في الجزم بأنّ هذا الحدثَ بعينه هو ما أشيرَ إليه في روايات الأئمة، هو أمرٌ لا طائل من ورائه، لا علماً ولا واقعاً، فما الداعي لأن يورطَ المرءُ نفسَهُ، والأدهى من ذلك، أن يورطَ روايات أهل البيت (عليهم السلام) فيقوّلها ما لم تقل؟

وقد سبقَ لي أن أشرتُ إلى أنّ قضيةَ التشخيص، حتى في أحسن حالاتها وأرقى صورها، تبقى معنونة بعنوان الظنون ومفتقرة إلى اليقين، فلا يمكنُ لأحد أن يجزمَ بأنّ هذه الواقعةَ هي تلك التي أشارَ إليها المعصومُ (صلى الله عليه وآله) وكما هو معلومٌ، فـ ((إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً))

وعوداً على طبيعة هذه الأحداث وعلاقتها بالقضية المهدوية، يمكنُ التوقفُ عند قول الإمام الباقر (عليه السلام) في حديثه عن أهل المشرق وما سيفعلونَ: ففي الرواية إشارةٌ إلى حملهم لسيوفهم ووضعها على عواتقهم، لكنّهُ يشيرُ أيضاً إلى أنّهم (لا يدفعونها إلا إلى صاحبكم) فلماذا هذا الوصفُ؟ ولماذا الإشارةُ إلى أنّهم لا يسلمونها؟ إنّ هذا الاستثناء يقتضي وجودَ جهة تريدُ أن تستلبَ منهم هذا السلاحَ، ولذلك تأتي الروايةُ لتؤكدَ على أنّهم لن يسلموا هذه السيوفَ إلا لإمام الزمان (صلوات الله وسلامه عليه).

ويحتملُ هذا المقطعُ من الرواية أبعاداً متعددةً في تفسيره: فتارةً يشيرُ إلى قرب الأمر من زمن الإمام (روحي وأرواح العالمين له الفداء) وهو ما تؤكدُهُ تتمةُ الرواية: (أما إني لو أدركتُ ذلكَ لاستبقيتُ نفسي لصاحب هذا الأمر)، وتارةً أخرى، يُفهمُ في سياق ما سبقهُ في الرواية من أنّهم (يعطَونَ ما سألوا فلا يقبلونَه) وبناءً على هذه المعادلة، فإنّ وضعَهُم لسيوفهم على عواتقهم لا يعني انتهاءَ القضية، بل إنّ قولَه: (ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم) يشيرُ بوضوح إلى وجود مماحكات وإثارات متعلقة ببقاء هذا السلاح في أيديهم، ووجود مَن يريدُ أن يستحوذَ عليه.

ومقتضى ذلك على مستوى الأحداث الفعلية، أنّه إذا طالبت مجموعةٌ بالحقّ فلم تُعطه، ثمّ طالبت فلم تُعطه، ثمّ طالبت فقبلَ خصومُها أن يعطوه، ولكنّ تدخلَ طرف آخر جعلَهُم يرفضونَ ما أُعطيَ لهُم، فمعنى ذلك أنّ قوةَ الطرف المقابل لم تبطل بعدُ، فالذي كانَ يمنعُهُم من الحقّ، وإن قبلَ بإعطائهم إياهُ قبلَ دخول الطرف الثالث الذي أطاحَ بعملية التوافق، لم ينته الأمرُ معه، ولكنّ هؤلاء القوم، حينما اشتدّ عودُهُم فعادوا إلى المطالبة وأرغموا الطرفَ المغتصبَ على الإذعان، قد نمت لديهم أيضاً قوةٌ وقدرةٌ وإرادةٌ، بحيث يستمرونَ في خطّ مقاومة هؤلاء الغاصبين والمعتدين، هذه المآمةُ سريعةٌ في طبيعة ما تحدثت عنهُ الرواياتُ الشريفة، ومما يعضدُ هذه القضيةَ أننا سنجدُ خطاً متنامياً لنموّ هذه القوة.

يتمثلُ الخطُّ الأول في تحول رايتهم إلى إحدى الرايات الإقليمية الأساسية عشية الظهور: فعندما نقولُ بوجود ثلاث رايات تتسابقُ فيما بينها، تكونُ إحداها رايةَ الخراسانيّ التي تُقدَّمُ بصفتها منقذة لا مستهدفة، بل هي التي تستهدفُ الآخرَ، وكونُهم يأتونَ من خارج حدود العراق إليه في وقت يشهدُ فيه غزواً، فلا شكّ ولا ريبَ أنّ قوّتَهُم قد نمت وتحولت من قوة محلية إلى قوة إقليمية.

أما الأمرُ الآخرُ، وهوَ ما يذكرُهُ بعضُ الإخوةِ القدامى، فقد تساءلنا: لماذا ثلاثُ قوىً فقط؟ وأينَ القوةُ الكبرى المتنفذةُ في المنطقة؟ ولماذا لا يُشارُ إلى الرايةِ الغربيةِ صاحبةِ القرارِ الأول؟ والجوابُ أنها تحتاجُ إلى تحالفٍ يأتي من الخارجِ، لا من داخلِ المنطقة، وهذهِ القوى الحليفةُ غيرُ موجودةٍ في المنطقةِ بعنوانِها المباشرِ، وإلا لأصبحت رايةً كبقيةِ الرايات ولتمت الإشارةُ إليها.

بل أكثرُ من ذلك، حينما نرى حديثَ (مارقةِ الروم) الذي يشي بأنَّ الصهاينةَ سيضعفونَ ضعفاً كبيراً في مستقبلِ الأيام، فيأتي هؤلاءِ ليعينوهُم، ثمَّ لا نجدُ لهُم أثراً بعدَ هذا الحدث، ولكنَّ القدرَ المتيقنَ أنَّهُ سيقعُ ذلكَ حربٌ بينَ الروم أنفسِهم، كل هذا يشيرُ إلى أنَّ المجموعةَ المشرقيةَ تتقوى في الوقتِ الذي تخوضُ فيهِ صراعاً يتطلبُ تحشداً من الطرفين، والمفترضُ في المعاركِ المعاصرةِ، التي دخلتها عناصرُ غيرُ السلاح، أنها تجسدُ ما أشارَ إليه الأئمةُ (عليهم السلام) بمنطقِ انقلابِ المعايير، حيثُ يُصدَّقُ الكاذبُ ويُكذَّبُ الصادقُ، وما إلى ذلك من جملةِ الرواياتِ الواردةِ في هذا المجال.

وفي حديثِ الصيحةِ المباركةِ، إشارةٌ إلى أنَّ هناكَ صيحةً يسمعُها كلُّ العالم، فيتجه الناسُ إلى الإقبالِ على الإمامِ (عليه السلام) ثمَّ في اليومِ التالي تحدثُ صيحةٌ أخرى من شياطينِ الأرض، تكذبُ الصيحةَ الأولى، ومؤدّى ذلكَ أنَّ المعاركَ التي تُثارُ في تلكَ الفترةِ ليست معاركَ سلاحٍ فحسبُ، وإنما هيَ معاركُ العقول، أو ما نسميه اليومَ بـ (حروبِ السيطرةِ على الأفكار) أو (الحربِ الناعمة)، فإذا كانَ الأمرُ بهذهِ الطريقةِ وهذا السجالُ سيستمر، وهذا الصراعُ سيستمر، وفي الروايةِ دلالةٌ على أن العاقبةَ والنهايةَ ستكونُ للمؤمنينَ مهما فعلَ العدو.

ويتحصّلُ من ذلكَ إشارةٌ ضمنيةٌ مؤكدةٌ بأنَّ الإمامَ (صلواتُ اللهِ وسلامه عليه) يريدُ تنامي القوةِ والقدرةِ على نحوٍ يمكّنُ أنصارَه و المطالبينَ بالحقِ من الوقوفِ غيرِ مكتوفي الأيدي، بل في مواجهةِ العدوِ والظلمةِ و المستكبرين، وعدمِ الإذعانِ لشروطِ قوّتهم.

فالمستكبرُ قد رسمَ اليومَ معادلةً ضخمةً، تقيّدُ أموالَ الشعوب، و تتحكمُ في مصائرها، و تحدُّ من حركةِ الناسِ، كلُّ ذلكَ تحتَ دعوى الحريةِ، و ادّعاءِ تحريرِهم من أيِّ نمطٍ من أنماطِ العبوديةِ، في حينِ قد اتضحَ جليّاً أنَّ كلَّ هذا الخطابِ عن الحريةِ والتعبيرِ والديمقراطيةِ ونحوِها، قد نُسِفَ بحركةٍ واحدةٍ من رئيسِ الإدارةِ الأمريكيةِ آنذاك، الذي ألغى كلَّ هذهِ الأفكارِ التي كانت تُستخدمُ -إن صحَّ التعبير- بمثابةِ حصانِ طروادةَ للسيطرةِ على الشعوبِ إذ طالما تحدثوا عن الشعوبِ التي لم تختر الديمقراطيةَ ووجوبَ تحريرِها، إلى آخرِ تلكَ الدعاوى التي تهاوت جميعاً خلالَ أشهرٍ قليلة.

ونحنُ اليومَ لا نزالُ أمامَ مفترقِ طرقٍ: فالتهويلُ الإعلاميُّ قائمٌ، والإثاراتُ المتعددةُ موجودةٌ بشأنِ المناطقِ الثلاثِ: إيران، والشام، وأوروبا، وقد سبقَ أن حدثنا أئمتُنا (عليهم السلام) عن هذهِ النقاطِ الثلاث، التي إن لم ننتبه إلى طبيعةِ ما أشاروا إليه، فلن نستطيعَ رصدَ الخطوةِ القادمة، مع إنه قد بات واضحاً أنَّ ما يجري في أي دولةٍ يمكنُ أن يؤثر على دولٍ أخرى بعيدة، فقد أصبحَ العالمُ قريةً واحدةً وما يحدثُ في أي مكانٍ يمكنكَ أن تحسبَ حسابه لما قد يقعُ عليك.

وقد أُشيرَ في الرواياتِ إلى الحربِ الأوروبية، أو ما يُعبرُ عنهُ بـ (هرجِ الروم) والأوروبيونَ اليومَ قد وُضعوا في مأزقٍ كبير: فإمّا أن يستسلموا، وحينئذٍ لن تبقى للقانونِ الدوليِّ قيمةٌ، وإمّا أن يواجهوا، وحقيقةُ الأمرِ أنَّ رئيسَ الإدارةِ الأمريكيةِ لو أرادَ السيطرةَ على (جرينلاند) لما احتاجَ إلا إلى يومٍ أو يومين لينهيَ الأمرَ، فالآخرونَ لا يملكونَ تلكَ القدرة، لكنَّ فعلَهُ هذا سيمزقُ أوراقَ التماسكِ بينَهُ وبينَ الغرب، ويهددُ مصالحَهُ الكبرى، مع إنه قد يظنُ أن ما يذهبُ من مصالحَ سيعودُ إليه أضعافاً لو أحكمَ السيطرة، فمَن يسيطرُ على (جرينلاند) سيسيطرُ على أوضاعِ المنطقةِ برمتِها، وبالنتيجةِ فإن أوروبا التي تتباهى بقوتِها، ستتبينُ أنه لا حقيقةَ لهذهِ القوة، خصوصاً في منطقةٍ بحريةٍ لا يصلُ إليها كلُّ أحد، وفي ظلِّ وجودِ الغواصاتِ والمدمراتِ والصواريخِ لم تعدِ المهمةُ سهلةً كما كانت في أيامِ الحربِ العالميةِ الثانية.

وتأسيساً على ما سبق، وهذه هي النقطةُ الجوهريةُ، فإننا مقبلونَ -سواءٌ في الشامِ أم في أوروبا، بل وأكثرَ من ذلك- على تسارعٍ في وتيرةِ الأحداث، وقد شهدنا في الأيامِ المنصرمةِ كيفَ وقعت أحداثٌ متلاحقةٌ في منطقةِ شرقِ سوريا، ضمنَ المحدداتِ والضوابطِ التي أشارَ إليها الإمامُ (عليه السلام) نفسه والتي سبقَ أن أشرنا إليها في موضعٍ آخرَ لدى الإجابةِ عن هذا السؤال، ولكن الفرضَ أن بعضَ إخواننا قد استعجل، وخلصَ إلى نتيجةٍ مفادها: (هو هذا الأمر، فلنتهيأ لما سيحدث)، والسؤال: حتى ماذا؟ أيُّ غايةٍ تُرتجى من هذا الاستعجال؟ فلو قيلَ إن هذا هو حدثُ (قرقيسيا) أو ليس هو، فإن الأصلَ عندي هو الإمامُ (صلواتُ اللهِ وسلامه عليه) وحيثُ إنَّ الأصلَ هو الإمام، فإنّي معنيٌّ بطبيعةِ الرابطِ بيني وبينه، وهذا الرابطُ إنما يرتبطُ بطبيعةِ مفاهيمي عن انتظارِ الإمام؛ ولذلكَ كانت المفاهيمُ أغلى وأعظمَ عند أهلِ البيت (صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم) من أي واقعةٍ أخرى.

فقد تحركَ الأكراد، وتحركَ (الجولاني) ورأينا كيفَ أنَّ أمريكا بمنتهى السهولةِ قد باعت الأكرادَ وفسحت المجالَ لأعدائهم، بيدَ أن لهذهِ القصةِ ما بعدها فليسَ من طبيعتِها أن تهدأ، بل ستفتحُ البابَ لصراعاتٍ مستجدة، ومن يتصورُ أن معركةَ (قرقيسيا) هي معركةُ يومٍ واحدٍ فهو واهمٌ جداً، وإنما الروايةُ التي تشيرُ إلى أنه ((يَرْفَعُ اللهُ عَنْهُمُ النَّصَرَ)) هي إشارةٌ إلى أنها معركةٌ طويلةُ الأمد، فيها كرٌّ وفرٌّ، وتقدمٌ وتأخر، وهي خاصةٌ بـ (لحوم الجبارين) لا علاقةَ لها بأوضاعنا، وإنما هي صراعٌ بين قوى ترتبطُ بمفاهيمِ النفوذِ والسيطرةِ ونحوِ ذلك.

إنَّ القدرَ المتيقنَ أنَّ الأكرادَ قد تم بيعهم في سوقِ النخاسةِ الرخيصة، وفي لحظاتٍ وجدوا أنفسهم بلا نصير، وفي سياقِ الصراعِ الدائرِ في سوريا منذ عامِ ٢٠١٢، كان هؤلاءِ متمترسينَ بالأمريكيين إلى يومنا هذا، وإذا بهم على حينِ غرّةٍ ينكشفُ ظهرهم، وهذا ما يحملنا على تأكيدِ صحةِ ما قيلَ من أن (المُتغطّي بالأمريكيّين عُريانٌ) لا ظهرَ له ولا سند، ولكن هل يتعظُ من هذهِ القضيةِ أولئكَ الذينَ لا يزالونَ يتصورونَ أنّهم في جيبِ الأمريكيين؟ إذا اتّعظوا تلاحمَ معهم شعبهم، ولن يجرؤ أحدٌ على الاقترابِ منهم، أما إذا بقوا على هذهِ الطريقة، فستبقى أمريكا تستفيدُ منهم، فإذا ما انتهت فائدتهم، فما أسرعَ ما تُحرقُ ورقتهم، وليتأملوا في مصيرِ (صدام) الذي احتمى بالأمريكيين طوالَ تلكَ الفترة، وكانوا له دعامةً وسبباً للقوةِ والبقاء، ثم في لحظةٍ واحدةٍ مزقوا كلَّ شيءٍ وانتهى أمره.

أما في وضعِ سوريا، فالوضعُ لا يزالُ هشاً، مع أنَّ بعضَ الفصائلِ هناك -وللأسفِ الشديد- وباسمِ الإسلاميين، قد أعطت لإسرائيل، إذ سارعوا إلى التوقيعِ مع الإسرائيليين و أعطوهم ما يريدون، بل وأكثرَ من ذلك، فُتحَ لهم البابُ لينالوا ما يشاءون، وهذا بالنتيجةِ لن يجعلَ سوريا هادئةً، بل سيشجعُ الأطرافَ على مزيدٍ من النصارع، واليومَ نشهدُ فصلاً واضحاً من الصراعِ (الإماراتي-السعودي) وخطوطاً متصارعةً، وقد رأينا ما جرى في الصومال ونرى ما يجري في السودان، ونرى كيفَ اندفعت الإماراتُ للتحالفِ مع الهند، بعدما اتجهت السعوديةُ للتحالفِ مع باكستان، وهذه كلها مؤشراتٌ على صراعاتٍ قادمة، فلا يُتصوّرنَّ أن الأمرَ قد انتهى.

فكل الدول الآن تتمترس خلف تحالفات، متصورةً أنها تحمي بها نفسها، في الوقت الذي نجد فيه أوروبا وحلف الناتو، الذين جمعتهم مصالح وتجارةٌ مشتركة، يقعون اليوم في معضلةٍ كُبرى: فإما أن ينتهي حلف الناتو، وإما أن ينتهوا هم إلى حالة من الاستعباد للأمريكيين، فليس لديهم خيار آخر، وإلا فإنّ لسان حال (ترامب) العملي يقول لهم: (أتريدون أن أطلق عليكم بوتين؟) و (بوتين) مرتاح في أفضل الأحوال، فهو المستفيد، وقد أصبح من المقطوع به الآن أن الأوروبيين أمام معضلة أساسية: إما أن يحموا حلف الناتو فيدخلوا في صراع، وإما أن يقبلوا بالهيمنة الأمريكية التي وضعتهم حقيقةً بين المطرقة والسندان.

فهو يوماً يهددهم بالرسوم الجمركية، ويوماً يهددهم بـ (جرينلاند) وما إلى ذلك، ولكن من يتصور أنّ القضية تنتهي عند (جرينلاند) فهو مشتبه تماماً، فإنّ لما بعدها ما بعدها، فهناك قاعدة تُعتمد عادةً في الدراسات السياسية المعمّقة، وهي أن الرأسمالي هل يستطيع أن يقف عند نقطة معينة إذا نمت لديه الأموال؟ وماذا سيفعل؟ إنه سيميل على الرأسمالي الآخر في النقطة التي يشتركان فيها، ولذلك يقول بعضهم: إنّ الدول التي تنمّي قوتها ليس لديها خيار إلا أن تعتدي على دول أخرى، فتزداد شهيتها وتتفتح، فإذا انعدمت الأخلاقيات، وغاب الوضع الدوليّ، وتلاشى ما قيل عن السيادة واحترامها فإن الأمريكيين اليوم قد عادوا ليتحدثوا بمنطق القرن التاسع عشر أو الثامن عشر، حين لم تكن الدول بمفهومها الحالي موجودة، بل كانت هناك عشائر ومجاميع مستولية على هذا الكانتون أو تلك المقاطعة، ولم يكن هناك شيء اسمه "دولة" فضلاً عن "سيادة" فقد بدأوا يخاطبون الدنمارك بمنطق مفادُهُ: كيف امتلكتموها أنتم؟ مجرد سفينة من عندكم جاءت واستولت على المكان وقالت هذه ملكنا، حسناً إن كانت ملككم حينذاك، فهي ملكنا الآن.

لقد عادوا ليتحدثوا بهذا المنطق، ومقتضى ذلك أنّ مفهوم الدول والحصانات الدولية والسيادة، كل ذلك يتبخر شيئاً فشيئاً، ومن لم يبصر هذه المعادلة إلى الآن، فعليه أن يتحمل نتائجها، وينطبق هذا على سعي الأمريكيين لرسم معادلة تكافؤ بينهم وبين الصينيين، فهل ستستمر هذه القضية، أم ستتشابك الأمور وتتقاربُ المصالح؟ وقد أشرنا في موضع سابق إلى مسألة إفريقيا المَنسيّة الآن في الحديث، مع أنّ عماد صناعات الأوروبيين واقتصادهم مبني على ما يأخذونه من إفريقيا، فهؤلاء الذين يتحدثون بالنزاهة والشفافية، ليسوا في حقيقتهم إلا سُرّاقاً، وإن لبسوا لباس رجال الأمن؛ سراق محترفون فهذه المناجمُ الإفريقيةُ الغنية جداً تُنهب وتُسرَّب إلى الأوروبيين، بينما يعيش الشعب الإفريقي في فقر مدقع، فإذا دخلت أوروبا في صراعها الخاص فإن الصيني سيتقدم، والروسي سيتقدم، وبالنتيجة سيصطلحون على نقاط اشتباك جديدة.

وهذه نقاط الاشتباك الجديدة ستكون أمريكا طرفاً فيها أيضاً، فلا يُتصورنّ أنه قد انكفأ إلى الداخل الأمريكي، بل إنه متى ما ازداد قوةً سيميل على أقرب نقطة إليه، هو اليوم محتاج إلى (جرينلاند) فيأخذها، ثم يرى أن أمن "جرينلاند" يعتمد على أخذ (أيسلندا) المجاورة لها، وهكذا دواليك، فهذه مضائق بحرية استراتيجية، ومنها تعبر الغواصات، وتكمن هنا أهميتها.

وتكمن إحدى علل الأهمية الاستراتيجية لجزيرة غرينلاند في المضائق البحرية الحيوية للبحرية الروسية؛ إذ لا يملك الروس منفذاً إلى البحر سوى هامش ضئيل في شرق روسيا، في حين أن غالبية قواتهم البحرية تأتي من هذا المضيق لتعبر منه إلى المياه الأطلسية أو غيرها، وتقوم الحجّة على المطالبة بها على أساس حماية هذه المضائق، بدعوى عجز الآخرين عن حمايتها، وأنّه الطرف الوحيد القادر على ذلك.

فإذا ما استولى على غرينلاند، فسيتبعها بآيسلندا، ولكن السيطرة على أيسلندا دون بريطانيا تمثّل معضلة تحول دون تثبيت وضعه، وهكذا دواليك تتفتح شهية من لم يكن يأكل ثم يزعم الجوع، وهذه هي طبيعة الرأسمال التوسّعي التي ينبغي فهمها، وإن كانت تقوم على منطق سفيه، لكن عند تطبيقها على أرض الواقع، لا يبقى خيار سواه.

ولكن، لا بدّ من التحذير ابتداءً من مغبّة العود إلى التشخيصات، فإنّ الانجرار إليها بابٌ زلل، ولن يجدي المرء نفعاً أن يقول: أنا أعرف ما سيحدث في المستقبل، أو أن يسعى لإظهار نفسه بمظهر العارف، فيفرض لنفسه وجاهةً موهومةً بالقول: أنا أدري ما سيحدث، إنما وظيفتكم قراءة الروايات وسردها ولا ينبغي التقدم أبعد من ذلك، فإذا كان لديكم علم بالروايات، فلا تتجاوزوا هذا الحدّ، فإن الأيام حبلى بالأحداث، وهذا المنهجُ في التشخيص إن استمر فسيؤدي إلى إضعاف موقفكم؛ فالناس قد وثقوا بكم اليوم، فماذا لو تبيّن أنّ تشخيصاتكم غير دقيقة؟ فهل تملكون حينها القدرة على الاعتذار؟ أم سيقول الناس: إنهم يتكلمون على عواهنهم؟ إننا في غنى عن الوقوع في مثل هذه القضية.

فإن قام في نفسك ظنٌّ بأن هذه الواقعة هي تلك العلامة، فاستبقه لنفسك، أو اطرحه على سبيل الاحتمال، أما الجزم به وطرحه على أنه من اليقينيات وتبشير الناس به قائلين: (هلمّوا، فقد تحققت البشارة) فهذا خطأٌ شنيعٌ، وأمّا جانبه الشرعي فواضح البطلان لا يخفى على ذي مسكة؛ إذ إن كثيراً من الأحداث المعاصرة قد تتشابه مع ما رواه أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) لكنّ الإشكال كلّ الإشكال في القطع بأنها هي بعينها، وهذا ما كنّا نمتنع عنه، أمّا سرد الروايات وتحليلها تحليلاً دقيقاً، بناءً على منطق وعلم، فهذا أمرٌ حسن، ولكن أن يأتي كل من يشتهي فيحلل برأيه، فذلك ما لا يُقبل، وقد بلغنا أن بعضهم كتب بالأمس قائلاً: يا شيخنا إن (قرقيسيا) هي (روسيا) ولماذا؟ لأن فيها الراء والسين والياء والألف، وهذه غالبية حروف الكلمة موجودة في (قرقيسيا) ويجوز أنّ الأئمة قصدوا كذا... إلى آخر هذه التحليلات التي هي من عندياته، أما ما رواه أئمتنا، فيجب الرجوع فيه إلى أهل العلم بهذه القضايا، والذين أوتوا المكنة في فهم مراد الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم).

وفوق ذلك كلّه، فإنكم ستشهدون إقبالاً من الناس وتعطّشاً منهم للمعرفة، فالأقوام الذين شاركوا في المحطات المهدوية التي أقيمت في الزيارة الرجبية يؤكدون جميعاً على شدة رغبة الناس في التعرف على قضايا الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) وهذه الرغبة من الناس في التعرف على قضايا الإمام هي أمانةٌ في أعناقنا جميعاً، فلا نتركوها نهباً للجهلة، بل يجب على العالم أن يتقدّم لبيان علمه للناس، وإروائهم من المنبع الصافي لعلوم أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) وعليه، فإن هذا التسارُع في طلب الناس للمعرفة بقضايا أهل البيت يجب أن يكون حافزاً لنا للنهوض بمسؤوليتنا الشرعية في هذا المجال، وإيلاء التبليغ أهمية خاصة، لا سيما وأن العدوّ يستغل حالة التوانِي في التبليغ لإرسال رسائله الكاذبة والمخادعة والمتآمرة على عقول أبنائنا، ولزيادة الجهل فيهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق لنا ولكم ما نتمنى من رفعة شأن أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) ومن سعة إشعاع نورهم على هذا العالم ومن إقبال قلوبنا على نورهم وهدايتهم، ونسأل الله العلي القدير أن يجعلنا وإياكم من ذوي العاقبة الحسنة، ومن الذين ينقلبون إلى الحسنى، ويتلقون بشارتهم في حياتهم الدنيا فضلاً عن الآخرة، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلاتُه وسلامُه على رسوله وآله أبداً.

نهج العلماء

أنَّ الشَّرطَ المُهمَّ للانتصارِ، أن نعرِفَ العدوَّ وقدراتِه من دونِ أن نخافَ منهُ «إذا خِفتُم فإنَّكم ستخسرونَ» فلا ينبغي الخوفُ من تهديداتِ العدوِّ وعربداتِه وضغوطاتِه، وألّا نغفلَ عنهُ، ولنعلمْ أنَّ لديهِ خُدعةً وحيلةً ومكراً وأدواتٍ، ويجبُ ألّا نتصوَّرَ أنَّهُ ضعيفٌ وعاجزٌ.

آية الله العظمى السيد الخامنئي
(دام ظله الشريف)

إنَّ الانتظارَ لشيءٍ مهمٍّ؛ كما يدفعُ الإنسانَ للتهيّؤ والإعدادِ والاستعدادِ لما يتوقّعُهُ وينتظرُهُ، كذلك يقضُّ مضجعَ العدوِّ المعادي للحقِّ، وقد سطَّرَ التاريخُ كيف كان الطغاةُ يخافونَ وجودَ الإمامِ المُنتظَرِ وولادتِه على غرارِ خوفِ فرعون من ولادةِ موسى، حتى ذبحَ ما لا يُعلَمُ عددُهُ من الأطفالِ ليحولَ دون ولادةِ موسى، ولكنَّ الله بالغُ أمرِه، وقد سعى بنو العبّاسِ، ومن قبلِهم بنو أميّة لقطعِ نسلِ الرسولِ (صلّى الله عليه وآله وسلم) وذرّيّةِ عليٍّ (عليه السلام) طمعاً في الدنيا وحذراً من مجيءِ دولةِ الحقِّ، وكانت أيّامُ الغيبةِ الصغرى وما تلتها من الأيّامِ موحشةً ومُربكةً لبني العبّاسِ، فكانوا يبحثون عن الإمامِ المُنتظَرِ وعن وكلائِه وعمّن يدلُّ عليه بحثَ الخرْزةِ، وكانوا يقتلون كلَّ من يسمعون منه كلمةً تدلُّ على إيمانه بالغائبِ، فبقاءُ العدوِّ في قلقٍ واضطرابٍ وفقدِ الطمأنينةِ وتخبّطِه، من الفوائدِ المهمّةِ المترتّبةِ على الانتظارِ.

آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي
(دام ظله الشريف)

الإمامُ المهديُّ هو الشعاعُ الذي سيبزغُ من تلك الأرضِ المقدسةِ، وهو الإمامُ الذي اجتمعت البشريةُ على انتظارِهِ بفارغِ الصبرِ وأجمعت على تأكيدِ دورِه، وإن اختلفت في تسميته، وفي حقيقةِ شخصه، إنَّهُ الإمامُ الثاني عشر الذي ثبتَ إمكانُ وجودِه علميّاً، ومنطقيّاً، ولم يبقَ إلا أنْ يتحققَ وجودُهُ عمليّاً، وهو ما وعدَ به (سبحانهُ وتعالى) ورسولُهُ الأكرمُ (صلى الله عليه وآله وسلمَ) والأئمةُ (عليهمُ السلامُ) منْ بعدِهِ ليملأَ الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدما مُلئَت ظلماً وجوراً.

آية الله الشيخ لطف الله الكلبايكاني
(قدس سره)

ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية فقط

نهج العلماء

ليسَ المرادُ بمعرفةِ الخليفةِ الإلهيِّ وإمامِ كلِّ عصرٍ مجرّدَ المعرفةِ الأوّليّةِ القائمةِ على أساسِ معرفةِ حسبِه ونسبِه إلى جانبِ المعرفةِ التاريخيّةِ لهُ، فيكونُ المرءُ على معرفةٍ باسمِ الإمامِ ونَسبِه وتاريخِه، فيتوهّمُ أنّهُ نالَ المعرفةَ الباعثةَ على الحياةِ والإحياءِ المُنجيّةِ من الموتِ الجاهليّ، بلِ الحياةِ العقليّةِ ثمرةِ لمعرفةِ الإمامِ، والاعتقادِ بالولايةِ، ومعرفةِ الشخصيّةِ الحقيقيّةِ للإمامِ مع طاعتِه.

آية الله العظمى الشيخ جواد آملي
(دام ظله)

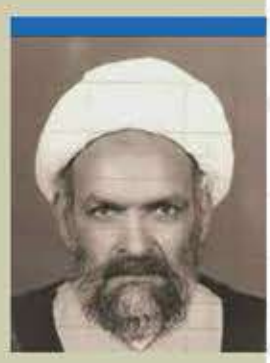

إنَّ البشارةَ بظهورِ المهديِّ منْ ولدِ فاطمةَ في آخرِ الزمانِ، ليملأَ الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدَ ما مُلئتْ ظلماً وجوراً ثابتةٌ عنِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله) بالتواترِ وسجلها المسلمونَ جميعاً فيما رووهُ منَ الحديثِ عنه على اختلافِ مشاربهم وليست هي بالفكرةِ المُستحدثةِ عند الشيعةِ دفعَ إليها انتشارُ الظلمِ والجورِ فحلموا بظهورِ مَنْ يُطهّرُ الأرضَ من رجسِ الظلمِ، كما يريدُ أنْ يصوّرَها بغضُ المغالطين غير المنصفين.

آية الله الشيخ محمد رضا المظفر
(قدس سره)

جاء في دعاء العهدالمبارك : «فَإِنَّكَ قُلْتَ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]».

حيث إنّ انتشار الفساد قد لا يكون ظاهرًا بالضرورة، فقد يكون موجودًا لكنّه مستترٌ خفيٌّ، يُخفيه من يمارسه حياءً أو خوفًا أو مجاملةً أو نفاقًا، وهذه درجةٌ من درجات الانتشار لا بدّ أن تُعالَج بالتربية والإصلاح بالتي هي أحسن.

لكن أن يظهر الفساد في الأرض ويعود لائحًا أمام الجميع دون اعتراض أو ردع، فهذا يعني أنّه تجاوز مرحلة الوجود إلى مرحلة الشرعنة والقبول والإمضاء من قِبَل الكثير من البشر، وها هنا يكمن الخطر الأكبر؛ فإنّ وجود فساد في جهة ما أمرٌ سيّئ، لكنّه يكون عادةً مصحوبًا بالشعور بالذنب من مرتكبه، ومحاولة إخفائه أو تأويله أو تبريره. أمّا أن يكون ظاهرًا لا يحتاج صاحبه إلى عذر أو تبرير، فهذا ما يعني انقلاب المفاهيم، وهو ما أشار إليه النبيُّ الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في الحديث المشهور الذي يحثُّ فيه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُحذّر من عواقب ترك ذلك، إذ يقول: «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا».

وهي أسوأ حالة يصلها الناس بعد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مرحلةُ انقلاب المفاهيم، حيث يتحوّل المعروف في أنظارهم إلى منكر، والمنكرُ معروفًا.

وهذا ما يشكو منه الداعي بهذا الدعاء، إذ نرى، ومع مرور الأزمنة، تحوُّلًا تدريجيًا للمفاهيم يصل بالناس إلى حالة المسخ للأفكار والتشويه للحقائق، فيعود الهتكُ بالمؤمنين ولثوابت المجتمع حرّيّةً للرأي، وشيوعُ الشذوذ الجنسي والمثلية حقًا مكتسبًا للبشر يجب الدفاع عنه، وإشاعةُ الفساد في وسائل الإعلام حبًا للحياة وإقبالًا على السعادة وانفتاحًا على الثقافات، بينما يكون الدفاعُ عن الحُرُمات الدّينيّة والأخلاقيّة تزمُّتًا وتعصُّبًا وتطرُّفًا.

سماحة السيد علاء الموسوي (حفظه الله)

ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية فقط

الأمنُ المهدويُّ في مواجهة الانهيارِ والتفككِ في منظومةِ الأمنِ الاستكباريِّ

سماحة الشيخ جلال الدين علي الصغير

كُلُّ مجريات السياسة والاقتصاد والشؤون الاجتماعيَّة والفكريَّة تشيرُ بوضوح إلى أنَّ حراكاً هائلاً يجري على الساحة العالميَّة دونَ استثناء، وهذا ما يجعلُ توقُّع إمكانيَّة حصول حالة جديدة بعدَ مرور هذه المرحلة التي قد تُغيِّرُ العالمَ، أو تُحدثُ فيه تحوُّلات جوهريَّةً أمراً ممكناً، فالإنسانُ يحتاجُ أن يكونَ ساذجاً جدّاً ليصلَ إلى القول: بأنَّه لا يوجدُ توتُّرٌ عالميٌّ ولا حالة طارئة أو ما إلى ذلك.

وحتَّى نعرفَ كيفَ تسيرُ الأمورُ وما هي النتائج التي وصلنا إليها الآن، وما طبيعةُ هذه الأمور في علاقتها بالقضيَّة المهدويَّة؟ لا بدَّ من ترتيب عناصر المشهد السياسيِّ العامِّ وفهم آليَّاته.

في عالَم السِّياسة، هناكَ ثلاثةُ مُصطلحات أساسيَّة:

أوَّلاً- الأمن الوطنيُّ: وهوَ يتعلَّقُ بميزات الوطنِ ومُحدِّدات أمنه وإمكاناته الأمنيَّة؛ فإذا توافرتْ هذه العناصرُ قيلَ إنَّ الأمنَ الوطنيَّ قويٌّ ومستقرٌّ، وإذا اهتزَّتْ قيلَ بحدوث خطرٍ على الأمن الوطنيِّ.

ثانياً- الأمن القوميُّ: أمَّا في خارج الوطن فهناك ما يُسمَّى بالأمن القوميِّ، وهو طبيعةُ العواملِ التي قد تؤدِّي إلى خطرٍ أمنيٍّ من الخارج أو إلى قوَّة أمنيَّة على المستوى الخارجيِّ، فتُدرَسُ العواملُ والقدراتُ والإمكاناتُ في سياقها القوميِّ.

ثالثاً- تأثيرُ الجغرافيا السياسيَّة أو الجيوبوليتيك: وهو يقيسُ كيفيَّةَ انعكاس حدث ما ليس على ساحة الحدث وحدَها فحسبُ، بل على كُلِّ الساحات التي تتأثَّرُ بهذا الحدث، فحادثةٌ تقعُ في بلد ما قد تُحدثُ تأثيراً في دول مجاورة أو في أسواق عالميَّة مثلاً؛ إذا ارتبطَ الحدثُ بالنفطِ فإنَّ حركةَ الأسعارِ والإنتاج والاحتياطات تُصبحُ مُؤثِّرات تدخلُ ضمنَ دائرة الجغرافيا السياسيَّة.

نَتساءَلُ هنا، هل للقضيَّة المهدويَّة بُعدُها الأمنيُّ الخاصُّ بحيثُ يُمكنُ رصدُ أمنٍ وطنيٍّ أو أمنٍ قوميٍّ أو تأثير جيو سياسيٍّ قد يؤثِّرُ على مسيرتها؟ بكُلِّ تأكيد، القضيَّةُ المهدويَّةُ مثلُها مثل أيِّ قضية عالميَّة تُخضعُها هذهِ التأثيراتُ بل إنَّ طابعَها التعدُّديَّ والعالميَّ يجعلُها تُطالبُ بكُلِّ هذه الأبعاد، لأنَّ هذه الحركةَ عالميَّةٌ بطبيعتها وبنتائجها، وهي لا تكتفي بأن تبقى محصورةً في بقعة مُعيَّنة، بل تتعمَّدُ أن تُغرسَ قيمها وثقافتها في مرتكزات ومجتمعات وبيئات مختلفة، فهي ترفعُ رايةً عالميَّةً وتُعنى بأمنِ المسلمينَ ومصالحهم العامَّة، وتتبنَّى مبادئَ لا تتيحُ الاعتداءَ على الآخرينَ، بل تسعى لحمايتهم وأمانهم من ناحية أنَّ الناسَ صنفانِ: إمَّا أخٌ لكَ في الدينِ أو نظيرٌ لكَ في الخلقِ.

ويبقى سُؤالٌ جوهريٌّ وربَّما جديدٌ: هل تسيرُ القضيَّةُ المهدويَّة ضمن منطق يُحقِّقُ لها السَّلامةَ والمسيرةَ الآمنةَ، أم أنَّها تسيرُ في مسارٍ قَدْ يُعرِّضُهَا لمَخاطر تُؤدِّي إلى خسارتها أو الأضرارِ بهَا؟ رواياتنَا تحدَّثت عن المخاطر وصدحَتْ بتحذيرات مُبكِّرة ومكثَّفة: امتحانات، وغربلة، وزلزلة وتمحيص، وعبارات «لنَبْلُونَكُمْ» وغيرها.

وهذه التَّحذيراتُ لا تأتي من فراغ؛ فالغربلةُ لا تحدُثُ في فَرَاغٍ، بل في داخل السَّاحة نفسها، وقدْ تكونُ الاختبَاراتُ ذاتَ طَابعٍ فَرديٍّ في أحيانٍ كثيرة، لكنَّها أحياناً تَمتدُّ لتكونَ امتحاناً للأمَّة بكاملها، بحيثُ يشْمَلُ نجاحُها أو فشلُها أثراً جماعيّاً.

ومَنْ يظنُّ أنَّ نتائجَ الأحداث دوماً تعكسُ نوايا صانعها يُخطئُ؛ فكم من مرَّة، أنَّ مَنْ صنعَ الحدثَ بخُبث خَسرَ والمقابل ربحَ تأثيرهُ، وهُنَا تكمنُ بديهيَّاتٌ يجبُ أنْ تُوسِّعَ آفاقَ تعامُلنا مع القضيَّة المهدويَّة: إلى أينَ نحنُ ذاهبون وكيفَ نحرصُ على أنْ يسيرَ مَسيرُنَا وفْق حسابات تُحقِّقُ الأمنَ والاستدامةَ بدل الانكشافِ على مخاطر تُضعفُ المشروعَ؟

أشرتُ أكثرَ من مرة إلى أنَّ القضيةَ المهدويَّةَ ليست قضيةً عاديةً أو بسيطةً يُمكننا أن نتعاملَ معها كما نتعاملُ مع أيِّ حدث عابر؛ إنَّها قضيةٌ تريدُ أن تُغيِّرَ العالمَ كُلَّهُ، من واقع يترسَّخُ فيهِ الظلمُ والجورُ إلى واقع يقومُ على العدلِ والحقِّ لذلك يجبُ الخروجُ من حالة البساطة أو السذاجة في التحليل، والانطلاق إلى مستوى الحدث، فالحدثُ بطبيعته مُعقَّدٌ ويخوضُ في منحنيات ومضائق خطرة للغاية والحديث عن "لَنبلُونَّكُمْ" وما فيه من تحذير من الخوف والجوع لا يُعبرُ عن حالة فردية بل عن حالة تكتسحُ الأمَّةَ، تحملُ معها مقاومات وقتلٍ وجوعٍ وأمراضٍ وحروب، وله كذلك مترتبات الحروب.

إذا تعاملنا مع هذا المستوى من الفهم، فكُلُّ حدث يجري في العالم يجبُ أن يُقارنَ بطبيعته وتأثيراته على هذه القضية، أو يُقاسُ بمدى أثر هذه القضية على ذلك الحدث؛ فنحن هنا لا نُحلِّلُ سياسياً كمهنة، لكنَّنا نهتمُّ بقضية تمثِّلُ سرَّ وجودنا، ومن طبيعتنا أن نهتمَّ بكلِّ ما يؤثرُ بها أو تتأثرُ به وبشكل طبيعيٍّ هذه القضيةُ ذاتُ إيجابية شديدة بالنسبة لأحداث العالم المتنوعة؛ فالإيجابيةُ التي أعنيها ليستْ مجردَ قيمة أخلاقية، بل قدرةٌ تفاعليةٌ مع مجريات العالم.

اليومَ، ونحنُ أمامَ جملة أحداث أذكرُ بعضها استناداً إلى هذا المنطلق: هل للقضيةِ المهدويَّة أمنُها القوميُّ وأمنُها المهدويُّ؟ هل لها تأثيراتٌ جيو سياسيةٌ على الإمام وحركته؟

في الفترة القريبة الماضية طلبَ الرئيسُ الفرنسيُّ ماكرون من وزارة الصحة تهيئةَ المستشفيات الفرنسية ابتداءً من الشهر الثالث لسنة (٢٠٢٦) لتلقّي خمسين ألف جريح يومياً.

هذا التوجيهُ لا يمكنَ تفسيرُه كاستعداد طبيٍّ اعتياديٍّ؛ إنّما يشيرُ إلى توقع حدث عالميٍّ كبير قد يدفعُ دولةً مثل فرنسا التي لديها تحصيناتٌ وإمكاناتٌ إلى إصدار مثل هذا التوجيه، وما يؤثرُ في ساحات واسعة لا يبقى مقصوراً على فرنسا وحدها بل يمتدُّ إلى دولٍ عديدة، فتتأثرُ أسواقُها واقتصاداتُها وبنيتُها الاجتماعية.

السويدُ تحدثتْ عن تجديد ملاجئ الاستيعاب للحالات النووية أو الكيميائية أو الجرثومية، وهذا ليسَ إنفاقاً تافهاً بل ميزانياتٌ عاجلةٌ في زمن اضطراب اقتصاديٍّ؛ بينما ألمانيا طرحتْ فكرةَ التجنيد الطوعيّ، فإذا لم يستجب الناسُ يتحول الطوعيُّ إلى إلزاميٍّ بطريقة أو بأخرى.

الرئيسُ الصينيُّ أطلقَ رسائلَ صريحةً مفادُها؛ أنّ الاستعدادَ للقتال يُمكنَ تعاظمُه، وأنّ استعراضاته العسكريةَ الأخيرةَ مع حضور قادة لديهم مشكلات مع محور الاستكبار أرسلتْ إشارات خطرة إلى الأمن العالميّ، فقد جرى شراءُ صواريخ وطائرات وسفن وغواصات وتقنيات مُتقدّمة لا تُفسَّرُ على أنّها مجردُ مناورة لعرض العضلات بل كاستعداد حقيقيٍّ في لحظة حرجة.

كلُّ هذه التطوّرات تُشيرُ إلى أنَّ العالمَ يوشكُ أنْ يدخلَ مرحلةً في غاية الاحتقان، وأنّ زخارفَ الأمانِ التي اعتادتْ عليها بعضُ الدول قدْ لا تكفي في مواجهة ما يستجدُّ.

من هنا، يجبُ أنْ نربطَ بين هذه المتغيرات الكبرى وبين مسار القضية المهدويّة، هل نعدُّ لها بما يحقّقُ لها سلامةَ المسير ونمكّنُها من الاستمرارية، أمْ نغفلُ عن هذه المؤشرات فتقودُنا المصادفاتُ أو الأخطاءُ إلى خسائرَ قدْ تكونُ جسيمةً؟

في المقابل، أنّ العالم اليوم يعيش في زمن يمكنُ فيه لكلِّ إنسان، أن يشهدَ ثورةً في معايير الغرب، وأقصدُ «الغربَ» لأنَّ هذه البلدانَ كانتْ محاطةً بحزم من الردع الإعلاميِّ والثقافيِّ والفكريِّ، حتى غدتْ عقولُها مغلّفةً أمامَ ما نعتبرُه من بديهيات الحقائق.

لقد رُصدَ ذلكَ في الصراع الصهيونيِّ ـ الفلسطينيِّ، ففي حين كان الغربُ يندفعُ بدفاعات شديدة ضدَّ من يُدافعُ عن فلسطينَ ويعتبرُه مُعتدياً، كانَ السردُ مختلفاً تماماً، بل معكوساً.

أوروبا وقد بنتْ هويَّتَها على تقديس ذكرى ضحايا النازية والهولوكوست، كانتْ تتبنى سياسات وتقاريرَ ومواقفَ تكرّسُ هذا الحسَّ، وتمتدُّ هذه الذهنيَّةُ أفقيّاً إلى أمريكا باعتبار تقارب الحضارة والبيئة الفكريَّة، ولذلك أنفقتْ دولُ الغربِ مئاتِ المليارات من الدولارات لصيانة إسرائيل وحصانتها.

لكنّنا اليومَ نرى صوراً مغايرةً، حتى إنّ الرئيسَ الإسبانيَّ تحدَّثَ بلغةٍ غيرِ مألوفةٍ سابقاً، ويصوّرُ إسرائيل ليسَ كمجرَّد قضيَّة استثنائيَّة بل كمأزق أخلاقيٍّ وسياسيٍّ، وقال ما يُفيدُ: "بأنَّهُ ليسَ بالضَّرورة أن نكونَ دولةً نوويَّةً لكي نُعبّرَ عن موقفنا تجاهَ ما يجري في غزَّة، بل إنّنا سنقاتل بالسياسة والاقتصاد والضمائر من أجل غزَّة".

صدرت سلسلةٌ من الإجراءات الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، تجعلُ من إسرائيل دولةً منبوذةً على نحو لم نعهدهُ من قبل؛ فالنموذجُ الإسبانيُّ، والنموذجُ البرازيليُّ، والمكسيكيُّ، والنموذجُ الجنوبُ أفريقيُّ، وحتى بعضُ دولِ الاتّحادِ الأوروبيِّ أصدرتْ إجراءات وقيوداً على حاملي الجواز الصهيونيِّ أو على ممثّلي الكيانِ، ممَّا يعكسُ تحوُّلاً شعبيّاً وسياسيّاً كبيراً.

هذا التحوُّلُ لم يأت اعتباطاً، الشَّعبُ تغيَّرَ، ونتيجة هذا التغيُّر برزتْ شركاتٌ وقطاعاتٌ، بدأتْ تلتفتُ وتدعمُ مواقفَ معارضةً للكيانِ الصهيونيِّ.

لماذا وصلتِ الأمورُ إلى هذا الحدِّ؟ لماذا صارتَ الكثيرُ من دولِ العالم تمنعُ دخولَ وزراء صهاينة، رغم أنَّ هؤلاء كانوا يُمثّلونَ رمزاً معنويةً كبيرةً للصهيونيةِ؟ لأنَّ الرأيَ العامَّ تغيَّرَ، واندلاع الاحتجاجات والتحرُّكاتِ الشعبية تصاعدَ تدريجيّاً حتى باتت التظاهراتُ مئاتِ الآلاف، وأحياناً ملايين كما شهدنا في مسيرات نيويورك، التي هدَّدتْ صورةَ العلاقة القديمة مع إسرائيل.

وقد بدأ الأمرُ ينتقلُ من مجرّد تظاهرات إلى ممارسات حياتيّة عاديّة؛ فنجدُ فنادقَ ترفضُ استقبالَ إسرائيليّينَ ومطاعمَ ترفضُ خدمةَ سياحٍ صهاينة، ومنتجعات تُبعدُهم أو تمنعُ اقترابَهم، وتُطالبُ قوانينَ وسلطاتٌ بإجراءات استثنائيّة.

بينما كانتْ هوليوودُ يوماً مصنعَ الدعاية والإنتاج الذي يُغدقُ على إسرائيلَ دعماً ثقافيّاً، فقد بدأ عشراتُ المخرجين والممثّلين وكُتّاب السيناريو والمنتجينَ يتعرّضونَ للمُحاسبة والرفض لموقفهم من معاداة الصهاينة.

وحتّى قضيّةُ اغتيالِ الناشط الأمريكيِّ اليمينيِّ تشارلي كيرك، المقرب جداً من أوساط الرئيس ترامب والمعروف بعدائه للإسلام، كانت لها ردّةُ فعلٍ غربيّة مفاجئة، إذ لم يتلقَّ القاتلُ تعاطفاً نمطيّاً كما حصلَ سابقاً في حالات مماثلة، بل بدا أنّ الجمهورَ وبعضَ دوائرِ الإعلام تُظهرُ تشمّتاً أو تأييداً أوّليّاً، رغمَ أنّ دوافعَ القاتلِ وهويّته لم تكنْ قد تحدّدتْ بالكاملِ، وهذا مؤشّرٌ على تحوّلٍ عميقٍ في المشاعرِ والسلوك.

والسّؤالُ هُنا: ماذا يجري في المُجتمع اليهوديِّ نفسه؟ هذا المجتمعُ ينقسمُ في الواقع إلى فئتين على الأقل: فئةٌ شاركتْ في تأسيس المشروع الصهيونيِّ وشاركتْ في اغتصاب الأراضيِّ وإقامة الدولة على حساب الفلسطينيينَ بدوافعَ أيديولوجية أو انفعالية، وفئةٌ جاءتْ لاحقاً كجيلٍ جديدٍ يحملُ آثارَ تجربة الدولةِ ويعيشُ ضمنَها.

في مرحلةٍ سابقةٍ، اعتمدتْ بعضُ الحكوماتِ العربيةِ أو

ضُغوط إقليمية على تسويات أو تراخٍ أدّى إلى استفادة بعض اليهود المقيمين في البلدان العربيّة من أوضاع سمحت بمشاركتهم في بناء كيان الصهاينة من خلال مسرحية تهجيرهم من تلك المناطق إلى اسرائيل، وكان لذلك أثرٌ بالغٌ في التاريخ السياسيّ والاجتماعيّ للمنطقة وضدّ فلسطين.

إلى أينَ نريدُ أن نصل بهذه القضية؟ نطرحُ هذا السؤالَ لنعرف هل كانتْ إسرائيل قبلَ طوفانِ الأقصى تتمتعُ بميزان معين لدى الدول؟ هل كَبُرَ هذا الميزانُ أم انخفضَ؟ هل يُنظرُ إليها كدولة ديمقراطية مُتقبّلة أم أنّها باتتْ اليوم تُعامل بنبذ سياسيٍّ ورسميٍّ؟ من الواضح جداً، أنّ ما سردهُ الموقفُ الأوروبيُّ الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم ما تلاها من مواقف وأحداث قد غيّرَ كثيراً من هذا التوازن، فالأوروبيونَ في كثيرٍ من المرّات كانوا يندفعونَ للدفاع عن إسرائيل ولأغراضٍ داخلية وسياسية، في حين أنّهم اليومَ يتبنّونَ مواقفَ مخالفةً أو مترددةً أمامَ سياسات الاحتلال ونتائجها، والحديث عن حل الدولتين والاعتراف بفلسطينَ ومدى قبول أيّ عملية إبادة في غزة مهما كانت الدوافعُ، فإنّ واقعَ الحال اليوم يشيرُ إلى نوعٍ من النبذ الدوليّ لإسرائيل، فما كانتْ إسرائيل عليه قبلَ طوفانِ الأقصى لم تعدْ هي، وقد أضافتْ أحداثُ الإقليم الأخيرةُ عناصرَ جديدةً في تقييم قادة الرأي الدوليّ، وقد برزَ ذلك بوضوح في مواقف بعض الدوَل وقادتها.

أمّا عن دورِ القنوات والإعلام، فقد كان لبعض المحطات أثرٌ في تقديم الصهاينة قبلَ ذلكَ بصورة مقبولة لدى قطاعات واسعة لكنْ تَغيّرَ المشهدُ، ولم يعدْ الصهاينةُ يحظونَ بالتسامح أو الدعم غير المشروط كما في السابق.

السؤالُ الآن، هل هذه الحالةُ ترمزُ إلى قوة إسرائيل أم إلى ضعفها؟ وكيف نفسّرُ ذلكَ ضمن مصفوفة الأمن الثلاثية التي أشرنا إليها في بدايات حديثنا؟ هل هذا يعزّزُ الأمنَ الوطنيَّ لإسرائيل ويقوّي أمنَها القوميَّ ويزيدُ من مساحة تأثيرها الجيوبوليتية أم أنّ العكسَ هو الصحيح؟ هذا جانبٌ من الصورة التي انعكست لدى حلفاء إسرائيل أو من الذين كانوا يراهنونَ عليها.

هناك محاولاتُ توقيع وثائق تطبيع من قبل دول عربية وإسلامية، وقد يكونَ بعضُها خاضعاً لمصالح داخلية وخارجية قد يُعلَنُ أو لا يُعلَنُ عنها، لكنَّ ما لا يمكنُ إنكارهُ هو أنَّ التطبيعَ الذي كان يمشي على سجادة حمراء سابقاً، صارَ اليومَ يواجهُ ارتدادات وردودَ فعل سلبية شديدة، حتى من حكومات كانتْ ترى أنَّ المُضيَّ في هذا الطريق ممكنٌ، إذ صارَ البعضُ يتردّدُ بل ويصحو على نتائج سلبيةٍ قد تضرُّ بمواقفهم الداخلية والخارجية.

هذا التغيّرُ في المزاج الدوليّ جاءَ في سياق اتهامات وجهتْ لإسرائيل، بأنّها دولةٌ فصلٍ عنصريٍّ أو دولةٌ مُتهمةٌ بجرائم إبادة، وبأنّ سياساتها تمثّل نمطاً من العُنف المبرمج، وقد ظهرتْ مشاهدُ توثّقُ ارتكابَ جنودها أعمالَ قتلٍ مباشر لأطفال ونساء ومدنيينَ لا يملكونَ إلا السعيَ لتوفير قوت يسيرٍ أو الماء، وهذا ما دفعَ كثيرينَ حول العالم إلى التساؤل: هل ما تقومُ به إسرائيل حرب لأطفال ونساء ومدنيينَ لا يملكونَ إلا السعيَ لتوفير قوت يسير أو الماء، وهذا ما دفعَ كثيرينَ حول العالم إلى التساؤل: هل ما تقومُ به إسرائيل حرب دفاع أم حربَ إبادة؟ ثم تطوّرَ النقاشُ إلى الحديث عن كونها حربَ حقداً وليست مجردَ إبادة، لأنّ ممارسات من هذا النوع تكشفُ عن غاية تتجاوزُ مواجهةً تهديد عسكريٍّ لتصلَ إلى ممارسة العنف بصورة منهجية، كل هذا يُظهرُ أنّ الصورةَ الدولية تجاه إسرائيل تغيّرت تغيّراً جذرياً عما كانتْ عليه قبل طوفانِ الأقصى.

هنا لنا أن نعودَ ونربطَ القضيةَ المهدويّةَ من هذه البوابة، بوابةُ أنّ عدوّاً رئيسياً وأساسياً للإمام المُنتظر (عجل الله فرجه) يتبدّى بهذا المستوى، ويتحوّل من صورة مزينة إلى صورة تستقبحُ يوماً بعد يوم وبكافة الصور، ولأولِ مرة تنعكسُ جرائمُ الصهيونية أمام العالم دون تغليف أو تبرير أو تبييض، ومن دون أن تُقدَّمَ على أنّها ممارسات ذاتُ مشروعٍ حضاريٍّ أو شرعيٍّ، بل تُفضَحُ في ساحات عامة أمام نظر الناس.

هذا ليس غريباً على اليهود الذين كانوا قد وُصفوا في نصوص دينية تاريخية بأنّ فيهم عداوةً شديدةً، وما يُنتظرُ منهم من بغضاء لم يكُنْ غائباً عن كتب التأريخ والنصوص، فالقرآنُ وغيرهُ من النصوص قدّما صوراً عن مآلات المواقف حين تبلغُ حالةُ الظلم والعدوان مداها، والنتاج العالميّ لهذه الممارسات هو التشويهُ الأخلاقيُّ والفضحُ الدوليُّ، فحين تتراكمُ الموبقاتُ تتحوّل العاصمةُ التي يعتدونَ عليها إلى رمز للازدواجية والفساد، وقد تردُّ إليها نصوصٌ ووصفٌ تاريخيٌّ بمسمّيات قاسية: "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ"

وهنا يستحسنُ للباحثين، أن يطّلعوا على ما وردَ في الأسفار وعلى ما بقيَ منها من نصوص غير مُحرّفة لاستيضاح بعض الإشارات، فالتوراةُ مُحرّفةٌ في كثير من مواضعها -بلا ريب- لكنَّ فيها مع ذلك نصوصاً أو إشاراتٍ قد تحملُ معيناً للتأويل عند المتخصصينَ، ويجبُ علينا أن نحاولَ اكتشافَ ما لم تحرَّفْ من هذه الإشارات.

الخلاصةُ هُنا، أنَّ ما يرشحُ من خطاب مُتّصل بالروايةِ التاريخيّة يُهدّدُ بالإبادة في حال استمرار المنهج القائم، فحينما تصلُ إلى «أورُشليم الزّانية» حسبَ التعبير، تكونُ قد بلغتْ نُقطةَ ضعفها لا نُقطةَ قوّتها، واليومَ النّتن ياهو سيكونُ المعوّلَ الذي يهدمُ مشروعَ الدّولة اليهوديّة.

يمكنُ القول، بأنّنا أمامَ معجزة قرآنية تتجلّى تدريجيّاً، وربّما لم تكتمل صورُها الأولى بعدُ، لكنَّ المتيقّنَ من النصّ أنّ الافتضاحَ سيحصل، فالقرآنُ في مواضعه أشارَ إلى أنّ هؤلاء سيُفتضحونَ أمامَ العالم، وهذا الوعدُ ليس بلا أثر، بل هو مؤشرٌ على سلسلة من التدابير الإلهية التي قد تتبدّى بطرق مختلفة مع مرور الزمن، فهل سيتوقفُ العالمُ أمامَ حدٍّ من هذه التدابير أم أنّ المسيرةَ ستستمرُّ في افتعال مآلات تُقرّبُ تحقيقَ تلك الإشارات؟ هذا سؤالٌ يجبُ أن ينشغلَ به العاملونَ على القضية.

من هنا، يجبُ أن نقرأَ ما يجري بعين المُتتبّع والمنهجية الدقيقة، لا بعين العاطفة أو الانفعال العابر، فالتاريخُ والنصوصُ والدلائلُ الماثلةُ تقودُنا إلى أنْ نُعدَّ العدةَ فكرياً وثقافيّاً وأمنياً، وأن نبذلَ جهدَنا في فضح الحقائق، وفي تثقيف الجماهير، وفي بناء أدوات مقاومة معرفيّة وإعلاميّة توازنُ بين ما يفرضُه الواقعُ وما تستدعيه القيمُ، لأنّ إقرارَ الحقيقة ونشرَها وربطَها بسلوك عمليٍّ، هي التي تقوّي موقفَ الحقّ في معركة الوعي العالمية.

كيف تُطيل العمالة لإسرائيل زمنَ الغيبة؟

د. أحمد حسين/جمهورية مصر العربية

في لحظة ما، هي ما بين الصمت والتغاضي يخطو أحدهم خطوة ليست كأي خطوة، خطوة تهوي به من علياء الانتماء إلى درك الخيانة، من شرف الوطن إلى قاع العمالة، هي لحظات لا تصنع وحدها تاريخاً، لكنها تمزّق صفحات ناصعة منه، لحظات يرتكب فيها الإنسان فعلاً يجعله خارج دائرة الأمة، بعيداً عن ذاكرة الأحرار، قريباً من سجل العار.

العمالة لإسرائيل ليست خطأً عابراً، بل سقوطٌ أخلاقيٌّ وسياسيٌّ، يشبه انحناءة الذليل أمام جلاّده، وانسلاخ المرء عن دمائه وأرضه. فهي ليست مجرد معلومات تُنقل، أو وعود تُعطى، بل هي خيانة مكتملة الأركان، لا يبرّرها خوفٌ ولا يسوّغها طمعٌ، العمالة ليست فقط عمالة الأفراد، بل قد تكون أنظمة بأكملها تسير نحو الاستسلام، تفرش السجاد الأحمر لمحتل، بينما تَسحقُ تحت أقدامها كرامةَ شعوبها.

المُخبر الصغير الذي يوشي بالمقاومين، السياسيّ الذي يفتح أبواب التطبيع، الصحفي الذي يجمّل صورة العدو كلهم يشتركون في ذات الفعل: خيانة الدم، تفكيك الهوية والوقوف في صف المحتل ضد أهله، هم ليسوا مجرد أفراد ضلّوا طريقهم، بل هم أدوات وظيفية تُستخدم لتثبيت الظلم واستمرار الاحتلال.

العمالةُ ليست فقط رصاصة تُطلق من يد العدو، بل قد تكون كلمةً في صحيفة، أو لقاءً في غرفة مغلقة، أو صفقة تطبيع تُمرر بخطاب بارد أجوف.

لحظاتُ العمالة قد تكون قصيرة، لكنها تترك أثراً عميقاً لا يُمحى، فالتاريخ لا ينسى أولئك الذين باعوا أنفسهم، تماماً كما أنّه لا ينسى أولئك الذين قاوموا حتى الرمق الأخير، في كل مرة يسقط عميل في يد المقاومة، يدرك الجميع أنّ الخيانة قد تكون مُغرية لبعض الوقت، لكنّها دومًا تنتهي بنهاية واحدة: السقوط في مزبلة التاريخ.

من المفارقات أنّ إسرائيل، التي تُغدق المال والمناصب على عملائها، لا تحترمهم ولا تثق بهم، تنظر إليهم كما ينظر السيد إلى عبده، يُلقي له بالفتات لكنّه لن يمنحه مكانًا بين أسياده، في لحظة ما، حين ينتهي دوره، يصبح العميل عبئًا يجب التخلص منه، كأداة انتهت صلاحيتها، أو ورقة أُحرقت في لعبة المصالح الكبرى.

كم من عميل ظنّ أنّه سيكون رجل إسرائيل في المنطقة ثم اكتشف أنّه مجرّد بيدق تم التضحية به عند أول منعطف؟ كم من خائن ظنّ أنّه سيحصل على الحماية الأبدية، لكنّه انتهى مهملاً، منبوذاً، يخشى حتى ظله؟ إسرائيل لا تُخلّص عملاءها من العار، بل تُلقي بهم إلى مصيرهم المظلم، ليواجهوا مصيرهم وحدهم.

قد يمرّ الزمن، وقد تُنسى بعض الأسماء، لكنَّ الشعوب لا تنسى من وقف في صف العدو، فلا مقاومة تُهزم، ولا احتلال يبقى، لكن الخيانة هي الشيء الوحيد الذي لا يغفره التاريخ. فالعملاء، مهما حاولوا الاختباء خلف شعارات السياسة والمصالح، ستظل وَصمَة العار تطاردهم، وستظل أسماؤهم تُذكر كأمثلة للخزي والخيانة.

إنّ لحظات العمالة، مهما كانت قصيرة، تُسقط الإنسان من علياء الشرف إلى دركات الذل، وإنْ كان في الأرض من يخون، ففيها أيضاً من يَصون، ومن يقاتل، ومن لا يزال يُقسم أنّ فلسطين لا تُباع ولا تُشترى، ولا تُساوم عليها الأنظمة، ولا الأفراد، ولا السماسرة.

التاريخ لا يُكتب بلحظات العمالة، بل يُكتب بلحظات المقاومة المُنتظرة لفرج التحرير.

فحالةُ انتظار الأمة وتمهيدها ليس مجرد حالة شعورية أو دعاء يُتلى على الألسُن، بل هو موقف بطولة ووعي واستشهاد تَطَلّب تضحيات عبر الزمن ومازال يتطلّبُ اليوم إعدادًا متبصراً، وتبنّياً لمنظومة العدل والحق في مواجهة الظلم والجور.

وفي هذا السياق، لا يمكن تجاهل أنَّ أحد أخطر المعاول التي تهدم مشروع الانتظار وتطيل زمن الغيبة هو العَمالَة لإسرائيل، هذا الكيان الذي قام على اغتصاب الأرض وسفك الدماء، وزرع الفتن، وتحويل القيم الإنسانية إلى سلعة تُباع في سوق المصالح السياسية.

العمالة لإسرائيل لا تعني فقط أنْ يكون المرء جاسوساً أو متواطئًا بشكل مباشر مع مخططاتها، بل تشمل كلَّ فعل أو موقف يُسهم في ترسيخ هيمنتها، أو دعم اقتصادها، أو تبرير جرائمها، أو نشر فكرها المنحرف الذي يهدف إلى تطويع الوعي العربيّ والإسلامي وجعله يتقبل وجودها كأمرٍ واقع.

ومنْ أدوات العدو في تقويض مشروع الانتظار:

أولاً- تحويل العدو إلى حليف.

إنَّ إحدى أبرز معالم مشروع الانتظار هو الاستعداد لمواجهة الظلم ورفض الخضوع له، ولكن حين تتحول إسرائيل التي تمثل ذروة الظلم والعدوان، إلى (حليف) لبعض الأنظمة والشعوب، فهذا يعني أنَّ الوعي قد تشوّه وأنَّ الموازين قد انقلبت، وأنَّ القيم قد تهاوت، مما يُبعد الأمة عن التهيؤ لحكم العدل الإلهي، فالعدل لا يقيمه

أناسٌ ألِفُوا الذلّ والخضوع، ولا أمةٌ تواطأت مع قاتلها ومغتصب حقوقها.

ثانياً- إضعاف روح المقاومة وإخماد شعلة الرفض.

الانتظار ليس خمولاً، بل هو حالة دائمة من المقاومة ضد الظلم، ولكن حين تُزرع ثقافة التخاذل والخضوع وتُستبدل العداوةُ لإسرائيل بعداوات داخلية مُفتعلة، فإنّ ذلك يقتل في الأمة حسّها المقاوم، ويجعلها مستكينةً للواقع الفاسد بدلاً من أنْ تكون جزءًا من مشروع التغيير الإلهي.

ثالثاً- تفكيك المجتمعات وزرع الفتن.

من أدوات إسرائيل الأساسية تفكيك المجتمعات من الداخل وإشغال الناس بصراعات وهمية، فبدلاً من أنْ يكون العدو واضحاً، يتم خلق أعداء مزيفين، ويُدفع الناسُ إلى الاحتراب فيما بينهم، فتضعف الأمة وتصبح عاجزةً عن تحقيق المشروع الإلهي الذي يتطلب وحدة الصف، وقوة الإرادة، ونقاء الموقف.

رابعاً-التطبيع الثقافي ودعم الفساد.

إسرائيل لا تكتفي بالاحتلال العسكري، بل تسعى إلى احتلال العقول والقلوب عبر نشر ثقافتها، والترويج لقيمها المنحرفة، وجعل الفساد أمراً طبيعياً في المجتمعات. فالانتظار مشروعٌ قائم على النقاء الأخلاقي والروحي، فكيف يمكن للأمة أنْ تستعد للعدل وهي غارقةٌ في ثقافةٍ تُروّج للخيانة والانحلال؟

خامساً-إطالة عمر الأنظمة المستبدة.

إنَّ الأنظمة التي تتعامل مع إسرائيل وتُطبّع معها، هي ذاتها الأنظمة التي تمارس القهر والظلم ضد شعوبها وهي ذاتها التي تُحارب كل دعوةٍ للإصلاح الحقيقي، لأنّها تُدرك أنَّ مشروعَ الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) هو نهاية عهد الظلم والاستبداد، فكلما بقيت هذه الأنظمة، تأخر المشروع، واستمرت الأمة في تيهها.

ويبقى السؤالُ الأبرز كيف نواجه العمالة لإسرائيل ضمن مشروع الانتظار؟

١- رفض كل أشكال التطبيع.

سواء كان سياسياً، اقتصادياً، أو ثقافياً، وعدم التهاون في التعامل مع الاحتلال تحت أي مبررٍ كان.

٢- تعزيز ثقافة المقاومة.

عبر ترسيخ العداء للظلم، وتنشئة الأجيال على الوعي بحقيقة الصراع، وعدم الوقوع في فخ الحياد الزائف.

٣- كشفُ المتواطئين.

وعدم السماح لهم بإفساد الوعي الجمعي للأمة، وفضح أساليبهم في التبرير والتضليل.

٤- مقاطعة الكيان الصهيوني اقتصادياً وإعلامياً.

فكلُ دعم له، مهما بدا بسيطاً، يُطيل من عمر الظلم، ويؤخر تحقّق العدل المُنتظَر.

٥- التشبّث بالهوية الإسلامية والقيم الأصيلة.

وعدم السماح لثقافة العدو بأنْ تتسلل إلى المجتمعات فتجعلها ضعيفةً ومستلَبَة وإقامة الفرائض والسنن ونشر كرامة القران وخُلق النبي وجهاد أهل البيت الأطهار (عليهم وعلى نبينا ألف الصلاة والسلام)

وفي الختام، إنّ انتظارنا هو مسيرةٌ نورانية في مواجهة الظلم، وجهادٌ نقيّ ضد الخيانة، فهل نكون منتظرين مقاومين؟ أم مداهنين للظالمين مطبعين ومتخاذلين؟ ومن ذلك نستجير بالله الواحد الأحد.

السيدُ المسيحُ والعلاقاتُ الدولية

في هذه البشرية ثلاثُ محطات كبيرةٌ، وهيَ خلقُ (آدمَ) اللهِ ونزولُهُ إلى الأرض، والبعثةُ النبويةُ الشريفةُ ودولةُ آخرِ الزمانِ، حصلَ اثنتانِ، وبقيت واحدةٌ، مسؤوليتُنا هيَ المرحلةُ الثالثةُ، والتي يتحملُ كلُ مؤمنٍ مسؤوليةً فيها، لكن يجب الاعترافُ بأنَّ الاهتمامَ بهذا الأمرِ لا يزالُ متواضعاً، رغم تزايد الكلام فيه.

إنَّ ظهورَ الإمامِ المهديِّ، سيد المسلمينَ، ونزول السيد المسيح (عليه السلام) سيّد المسيحيينَ، في وقتٍ متقاربٍ -أي صَاحبَي أكبرِ ديانتينِ في العالمِ في زمنِ الظهورِ- هوَ أمرٌ جللٌ، وغيرُ عاديٍّ، ودلالةٌ على مرحلةٍ استثنائيةٍ في التاريخ.

إنَّ حركةَ عيسى (عليه السَلام) نفسها وادخارها لهذه المرحلة، هي علاقاتٌ دوليةٌ به يتيحُ اللهُ (تعالى) المجالَ لإظهارِ الحقِّ وتبيينه لشرائحَ واسعة تؤمنُ بهِ أو تتأثرُ بالأجواءِ التي تصنعُها عودتُهُ، فتتكسرُ حلقةُ أيِّ أعداءٍ محتملٍ بينَ الجماعاتِ التي تقطعُ من نظرتها إلى الحقِّ وفقاً ما تعرفُ، فيحلُ المسيح (عليه السلام) هذه الإشكاليةَ ويكونُ سفراً للحقِّ المستجدِّ بعد الظهور.

يشرحُ للأممِ المسيحيةِ حقائقَ الأمورِ فتؤمنُ بما يقولُ أو تعارضُهُ ومَن يرفضُ الخيرَ يُعاقبُ لخيرِ المجتمعاتِ.

المباني الخُلُقيّة للعلاقات الدّوليّة في الدّولة المهدويّة
السيد علي عبدالله فضل الله ص ١٦ / مركز براثا للدراسات والبحوث

أبعادُ الانتظار

سماحة الشيخ نعيم قاسم

تحقّق البشارة بالإمام المهديّ (عجل الله فرجه) منعطفاً هامّاً في حياة الفرد والمجتمع، حيث يؤدّي انتظارُ ظهوره في مستقبل البشريّة تأثيراً على مستوى التفكير، والإيمان، والذات الإنسانيّة والسلوك.

فظهورُ المُخلِّص يعني التفكيرَ بالموقف منه والعلاقة معه، والإيمان به يُنجزُ التزاماً وتصويباً تجاه خطوة من خطوات المسار والمنهج الإلهيّ، وتتعبّأ الذاتُ الإنسانيّةُ بحالة روحيّة ومعنويّة متفائلة، ويتأثّرُ السلوكُ استعداداً للالتحاق بركب الإمام (عجل الله فرجه الشريف)

إنَّ التّأكيدَ على الإيمان بالمهديّ (عجل الله فرجه) من خلال الآيات والروايات الكثيرة والمتواترة، يدلُّ على الأهميّة التي يُوليها الإسلامُ لهذا القائد الرمز، ولدوره وموقعه وأثره في الحياة الإنسانيّة ولعلَّ البعضَ ينصرفُ إلى المعلومات التفصيليّة حول توقيت الظهور ومؤشّراته أكثر ممّا يهتمُّ بأصل الظهور وأثر وجوده.

علماً بأنَّ النتائجَ المتوخّاةَ خلال فترة احتجابه وغيابه عنّا تتحقّقُ بشكل كبير وفعّال بسبب الإيمان به، وهذا ما أشارت إليه الرواياتُ التي تحدّثت عن انتظار الفرج بأنّه أفضلُ العبادة، وأحبُّ الأعمال إلى الله (عزَّ وجلَّ)

ففي الحديث عن أمير المؤمنينَ (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضلُ العبادة انتظارُ الفرج)[١] وفي سؤال لأمير المؤمنينَ (عليه السلام): فأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ أجابَ: (انتظارُ الفرج)[٢]

للإيمان بالإمام المهديّ (عجل الله فرجه) انعكاساتٌ على واقع المؤمنين، نذكرُ منها:

١- شحنة معنوية: إنَّ انتظارَ الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) يزرعُ الأملَ في نفس المؤمن، ويُطمئنُه لحلول قادمة في المستقبل، بحيثُ يرتبطُ بوعد الله (تعالى) الذي لا يُخلِفُ وعدَه، أيّ بالقوّة الفاعلة على الأرض.

فرصيدُ المؤمن من الدعم الإلهيّ يُشعرُه بالقوّة والقدرة، وهذا ما يولّدُ شحنةً معنويّةً تنعكسُ على إرادته وموقفه، حيثُ تصبحُ إرادتُه وتصميمُه وثقتُه بنفسه أقوى أمامَ التحدّيات، وينطلقُ موقفُه بثبات وصلابة واطمئنان، متمسّكاً بالاستقامة والصلاح في مقابل الانحراف والفساد.

٢- ضمان النتيجة: قال (تعالى): ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٣] وذكرت الرواياتُ أنَّ الإمامَ المهديَّ (عجل الله فرجه) سيقيمُ دولةَ العدل الإلهيّة على الأرض، فالنصرُ مؤكّدٌ للمؤمنين، والهزيمةُ حتميّةٌ للكافرين، ولا مجالَ لأيِّ شكٍّ بهذه النتيجة، فهي وعدُ الله (تعالى) وإرادتُه في حياة البشريّة، أن يظهرَ خاتمُ الأئمّة المهديُّ (عجل الله فرجه) في آخر الزمان، ويكون النصرُ الكبيرُ الشاملُ على يديه.

فعندما ينتظرُ المؤمنُ النصرَ القادمَ، يُدركُ بأنَّ خطواته ستتراكمُ مع خطوات الأمّة، وستثمرُ في يوم من الأيّام، حتّى ولو جهلَ تاريخَ هذا اليوم، فتكليفُه أن يكونَ جزءاً من هذا الخطّ، وأن يتوكّلَ على الله (تعالى) فيما يقضي ويقدّرُ.

٣- أثر القيادة: إنَّ تباعدَ الزمان عن التواصل المباشر مع المعصوم، فتحَ بابَ الاجتهاد، لشرح تعاليم الإسلام وتوضيحها لعامة الناس، وتحديد تكليفهم الشرعيّ تجاهها، وأوجدَ ثغرات في التطبيق والمواقف، وتبايناً في الآراء أدّى إلى نشوء فرق

ومذاهب وجماعات، فمَن هو صاحبُ الحقِّ الأكيدِ؟ ومَن يُصيبُ بدقّةٍ أكثر في آرائه ومواقفه؟ إنَّ انتظارَ الإمامِ المهديِّ (عجل الله فرجه) يحسمُ مسارَ القيادةِ المُفترضةِ الطاعة، ويُريحُ المؤمنَ باتِّباعِ مَن يرشدهُ إليه ويكونُ من اتباعه وأنصاره، فيرفعُ حيرتَه حول صوابيّةِ ما يؤدّيه من تكليفٍ شرعيٍّ.

٤- عدم الاستسلام: يعيشُ المؤمنُ واقعاً مريراً في مواجهةِ الكفرِ والانحرافِ، وكأنَّه يقبضُ على الجمرِ، ويُعرِّضُ نفسَه للاحتراقِ، فعن ابنِ مسعودٍ عن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا ابنَ مسعودَ: يأتي على الناسِ زمانٌ، الصابرُ على دينه مثلُ القابضِ على الجمرةِ بكفه)[٤] ويضغطُ الشيطانُ وأعوانُه على المؤمنينَ بزينتهم من ناحيةٍ، وظُلمهم واستبدادهم من ناحيةٍ أخرى، ليحوّروهم عن الطاعةِ للهِ (تعالى) فإذا اعتقدَ المؤمنُ بأنَّه متروكٌ من دونِ أفقٍ للحلِّ، وأنَّه وحيدٌ في الصمودِ والمواجهةِ، فستضعفُ قدرتُه أمامَ الواقعِ الضاغطِ وقد يسقطُ في الامتحانِ، أمَّا مع وجودِ الأملِ بالخلاصِ، فإنَّ الصمودَ يقوى ويشتدُّ، فلا يستسلمُ مهما كانت الصعوباتُ والضغوطاتُ، وهذا ما يجعلُه ثابتاً على الإيمانِ.

٥- إمكانيّة التغيير: عندما يعمُّ الانحرافُ الأرضَ، ويشتدُّ جبروتُ المستكبرين والظالمين، وتبرزُ الصورةُ القاتمةُ لسيطرةِ الشرِّ في العالمِ، يدبُّ اليأسُ في النفوسِ.

ولكن عندما يكونُ الأملُ موجوداً بظهورِ المهديِّ (عجل الله فرجه) واستشرافُ النصرِ حقيقةً لا محيص عنها، يتوقّعُ المؤمنُ تغييرَ الواقعِ، ويشحذُ همّتَه للعملِ الدؤوبِ، وينهضُ بدعوتهِ إلى اللهِ (تعالى) مهما كانت إمكاناتُه متواضعةً، ويبذلُ جهدهُ ليساهمَ في مسيرةِ الاستقامةِ، وبذلك نكونُ أمامَ حيويّةٍ لا تهدأ، وعزيمةٍ لا تنكسرُ.

وَعدَ اللهُ (تعالى) للمؤمنينَ بالنَّصرِ إذا نصروه قائمٌ في كلِّ زمانٍ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٥]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦]

لكن متى تتحقَّقُ شروطُ نصرة المؤمنينَ للهِ (تعالى) ومتى يستحقُّونَ النصرَ؟ تبقى الإجابةُ مرتبطةً بمستوى أداءِ المؤمنينَ، فإذا لم يتوفَّرْ هذا المستوى في زمانٍ ما، لا يتحقَّقُ النصرُ كذلك، ولو بلغَ الأمرُ مساحةَ الحياةِ الإنسانيّةِ. أمَّا التغييرُ وخصوصيةُ النصرِ المرتبطةُ بظهورِ الإمامِ (عجل الله فرجه) فهي حتميّةٌ، حيث ستتحقَّقُ الشروطُ المطلوبةُ وسيظهرُ الإمامُ (عجل الله فرجه) ويسودُ الإيمانُ والعدلُ، فهو وعدٌ لزمانٍ قادمٍ لا يمكنُ تجاوزه وهذه بشارةٌ عظيمةٌ للمؤمنينَ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٧،٨]

المصادر:

١- الشيخ الصدّوق، كمال الدين وتمام النّعمة، الصفحة: ٢٨٧

٢- الشيخ الصدّوق، معاني الأخبار، الصفحة: ١٩٩

٣- القران الكريم: سورة القصص(٢٨) الآية: ٥، الصفحة: ٣٨٥

٤- الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١، الصفحة: ٣٣٠

٥- القران الكريم: سورة محمد (٤٧)، الآية: ٧، الصفحة: ٥٠٧

٦- القران الكريم : سورة الروم (٣٠)، الآية: ٤٧، الصفحة: ٤٠٩

٧- القران الكريم: سورة الصف (٦١)، الآية: ٨، الصفحة: ٥٥٢

الانتظارُ الإيجابيّ وحقيقته البنّاءة رغم امتلاء الأرض بالظّلم

سماحة الشيخ د. عبد القادر يوسف ترنني ـ لبنان

لقد حفظَ المسلمون جميعاً، بل آمنوا إيماناً يقينياً بأنَّ المهديَّ من آل محمَّد (صلوات اللّه وسلامه عليهم) يخرجُ في آخرِ الزمانِ لا محالة خروجاً عظيماً ليملأَ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئَت ظلماً وجوراً، ولم يختلف في هذه الحقيقة أحدٌ من الناس، واللافت هو استخدام النبيّ العربيّ (صلى الله عليه وآله) للفعل (يملأ) و(مُلئَتْ)، والذي يدلّ (عَلَى الْمُسَاوَاةِ وَالْكَمَالِ فِي الشَّيْءِ) إذا الأرض بكلِّ مساحتها وجوانبها، ستكونُ ممتلئةً ظلماً مساوياً لحجمها؛ لذا يُقال: مَلَأْتُ الشَّيْءَ أَمْلَؤُهُ مَلْئًا؛ وَالْمِلْءُ: الِاسْمُ لِلْمِقْدَارِ الَّذِي يُمْلَأُ وَسُمِّيَ كذلك؛ لِأَنَّهُ مُسَاوٍ لِوِعَائِهِ فِي قَدْرِهِ.

من خلالِ هذه المفردة التي اعتمدها الوحي، ليُوَصِّف للنَّاس الحالةَ الصعيبةَ التي ستكونُ عليها الأرضُ وأهلُها، نعرف طبيعةَ المشهدِ الذي سنواجهه، وخطورةَ المواقف التي ستعترض سبيلنا، والأهوالَ التي تنتظرنا، فالظلمُ سيملأُ الأرضَ بحذافيرها، بل ستكونُ الأرضُ كالوعاءِ المُمتلئ ظلمًا إلى آخره، بحيث لن تبقى فيه مساحةٌ ولو صغيرةٌ يوضَعُ فيها شيءٌ آخر، ما يعني أنّ الظلمَ سيكونُ العنصرَ البارز، والمشهدَ الوحيدَ الذي يُعاينه الإنسانُ ويعيشهُ على شتّى الأصعدة، كيفما يَمَّمَ وجهه.

وكما ستكونُ الأرضُ في آخرِ الزمانِ مُمْتَلِئَةً بالصُّوَرِ السلبيَّةِ المختصَرة والمختَزَلَة بمفردة (الظلم) الذي يعني العدوانَ، والفجورِ والانحرافَ، والعصيانَ، والإجرامَ، والقتلَ، وسفكَ الدماءِ وتغييرَ المعالمِ الإنسانية في مناحي الحياة كلها، فإنَّ الكونَ بحذافيره سيكونُ على موعد مع المَهديِّ المُنتظَر (عجّل الله فرجه) الذي سيملأُ هذه الأرضَ نفسَها بما يُضادُّ الظلمَ بجميع مظاهره، وأسبابه، وأساليبه، التي تعوَّد عليها البشر بسبب سطوة القُوى المتوحِّشة التي لا ترحم الإنسان، ولا تؤمن بالإنسانيةِ حقيقةً مهما تستَّرت بستارها، وكذلك بسببِ العدالة الحقَّة التي يحملُها المَهديُّ (عجّل الله فرجه) ليُغطّي مساحةَ الأرضِ على الرغمِ من تغطية الظلم كلَّ ركنٍ من أركانها، وهكذا، تتلاشى صُور الظلمِ وأربابُه وأتباعُه في كلِّ زاويةٍ من زوايا الحياة، حتى إنَّ الظلم ليُوَلِّي الأدبارَ ولا يبقى له من أثر.

وإذا كانت طبيعةُ الانتظارِ للمَهديِّ (عجّل اللّه فرجه) الموعود المحتمَّة تقضي بعدم الظهور إلا متى امتلأت جنباتُ الدنيا كلُّها بالظلم فهذه الحقيقة تدفعُنا لأنْ نحيا الإيجابيَّةَ والأملَ الجميلَ مهما سطا الظلم وانتشر، ثمّ اعتدى على الحرمات بأريحيَّة، لاعتقادِه بعدم وجودِ الفئة القادرة على مواجهته ماديًا ومعنويًا.

وإذا كان الانتظار، بمعناه الإيجابي، يعني استعداد أهل الإيمان استعداداً تامًا لمواجهة الظلم؛ فهذا يعني -أيضاً- أنّني إذا كنتُ ظالماً ومجرماً، وأبطش بالناس، وأعتدي على كراماتهم ووجودهم متسلطا على أرزاقهم وأموالهم وخيراتهم، فكيف يتسنّى لي أن أنتظر مُصلحاً ربَّانيًا مُحمَّديًا أسهم في نشر القسط والعدل.

وإذا كنتُ ملوّثًا بالأخلاق الذميمة والعادات الكريهة، لا أعرف النقاوة ولا الطهارة ولا الصدق في قول أو عمل، فكيف أنتظر ثورةً على الملوِّثين والملوَّثين، الذين يسايرون المجرمين، ويعينون القَتَلَة، ويَسْكُتون عن الجريمة وصُنَّاعها ويقبَلُونَ بالخِزْي والعار؟!

إن الجيش، الذي ينتظر الجهاد الكبير، يقوم برفع معنويّات جنودِه ويُلهمهم روح الثورة، ويصلح نقاط الضعفَ فيهم أنّى وُجدَت، لأنّ كيفية الانتظار تتناسب دائمًا والهدف الذي نحن في انتظاره.

فانتظار قدوم المسافرين الذين نتعامل معهم في قضايا دنيويَّة تجاريَّة عابرة -مثلاً- يدعونا لتجهيز كل أسباب الراحة له، وانتظار عودة حبيب عزيز على قلوبنا، يحملنا على تحضير كل ما يحبه ويريحه، لندخل السرور على قلبه ويشعر بمقدار محبتنا له، وانتظار حلول فصل قطف الثمار، وجني المحاصيل التي نعتمد على ما تدرّه علينا من أموال، يدعونا للاستنفار العام، والاستعداد التام، وتحضير المجموعات اللازمة والآليّات التي تُعيننا على عملية القطف والتوضيب، وإذا كنّا -في شؤوننا الدنيويَّة- نُعدُّ العدَّة لكُلِّ أمرٍ يهمُّنا، فإنَّ الآليّات المناسبةَ التي سنقوم بإعدادها؛ لن تكون إلا على قَدْرِ اهتمامنا بذلك الأمر، وبحسب الحاجات والأولويّات التي نُقَدِّرُها، فعلينا أن نتساءل عن تجهيز الإعدادات المنوطة بنا أفراداً وجماعات، ونحن ننتظرُ ظهورَ مصلح عالميٍّ عظيم يُغيّر مُجريات التاريخ والأحداث، قُبيل الساعاتَ الأخيرة من انتهاء الحياة، كما يتوجَّب علينا أن نحدّد الكيفيَّة اللائقَة التي يجب أن نكون عليها، ونتجهَّز بها عند انتظار تلك الثورة الكبيرة العارمة.

وذلك التغييرُ والتحولُ الإيجابيُّ النورانيُّ الواسع، الذي لم تشهد البشريَّة مثله، ولم يعرف تاريخ الإنسانيَّة له شبيهاً أو مثيلاً؟ إنّ المؤمن الصادق المنتظر الملتزم بتعاليم دينه ونبيِّه، لا يُمكنُه أن يقف من أهمّ قضيّة مصيريّة في التاريخ، قبيل قيام الساعة وانتهاء الوجود البشريّ على وجه الأرض، موقف المتفرِّج إزاءَ خروج قائم آل محمد (عجل الله فرجه) كأنّه مجرّدُ رقم لا قيمةَ له، وليس له علاقة بمجريات الأحداث والتحولات التي قدَ تجعل منه وقوداً لأهل الشرّ إذا لم يكن صاحب موقف وقرار، لذا، كان لا بدّ من الاختيار والوقوف في الصفّ الذي ينتمي إليه المؤمنون الرافضون للظلم، والتوّاقون لنشر العدالة في جنباتها، وهذا ما لا يتحقّق إلا بثباته إلى جانب الثورة العارمة التي تمحق الظلمَ وأهلَه، وتدعم الحقّ وجندَه، فكيف إذا كان إمام الثورة والثائرين، هو بضعةٌ من محمد رسولِ ربِّ العالمين، وهو الذي بشَّر به وحي السماء وجعله الأمل الموعود، الماحي لكلّ مظاهر الجريمة والعدوانِ والجحودِ والكفران؟!

الانتظارُ السلبيُّ عند اليهودِ

مركـــز الدراسات التخصّصيـــة
في الإمام المهديّ (عجّل الله فرجه الشريف)

لعلَّ من أهمِّ التكاليف -إنْ لمْ يكن التكليفُ الأوحدُ للمسلم في زمن الغيبة- هو الانتظارُ الإيجابيُّ المقترنُ بالحركة والسعي الحثيث لإبقاء العلاقة الصالحة مع صاحب الزمان أولاً، وتمهيد الأرضية الخصبة والصالحة لاستقبال مشروعه الإلهيّ ثانياً وهذا الأمرُ بمجرد اقترانه بمشروع السماء لوراثة الأرض وخلافتها ليس بالأمر الهيّن.

من هنا، فلابدّ أن يكون المُنتظرُ على وعي تامٍّ وتطوير مستمرٍّ لقابلياته الذهنية، واقترابه من فكر وتراث أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً سيرهم، وكذلك الاستفادة من القصص والدروس المذكورة في القرآن الكريم والمروية عن أهل البيت، والتي يُستفادُ منها وعورة الطريق في التمهيد أولاً، والنصرةُ والتسليمُ للمُنتظَر ثانياً، والثباتُ معه في مختلف الظروف ثالثاً، فإنّ كُلّ مرحلة من هذه المراحل تمثّل عقبةً وامتحاناً يتساقطُ فيه المنتظرون أفواجاً، إذا لم يتسلحوا بالوعي والمعرفة بالقدر الذي يكفي لأن يجتازوا هذه العقبات.

وإنَّ من القصص العجيبة والمُخيفة التي وردتْ في القرآن الكريم والتي تخصُّ المُنتظرين لبعثة نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله) من اليهود، ما وردَ في تفسير قوله (تعالى): ﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحونَ على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين﴾[البقرة: ٨٩]

حيث ينقلُ السيد الطباطبائيّ في تفسير الميزان هذه القصةَ عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) اقتبستُها كما هي لعظمتها ولخطرها، حيثُ إنّها تضعُ أيدينا على أهمِّ البلاء الذي يُبتلى به المنتظرون.

وفي تفسير العياشي، عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله (تعالى): ﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ﴾ قال (عليه السلام): إكانت اليهودُ تجدُ في كتبهم أنّ مهاجرَ محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ما بينَ عيرٍ وأُحد، فخرجوا يطلبونَ الموضعَ، فمرّوا بجبلٍ يقالُ له: حداد فقالوا: حداد وأحد سواء، فتفرّقوا عندَه، فنزلَ بعضُهم بتيماء، وبعضُهم بفدك، وبعضُهم بخيبر، فاشتاقَ الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم، فمرّ بهم أعرابيٌّ من قيس فتكاروا منه، وقال لهم: أمر بكم ما بين عيرٍ وأحد، فقالوا له: إذا مررتَ بهما فأذنا لهما، فلما توسطَ بهم أرض المدينة، قال: ذلك عير وهذا أحد فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا له: قد أصبنا بغيتَنا فلا حاجةَ بنا إلى إبلك، فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر، أنا قد أصبنا الموضعَ فهلمّوا إلينا، فكتبوا إليهم أنا قد استقرتْ بنا الدارُ واتخذنا بها الأموال وما أقربنا منكم، فإذا كان ذلك أسرعنا إليكم، واتخذوا بأرض المدينة أموالاً، فلما كثرتْ أموالهم بلغَ ذلك تبعٌ ففزاهم، فتحصنوا منه فحاصرهم ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم: إني قد استطبتُ بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم، فقالوا: ليس ذلك لك إنّها مهاجرُ نبيٍّ، وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك، فقال لهم: فإني مخلفٌ فيكم من أسرتي مَن إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلفَ حيين تراهم: الأوس والخزرج، فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموالَ اليهود، فكانت اليهودُ تقول لهم: أمّا لو بُعثَ محمدٌ (صلّى الله عليه وآله وسلم) لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعثَ الله محمداً آمنتْ به الأنصارُ وكفرتْ به اليهودُ وهو قوله (تعالى): (وكانوا من قبلُ يستفتحونَ على الذين كفروا..)

فنجد أنّ هؤلاء المُنتظرين قد تركوا الأهلَ والأرضَ، واستغنوا عن كُلِّ شيء وهاجروا إلى البلد الذي يعتقدون أنّه بلدُ المُنقذ الذي ينتظرونهُ، وكانوا يحاربون ويبذلون ويثقفون ويمهدون له، كُلُّ هذا الانتظار كان حركيّاً وإيجابيّاً، وربما يكون ظاهراً انتظاراً مقبولاً عندَ الله (تعالى) وعندَ رسوله، ولكن بعد أن وصلوا إلى العقبة الثالثة التي ذكرناها في مقدمة المقال، وهي عقبةُ التسليم المُطلق لأمرِ المُنتظَر، بان الخللُ واضحاً جدّاً، حيث أنّ كُلَّ هذا البذل والانتظار والمعاناة التي عانوها، لكنهم كانوا يريدونَ إماماً على مقاسهم، يريدونهُ كما يتمنون أن يكونَ، وهذا من أعظم الدروس لنا كمنتظرين لمُنقذ نعتقدُ بأنّه معصومٌ، ويجب علينا التسليمُ المطلقُ لكُلِّ ما يصدرُ عنه (عجّل الله فرجه)

فهل نحنُ مُستعدّون؟ فلنسأل أنفُسنا هذا السؤال قبل كُلِّ حركة أو فعل، هل نحنُ منتظرون لإمامنا الذي نتمنّى أن يُلبّي طموحاتنا، أم نحنُ منتظرون للإمام كيفما كان سلوكُهُ وحركتُهُ، ولربّما يكونُ سلوكُهُ غير موافق تماماً لأهوائنا ورغباتنا؟

وأخيراً، نسألُ الله (تعالى) أن يرزقَنا الهمّةَ والعزيمةَ، على أن نكونَ من خيرة المهّدين والطائعين والثابتين مع مولانا صاحب الزمان (عجّل الله فرجه) بوعي وبصيرة، ولا يجعلُنا نقولُ قبالَ قوله أو نفعلُ قبالَ فعله إنّهُ أرحمُ الراحمين، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربِّ العالمينَ والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

مؤسّسةُ الانتظارِ والعلاقاتُ العامّةِ

د. سليم المحمدي/ فلسطين

أضحت العلاقاتُ العامّةُ عاملاً هامّاً في نجاح أيّ مشروع سواءٌ كان سياسيّاً أو اقتصاديّاً أو اجتماعيّاً أو ثقافيّاً.

ولم يعدّ الاهتمامُ بالعلاقات العامّة مُنصبّاً فقط في تسويق السلع أو توسّع رقعة الإنتاج، بل امتدَّ الاهتمامُ إلى أبعد من هذا بكثير، حيث أصبحت العلاقاتُ العامّةُ وحملاتُها تُستخدمُ من قبل العديد من دول العالم لتحسين صورتها أمامَ الدول الأخرى بشكل مدروس ومُنظّم.

تمارسُ العلاقاتُ العامةُ دورَها داخلَ المؤسّسة أو المنشأة وتقومُ بدور كبير من خلال ما تنفّذُهُ من دراسات وأبحاث والتي من شأنها رفعُ سُمعة المؤسّسة أو المنشأة أو تحسينُ صورتها لدى جمهورها الخارجيّ.

أنَّ الاهتمامَ بالعلاقات العامّة ليس وليدَ اللحظة، فالتاريخُ يُثبتُ أنّه وُجد منذُ أزمان عدّة، لكنْ لم يكنْ مصطلحُ العلاقات العامّة قد ظهرَ بمفهومه الحاليّ حينها.

لقد اهتمَّ ملوكُ بابلَ بالاتصال بالأهالي، حيثُ كان الحاكمُ يدعو عُمالَهُ وموظفيه في الأقاليم للحضور إلى بابلَ في الأعياد والمناسبات، وخاصةً في عيد حصاد القمح، ويُذيعُ أوامرَهُ وتعليماته في كافة أنحاء المملكة، وكذلك اهتمَّت الحضارةُ المصريّةُ القديمةُ بعلاقاتها مع سكان الأقاليم من خلال عقد جلسات عامة مع السكان، وعندَ اليونان والرومان كانت العلاقاتُ العامةُ تعني: الاتصالَ بأفراد الشعب وقد توسعوا في تلكَ الأنشطةِ نظراً لارتفاع ثقافة الشعب.

وعنيَ الإسلامُ كذلك بالإنسان وكرامته وأفكاره ورغباته ولم تأخذْ الدعوةُ الإسلاميةُ نهجَ الإرغام، بل اعتمدت البراهينَ والإقناعَ والحجّةَ في نشرها، واستخدمَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائلَ الاتصال الشخصية وغيرها، حيثُ كان يوفدُ الرُسلَ ويبعثُ الكتبَ إلى الملوك والأمراء ويدعوهم إلى الدخول في الإسلام.

ويُعدُّ أسلوبُ الإقناع من أهمِّ الوسائل الحديثة التي يقومُ عليها علمُ العلاقاتِ العامّة، وقد اهتمَّ الإسلامُ بعد فتح البلدان بكتابات الفقهاء في التوجيه والإرشاد، وكانوا يرون في تلاوة القرآن أثراً قويّاً في رفع الروح المعنوية للمسلمين في الحرب والسِّلم.

وقد دعا الدّينُ الإسلاميُّ إلى المعاملة الحَسنة والمعشر الطيب، لِمَا لذلك من أثر في تصفية النُّفوس وتقريب بعضها من بعض حتى كانت الكلمةُ الطيبةُ في الإسلام أجرَها الصدقة، حيثُ تعتبرُ الكلمةُ الطيبةُ الخطوةَ الأولى في جسر بناء العلاقات العامّة، فكم من كلمة جبرتْ قلوباً مكلومةً وجمعتْ بين متضادين، وأخرى شتَّتَ مجتمعين مع الأسف.

عُرفت العلاقاتُ العامّةُ بمفهومها الحديث مع بداية القرن العشرين، حيثُ كانت الثورةُ الصناعيّةُ أحدَ نتائج التّقدم الصناعيّ في المجتمعات الغربيّة، والتي اعتمدت على الإنتاج الوفير، وبالتالي تضاعف أعداد الجماهير التي تتعاملُ معها هذه المؤسّساتُ، الأمرُ الذي شكّلَ صعوبةً على أصحاب الأعمال في الاتصال بهم وكسبَ رضاهم.

و دعا علمُ الإدارة الحديث إلى معاملة المُستخدمينَ معاملةً أخلاقيّةً إنسانيّةً، ونبّه إلى ضرورة رعاية مصالح الجماهير الخارجيّة، حيث تطورت العلاقاتُ العامةُ وازدادت أهميتُها بصورة ملحوظة، فباتت تؤدي دوراً كبيراً في المجتمعات العصريّة.

وكان للتقدم العلميّ والتكنولوجيّ وتنوُّع وسائل الاتصال والإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وأجهزة طباعة، تأثيرٌ كبيرٌ في زيادة أهمية وفعاليّة العلاقات العامّة بصفة أكبر مما مرَّ، فهيَ وظيفةٌ إداريةٌ بحتةٌ لتقييم اتجاهات الجمهور، ويتبعُ هذه العمليةُ المستمرةُ السياساتِ والأنشطةَ للمنظمة والتي تتماثلُ مع مصالح الجمهور.

ولو أردنا إسقاطَ تطبيقات علم العلاقات العامّة في مؤسّسة الانتظار المُقدس، نجدُ أنّها وظيفةٌ مميزةٌ تساعدُ في تأسيس خطوط الاتصال والتعاون المتبادل بين أفراد وفئات المشروع المُقدس وتشملُ كذلك إدارةَ المشاكل والقضايا، وتساعدُ النُخبَ المتصديّةَ على أن تظلَّ على معرفة برأي المجتمع وكيفية التفاعل مع متطلباته.

فالجهودُ التي يبذلُها الفريقُ المُتصدي لنشر مشروع الانتظار، والذي يسعى لإقامة علاقات الثقة وإدامتها بين أفراد المجتمع من خلال تتبُّع وربط وتفعيل منظومة العلاقات، لا بدَّ أن تكون مميزةً وفريدةً.

فالفردُ المُنتظِرُ الذي يرى نفسهُ عضواً أساسياً في منظومةِ مؤسَّسةِ الانتظارِ، والذي يسعى ويعملُ بجدٍّ وانتباهٍ لصناعةِ شبكةٍ من العلاقاتِ، ويسعى لإدماجِها بشكلٍ فريدٍ من أجلِ تحقيقِ أهدافِ المشروعِ المقدسِ، يجبُ أن يكونَ على درايةٍ تامةٍ بكافةِ أساليبِ ونظمِ تلكَ العلاقاتِ وكيفيةِ توظيفِها.

فتوظيفُ العلاقاتِ العامَّةِ بالشكلِ الناجحِ هو أحدُ الأهدافِ الأساسيَّةِ والتي تسعى أيُّ مؤسَّسةِ انتظارٍ أو مؤسَّسةٍ كبرى لامتلاكِها، حيثُ تُعتبرُ عاملاً ناجحاً يحققُ أهدافَ المؤسَّسةِ فهو يعتبرُ المفتاحَ الأساسيَّ للتواصلِ على جميعِ المستوياتِ.

لذا يجبُ أن تتَّوفرَ في العاملينَ على نشرِ أهدافِ مؤسَّسةِ الانتظارِ المُقدسَّةِ مجموعةٌ من المهاراتِ والصفاتِ التي تؤهِّلهم لأداءِ مهامهم على أكملِ وجهٍ، ليرتقي بحالةِ إحياءِ أمرِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) وإحياءِ بقيَّتِهم الموعودِ (عجَّلَ اللهُ فرجه) فهمُّ أمامَ مسؤوليَّةٍ دينيَّةٍ واجتماعيَّةٍ من نوعٍ خاصٍ وحسَّاسٍ، لما له من أثرٍ على صعيدِ الدُّنيا والآخرةِ على المدى القريبِ والبعيدِ.

وبشكلٍ عامٍ، فإنَّ العاملينَ في جهازِ العلاقاتِ العامَّةِ داخلَ مؤسَّسةِ التمهيدِ لا بُدَّ أن يتميَّزوا ببعضِ الصِّفاتِ والمميِّزاتِ لما لهذهِ الوظيفةِ من أهميَّةٍ وخصوصيَّةٍ في العملِ.

أولاً: أن يُقدِّرَ عملَهُ، ويؤمنَ بقيمةِ هذا العملِ المقدَّسِ، ويضعَ مسؤوليتَه أمامَ ضميرِه، وأمامَ المولى (سبحانهُ)

ثانياً: أن تكونَ رسالتُهُ المهدويَّةُ الموجَّهةُ نحو أطيافِ المجتمعِ نابعةً من ضميرِه، وولائِه لإمامِ زمانِه، وواعزِه الأخلاقيِّ، وأن يكونَ مُلمّاً بواجباتِه ومسؤوليّاتِه، مُحبّاً لها.

ثالثاً: أن يكونَ على قَدرٍ من العطاءِ وتحمّلِ المسؤوليَّةِ، وأن لا يجدَ العوضَ والشكرَ إلا من اللهِ (تعالى) وأن يكونَ هدفُه تقديمَ صورةٍ طيبةٍ عن مؤسَّسةِ الانتظارِ والتمهيدِ ليكافئَه المولى على مساعيه.

رابعاً: أن يتوافرَ لديه الإخلاصُ في عملِه وإتقانه، وأن يُراعي أنّ هذا العملَ مسؤولٌ عنهُ أمامَ اللهِ (تعالى) وسيحاسبُهُ عليه.

خامساً: يجبُ أن يعرفَ القائمُ بالاتصالِ في مهنةِ العلاقاتِ العامَّةِ أنّ لهُ دوراً مهمّاً في حياتِه بشكلٍ عامٍ، ونحوِ مؤسَّستِه ومجتمعِه بشكلٍ خاصٍّ، وأنّ مدى نجاحِه الشخصيِّ والاجتماعيِّ ينعكسُ على عملِه، فبالتالي يُقدِّرُ عملَهُ ويحترمُهُ، ويضعُ نصبَ عينيهِ أنّهُ يُقدِّمُ خدمةً جيدةً للمجتمعِ المهدويِّ، وبالتأكيدِ أنّ مهنةً أو مرتبةً مثلَ هذهِ تحتاجُ إلى فردٍ اجتماعيٍّ بطبعِه وقادرٍ على إقامةِ علاقاتٍ جيدةٍ مع الناسِ، وبالتالي يستطيعُ كسبَ ثقتِهم وتأييدِهم.

سادساً: مراعاةُ أداءِ الأعمالِ بدقةٍ، وبالذوقِ السليمِ، والصدقِ والأمانةِ، والعدلِ، الذي يتطلبُ الموضوعيةَ في الأحكامِ، وعدمَ التحيّزِ العنصريِّ أو الشعبويِّ، أو السياسيِّ أو الدينيِّ، بالإضافةِ إلى عدمِ التحيّزِ في السلوكِ وإصدارِ الأحكامِ والاستنتاجاتِ، بحيثُ يكونُ مُتعففاً عن التأثرِ بشعورِه الشخصيِّ أو منفعةٍ خاصةٍ.

سابعاً: السمةُ الطيبةُ، والسلوكُ المقبولُ اجتماعياً، ودماثةُ الخُلقِ، لأنّ هذهِ الصفاتِ توفّرُ مصداقيةَ العاملينَ على تنشيطِ العلاقاتِ العامَّةِ أمامَ الجمهورِ.

ثامناً: التحلّي بالصبرِ والحلمِ، والشخصيةِ المُحبَّبةِ، فيجبُ أن يتصفَ بالاستقرارِ النفسيِّ والهدوءِ، وعدمِ الانفعالِ في التعاملِ مع الآخرينَ، وسريعِ البديهةِ، حسنِ التصرّفِ في الاستجابةِ للتغيراتِ ولاسيما عندَ الأزماتِ، فيجبُ أن يكونَ حكيماً في اتخاذِ قراراتِه المُطالبِ بها بسرعةٍ.

تاسعاً: توافرُ المهاراتِ الإنصاتيةِ والكتابيةِ، فالإنصاتُ مهارةٌ لا تقلُّ أهميةً عن الكتابةِ والقراءةِ وغيرِها، وتوافرُ مهاراتِ الكتابةِ تعني القدرةَ على وضعِ المعلوماتِ والأفكارِ على الورقِ بوضوحٍ وبإيجازٍ وبلغةٍ سليمةٍ، هذا إلى جانبِ مهاراتِ التحريرِ والإلمامِ بالفنونِ، كالتصويرِ وإعدادِ الخططِ والتصاميمِ وغيرِها.

عاشراً: تحمّلُ ضغطِ العملِ، كعددِ الساعاتِ والسفرِ والاختلاطِ أحياناً والتعاملِ مع أشخاصٍ من بيئةٍ أخرى وثقافةٍ مختلفةٍ في اللباسِ والأكلِ والكلامِ.

فالإلمامُ بسياسةِ مؤسَّسةِ الانتظارِ وأهدافِها، وكذلك بمواصفاتِ الصورةِ المهدويّةِ التي تنتجُها، أو الخدمةِ التي تقدّمُها للمجتمعِ، سينعكسُ على نجاحِ تعميقِ الولاءِ لهذهِ الغايةِ المُقدسةِ، ألا وهي التمهيدِ من خلالِ الاهتمامِ بالعلاقاتِ العامَّةِ وبحثِها بجديةٍ كافيةٍ كتخصصٍ داعمٍ لمؤسسةِ الانتظارِ المُقدسِ، فيجبُ دراسةُ محاورِه وأبعادِه وما يُقدَّمُ من منافعٍ ومكاسبَ للعاملينَ الذين تطوّعوا أن يعملوا داخلَ مؤسسةِ الانتظارِ والتمهيدِ، فالمطلوبُ من جميعِ شيعةِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) أن ينخرطوا فيها، ويوفّروا لها الدعمَ والحمايةَ بكلِّ ما يستطيعونَ.

توظيفُ الإعلامِ في عمليّةِ التمهيدِ للظُّهورِ المبارك

د. محمد محمود مرتضى
مديرُ مركز تراثا للدراساتِ والبحوث - لبنان

بعد أن أصبحَ الإعلامُ القوّةَ الأبرزَ في تشكيلِ وعي المجتمعات، لم يعدْ من الممكنِ اعتبارهُ مجرّدَ أداة أوَ وسيلة محايدة لنقلِ المعلوماتِ والأحداث، وإنّما باتَ صناعةً متكاملةً تُنتِجُ التّصوّرات الجماعيّة، وتُوجّهُ السلوكَ الاجتماعي، وتُؤثّرُ في وعي النّاس.

وإذا كانت القوى الاستكباريّةُ قد أدركتْ مُبكّراً أنّ السّيطرةَ على الإعلام تعني السّيطرةَ على عقولِ الأمم فإنّ المشروعَ التّمهيديَّ لظهورِ الإمام المهديّ (عجّل الله فرجه) لا يمكنُ أن يتحقّقَ بالكاملِ دونَ جعلِ الإعلامِ جزءاً أصيلاً وأساسيّاً في بُنيته؛ فالإعلامُ اليومَ يشغلُ موقعَ القلب في أيّ مشروع رساليٍّ تغييريّ.

أولاً: الإعلام بوصفه جبهة تمهيدية

للتمهيد بُعدٌ ثقافيٌّ وحضاريٌّ وقيَميّ، ويأتي الإعلامُ في صدارةِ هذا البُعد ليكونَ أداةً أساسيّةً في بناء وإعداد الرأي العامّ، على الصّعيدين الفكريّ والنفسيّ لاستقبالِ مشروعِ الإمام المهديّ (عجّل الله فرجه)

فالجولةُ الحاسمةُ في أيّ معركة تبدأ في العقول والقلوب قبلَ السّاحات والميادين، وفي عصرِ الغيبةِ يُصبحُ الإعلامُ وسيلةً لـ«جهاد التّبيين» في مواجهةِ «حروب التّضليل» المُنظّمة من قِبَلِ القوى المُسيطرة، وبينما يُركّزُ الإعلامُ الغربيُّ على تطبيعِ الظّلم، ونشرِ النّزعة الفردانيّة، وإقصاءِ الدّين، يجبُ على الإعلامِ المُمهّد أنَ يعملَ على تعزيزِ ارتباطِ النّاسِ بالله، والإيمانِ بوعدِه بالعدل، وترسيخِ قيمِ المقاومةِ والصّبر.

ثانياً: وظائف الإعلام المُمهد

يمكنُ تحديدُ الوظائفِ الأساسيّةِ للإعلامِ التّمهيديِّ للمشروعِ المهدويِّ في أربعةِ مستوياتٍ مترابطة:

١- البناءُ الفكريّ ونشرُ الوعي العقديّ

يرتكزُ الدّورُ الأساسيُّ للإعلامِ المُمهّدِ على ضرورةِ تثبيتِ وترسيخِ القضيّةِ المهدويّةِ في الوعي الجمعيّ، من خلالِ خطابٍ معرفيٍّ عميقٍ يتجاوزُ الشّعاراتِ السطحيّةَ إلى عمقِ المعرفة؛ بحيثُ يعملُ هذا الخطابُ على شرحِ مفاهيمِ الغيبة، وفلسفةِ الانتظار، ومسؤوليّاتِ الفردِ تجاهها، مستنداً إلى نماذجَ تاريخيّةٍ صادقةٍ في الثّباتِ والصّبر، ليهدفَ إلى تحويلِ المهدويّةِ من فكرةٍ مستقبليّةٍ مُجرّدة إلى حقيقةٍ حيّةٍ تُوجّهُ السلوكَ اليوميَّ للأفرادِ في حركةِ التّعاملاتِ والعلاقات.

٢- نقدُ الخطابِ الاستكباريِّ المُضادّ وتفكيكُه

يقومُ الإعلامُ المُعادي بتهميشِ البُعدِ الغيبيّ، والسُّخريةِ من مفهومِ الانتظار، والتّرويجِ لصورةِ الإنسانِ المنفصلِ عن الوعدِ الإلهيّ في أصلِ المشروعِ المهدويّ. وفي مواجهةِ ذلك، يتحتّمُ على الإعلامِ المُمهّدِ كشفُ آليّاتِ التّضليلِ القائمةِ على تعميةِ الحقائقِ وتزييفِها تحتَ شعارِ الحريّة، والتّلاعبِ بالمصطلحات، وتشويهِ صورةِ المقاومة، وتصويرِ القضايا العادلةِ وكأنّها مجرّدُ نزاعاتٍ محليّةٍ لا عمقَ قيَميّاً لها. ويُعدُّ هذا التّفكيكُ شرطاً أساسيّاً لتخليصِ الوعيِ العامّ من الشوائبِ التي تحولُ دونَ قبولِ المشروعِ المهدويّ.

٣- صياغةُ وبناءُ روايةٍ بَديلةٍ متكاملة

لا يقتصرُ دورُ الإعلامِ على نقدِ سرديّاتِ الخصوم، بل يتعدّاهُ إلى بناءِ رؤيةٍ عالميّةٍ إسلاميّةٍ شاملة، تُقدّمُ إجاباتٍ عن الأسئلةِ الكبرى: مكانةِ الإنسانِ كخليفةِ الله، وهدفيّةِ مسارِ التّاريخ، والوعدِ بمستقبلٍ تتحقّقُ فيه العدالةُ الشاملة.

وتُقدَّمُ هذه السّرديّةُ عبرَ وسائلَ إبداعيّةٍ معاصرة كالأفلام، والمنصّاتِ الرّقميّة، والفنون، ممّا يجعلُ الفردَ يشعرُ بأنّه جزءٌ من قصّةٍ كبرى تمنحُ حياتَه معنىً يتجاوزُ ذاتَه الضيّقة.

٤- بناءُ وتعزيزُ الهويّةِ الجماعيّة

في عصرِ الغيبة، حيثُ تتشتّتُ الأمّةُ وتتعرضُ لفتنٍ متناقضةٍ، يلعبُ الإعلامُ دورًا محوريّاً في صياغةِ وعيٍ جماعيٍّ مُوحّد، يعملُ على ترسيخِ الهويّةِ المشتركةِ للأمّةِ المستضعَفة، المنتظرةِ لتحقيقِ الوعدِ الإلهيّ. فكلُّ إنتاجٍ إعلاميٍّ -سواءٌ كان أنشودةً هادفة، أو فيلماً، أو مقالةً أو حملةً رقميّة- يمكنُه الإسهامَ في تقويةِ نسيجِ الأمّةِ الدّاخليّ، وتهيئتِها للالتحاقِ تحتَ قيادةٍ واحدةٍ عندما يحينُ الوقتُ الموعود.

ثالثاً: التحديات التي تواجه الإعلام المُمهد

يواجهُ توظيفُ الإعلامِ في التّمهيدِ للمشروعِ المهدويّ تحدّياتٍ جسيمة، من أبرزِها:

١- هيمنةُ المنظوماتِ الإعلاميّةِ العالميّة، وسيطرةُ القوى الكبرى على وسائلِ الإعلامِ المؤثّرة، ممّا يُعرّضُ الرّسالةَ المهدويّةَ للتّشويهِ أو التّهميش.

٢- سيطرةُ الخطابِ الاستهلاكيّ، وانغماسُ الجمهورِ في ثقافةِ التّرفيهِ السّطحيّ، ممّا يُقلّلُ من استعدادِه لتلقّي خطابٍ فكريٍّ عميق.

٣- الفجوةُ التّقنيّةُ والإنتاجيّةُ، والحاجةُ إلى إمكاناتٍ وقدراتٍ تكنولوجيّةٍ كبيرةٍ للمنافسةِ إعلاميّاً، في وقتٍ لا

يـزالُ فيـه الإعـلامُ الرّسـاليُّ يعتمـدُ جزئيّـاً علـى أدوات تقليديّة بطيئة الأثر.

٤- الأختـراقُ الثّقـافيُّ والتّشـويه، وإمكانيّـةُ اسـتغلال التيّـارات المتطرّفـة للخطـاب المهـدويّ وربطـه بالعنـف أو الخرافة، ممّا يُشوّهُ صورتَه الحقيقيّة.

لـذا، أصبحـت قضيّـةُ تطويـر وعـي اسـتراتيجيٌّ قضيّـةً حيويّةً وضروريّة، لتمكين الإعلام التّمهيديّ من التّفاعل بفاعليّـة مـع المشـهد العالَمـيّ، دونَ أن يُفقـدَه ذلـك أصالتَـه وجوهرَه.

رابعاً: استراتيجيّاتُ تطويرِ الأداءِ الإعلاميّ المُمهِّد

لمواجهة هـذه التحدّيات وتحقيق الأهداف المنشودة يمكنُ اعتمادُ الاستراتيجيّاتِ العمليّة الآتية:

١- الانتقـالُ مـن التّلقـين إلـى التّفاعـل، بتحويـل الخطـاب مـن نمـط الإرسـال الأحـاديّ إلـى حـوارٍ تفاعلـيٍّ يُشـجّعُ على المشاركة في صناعة المحتوى.

٢- توظيـفُ الفـنّ واسـتثمارُه لغـةً عالميّـة، عبـرَ الإنتـاج الفنّـيّ الهـادف لاختـراق الحواجـز الثّقافيّـة ونقـل الرّسـالة بفاعليّة.

٣- التّركيـزُ علـى الفضـاء الرّقمـيّ بصفتـه فضـاءً مركزيّـاً مـن خـلال بنـاء حضـورٍ قـويٍّ علـى المنصّـات الحديثـة ومحتـوى مبتكـرٍ بلغـة العصـر مـع الحفـاظ علـى المضامـين الجوهريّة.

٤- إعـدادُ كوادرَ إعلاميّـة رسـاليّة متخصّصـة، تجمـعُ بـين العمق في الفكر المهدويّ، والكفاءةُ الإعلاميّة والتّقنيّة.

٥- بنـاءُ شـبكاتٍ إعلاميّـة عابـرةٍ للحـدود، تُنتـجُ محتـوى متعـدّدَ اللّغـات، وتُشـاركُ في الحـواراتِ العالميّـة حـول قضايا العدالة والمستقبل.

خامساً: البُعدُ الخُلُقيُّ في الإعلام المُمهِّد

يجـبُ أن يظـلَّ الإعـلامُ التّمهيـديُّ متمسّـكاً بالفضائـل الخُلُقيّـة الرّاسـخة، كالصـدق والتّـوازن ورفـض التّضليـل والابتعـاد عـن إثـارة الغرائـز؛ فهـو إعـلام يهـدفُ إلـى تربيـة الإنسـان المنتظـر، وبنـاء نمـوذج بديـل عـن الإعـلام القائـم على الإثارة والمصالح.

ولا يقتصـرُ دورُ الإعـلام التّمهيـديّ علـى ترسـيخ الهويّـة والوعـي، بـل يمتـدُّ إلـى إبقـاء القضيّـة المهدويّـة حيّـةً في وجـدان الأمّـة، مُحـوّلاً الانتظـارَ مـن حالـة مُنفعلـة إلـى حركة فاعلة مستمرّة. فهو الجسرُ الّذي يربطُ بين زمن الغيبـة وزمـن الظهـور، حيـثُ يُمثّـلُ كلّ محتـوى إعلامـيٍّ لَبِنـةً في هـذا الجسـر. وعنـدَ اكتمالـه، يكـونُ هـذا الإعـلامُ أحـدَ جنـودِ الإمـام (عجّـل الله فرجَـه) وقـد هيّـأ العقـولَ والقلوبَ لاستقبال دَولة العدل الإلهيّ. وبذلك، يُصبحُ توظيفُ الإعلام في عمليّة التّمهيد ضرورةً حتميّة، وهو الصّورةُ العصريّةُ لـ (جهادِ التّبيين) الّذي يسبقُ الميدان.

إنّي أجدُ في نفسي ضعفاً

هذا قولُ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولم يكن لجوءُ رسولِ الله إلى فاطمةَ الزهراء في حديث الكساء مجرّدَ لجوءِ أبٍ إلى ابنته للتداوي من ضَعفٍ بدنيّ، بل كان لجوءاً لطلب الراحة النفسيّة والبركة الإلهيّة من خلالها؛ لأنّه كان يجدُ في بيت السيّدة فاطمةَ الزهراء (عليها السلام) السكينةَ والمكانةَ الروحيّة، ومصدرَ القوّة المعنويّة التي لا يجدُها في مكانٍ آخر.

ونستنتجُ من ذلك، أنّ هناك رسالةً أراد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إيصالَها إلى الأمّة من خلال موقفه الشخصيّ، مفادُها: أنّ مصدرَ القوّة والنجاة والوصول إلى الله (تعالى) يكونُ في التمسّك بفاطمةَ وأهلِ بيتها (عليهم السلام)

إنّ النبيَّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حين قال: (إنّي أجدُ في بَدَني ضَعفاً)[مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القميّ] كان يُمكنه أن يستريحَ في أيّ مكانٍ آخر، لكنّ اختياره بيت فاطمة كان لعدّة أسباب:

أوّلاً: هذه رسالةٌ من الرسول إلى الأمّة مفادُها: أنّه إذا شعرت الأمّةُ بالضَعف أو احتاجت إلى النجاة، فمرجعُها هو بيتُ فاطمة، بيتُ أهل الكساء، وهم فاطمةُ وأبوها وبعلُها وبنوها، لأنّ هذا البيتَ فيه القوّةُ المستمدّةُ من العناية الإلهيّة.

ثانياً: يدلّنا رسولُ الله على أنّ أهلَ هذا البيت (عليهم السلام) هم محورُ القوّة والبركة والطهارة، ومَنْ تمسّك بهم فقد تمسّك بالعروة الوثقى التي لا ضعفَ فيها.

ثالثاً: أراد الرسولُ أن يُبيّنَ أنّ أهلَ البيت، هم الامتدادُ الحقيقيّ للنبوة، والمسؤولون عن حفظ الإسلام بعده، فالعنايةُ الإلهيّةُ التي شملتهم بآية التطهير، هي ضمانةُ استمرار خطّ الهداية.

رابعاً: يؤكّد رسولُ الله هنا أنّهم أعظمُ قوّةٍ للأمّة بعد النبيّ، وأنّ قوله: «إنّي أجدُ في بَدَني ضَعفاً» هو مقدّمةٌ إلهيّةٌ لتعيين المرجعيّة الصالحة والقويّة، التي تضمنُ استمرارَ خطّ الهداية وحفظَ الإسلام إلى الأبد.

وفي الختام، نسألُ الله (تعالى) أن يجعلنا وإيّاكم من المُتمسّكين بولايتها، والسائرين على نهجها، ورزقنا شفاعتَها في الدنيا والآخرة.

كاظم الموسوي البخاتي/ ميسان

المنهجيّة الموضوعيّة في فهم القضية المهدوية ج٣

مثنى الطائي - ذي قار

تحدَّثنا في العدد السابق عن المنهج الموضوعيّ في تخصص القضية المهدويّة حول المنظومة الحديثية و القرائن الروائية، وقدرة المتخصّص المهدويّ في التحقيق الروائيّ المتعلق بروايات علامات الظهور والقدرة على تفكيك رموزها وبيان معانيها، وتحويلها من نصوص جامدة إلى واقع اجتماعي يتفاعل معه المؤمنون، ولأهمية المتخصص في المنهج البحثي لروايات علامات الظهور نسلّط الضوء في هذا العدد على عوامل ومرتكزات مهمة وأساسية ينبغي توفّرها في الباحث المتخصّص:

٩- الهدى العقائديّ والاستقامة الإيمانية للباحث:

عندما نريد أن يكون بحثنا تخصّصياً موضوعياً في القضية المهدويّة، علينا التأكيد على بعض الصفات الموضوعية في شخصية الباحث، لأنه ركنٌ أساسٌ ووثيقٌ في عملية البحث، ومن أهمّ صفات الباحث: يجبُ أن يتسمَ بالسلامة العقائدية والاستقامة في دينه ونهجه وسلوكه، وأن تكونَ له حصانةٌ علميةٌ وقدرةٌ تحقيقيةٌ كافيةٌ، وأن يكونَ ضمنَ دائرة الهدى المتمثّلة باتباع مراجع الهدى العدول التقاة (تقليداً أو احتياطاً أو اجتهاداً) وأن يكونَ بارعاً في مجال العلوم الأصولية والعلوم الساندة التي تمكّنُه من الإبحار في البحث والتحقيق الروائيّ والسنديّ والمتنيّ للروايات الشريفة، والغور في أعماقها وجواهرها، وتمييزه عن ادعاء العلم والمنحرفين والكذابين والدجالين والمتسلّقين والمتطفّلين على القضية والمتاجرين بها.

١٠- الخبرة والمعرفة الاجتماعية والتاريخية للباحث:

إنَّ قضيةً مهمةً وجوهريةً مثلَ القضية المهدوية لا يتوقفُ التخصصُ بها على التحقيق في الروايات الشريفة فحسب، بل يتعدى الأمرُ أبعدَ من ذلك، لتدخل عواملُ عدةٌ في هذه القضية، إنَّ مثلَ القضية المهدويّة لها أبعادٌ اجتماعيةٌ وتاريخيةٌ، وجغرافيةٌ البلدان المتعلقة بعلامات الظهور، ينبغي للمتخصص أن يكونَ ضليعاً وخبيراً بها وبمعرفتها.

فالجانب الاجتماعيّ حاكمٌ على القضية، فهناك أحداثٌ وحراكاتٌ اجتماعيةٌ وفتنٌ ورايات وشخصياتٌ تمثّل قطبيّ الصراع، وصراعاتٌ وحروبٌ وتقلباتٌ اجتماعيةٌ ينبغي للمتخصص البارع أن يكونَ ضليعاً في علم الاجتماع، وكيفية فهم المجتمع والتعامل معه بما يخدمُ القضيةَ، على مستوى الفرد والمجتمع، فالمنضوي والمنعزل اجتماعياً لا يستطيعُ الإبداعَ في أطروحته لأنها تكونُ أقربَ إلى التنظير من الواقعية والانسجام مع العامل الاجتماعيّ، كونَ الحراك الاجتماعيّ ركنٌ أساسيٌ ومهمٌ في الحراك المهدويّ وتحقيق الأطروحة المهدويّة التي أُركنَت وعُطّلت بسبب تعطيل هذا الحراك وتخليه عن أهمّ مسؤولية مناطة به، وتوجيه الأمة وتعبئتها لأجل القيام بمسؤوليتها، فالمتخصّص يحملُ أعباءَ الحراكَ المهدويّ وتربية الأمة وتوعيتها وتوجيهها، كونَ الواقع الاجتماعيّ عشيةَ الظهور الشريف يمرُّ بمخاضات عسيرة جداً وغربلة وتمحيص، وستتكالبُ قوى الشرّ والغطرسة على هذا الواقع، وسيتمُ استهدافُه فكرياً وثقافياً وأمنياً وإعلامياً، فدورُ المتخصص هو تربية الأمة وتنبيهها لوعيها ولذاتها، لأنَّ الأحداثَ الاجتماعية ستكونُ ضاغطةً جداً، والفتنُ ستبلغُ ذروتَها ما لم تتمرن هذه الحواضرُ الاجتماعيةُ على مواجهة واستيعاب تلك الفتن، لأنَّ بعضَ الفتن تعملُ على صقل وعي الأمة وتهذيبها وتربيتها وتشذيبها لتكونَ قادرةً على تحصين نفسها وتجذير وعيها بالمخاطر التي تحدقُ بها، وتذكيرهم بطبيعة الدور الموكل بهم كي يقوموا بالمهام التي تقعُ على عاتقهم في عملية التمهيد للظهور الشريف وما بعدَهُ مما يجعلُها أكثر قابلية في تحمل الأعباء المرتبطة بعملية التمهيد والنصرة على مستوى الفرد والجماعة، فقد رُوِيَ عن أبي عبد الله (عليه السلامُ) أنّه قال: "في أيِّ شيء أنتم هيهات هيهات، لا والله لا يكونُ ما تمدونَ إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا واللهِ لا يكونُ ما تمدونَ إليه

أعينَكم حتى تميزوا، لا واللّه لا يكونُ ما تمدونَ إليه أعينَكم حتى تمحصوا، لا واللّه لا يكونُ ما تمدونَ إليه أعينَكم إلا بعدَ إياس، لا واللّه لا يكونُ ما تمدونَ إليه أعينَكم حتى يشقَى مَن يشقى ويسعدُ مَن يسعدُ" (١).

فالمتخصصُ المهدويُّ تقعُ على عاتقه مسؤوليةُ بناءِ الفردِ والجماعةِ المهّدةِ والمنتظِرة، وتربيتهم وتعبئتهم فكرياً وتربوياً وروحياً، كونهم بأمسِّ الحاجةِ إلى القائدِ والموجّه والمرشدِ والقدوةِ الذي يأخذُ بأيديهم نحو جوهرِ القضيةِ والهدفِ الحقيقيِّ المرادِ منهم، خصوصاً وأنّ الساحةَ في ذلكَ الوقتِ تتقاذفُها السُنُ وأقلامُ المدعينَ والكذابينَ والأفاكينَ مما يُلبسُ الأمرَ على الكثيرِ من العوامِ ويبعدُهم عن ساحتهم الحقيقية.

وبذلكَ يتحقّقُ شرطٌ مهمٌ وأساسيٌّ في رفعِ الأسبابِ الموضوعيةِ المتعلّقةِ بغيبةِ إمامنا (أرواحُنا فداهُ) وإدامةِ عمليةِ التكاملِ وإيقادِ شعلةِ الأملِ المتمثلةِ بحتميةِ ظهورِ المنقذِ في نفوسهم، حيثُ رُوِيَ عن الإمامِ الكاظمِ (عليهِ السلامُ) أنّه قالَ: "إنَّ الشيعةَ تُربى بالأماني" (٢).

وما يترتبُ على الشعورِ بالمسؤوليةِ والأملِ بالمستقبلِ المحتومِ، من بلورةِ لواقعٍ تتحسسُ فيه الحواضرُ والنخبُ الاجتماعيةُ، المؤمنةُ بالانتماءِ إلى فكرهِ و"مشروعِ الانتظارِ" وما يعكسُهُ عليهم من إفاضاتٍ عمليةٍ وفكريةٍ وروحيةٍ وتربويةٍ تدفعُ بهم نحوَ تحقيقِ أهمِّ شرائطِ الظهورِ الشريفِ، فقد رُوِيَ عن الإمامِ أميرِ المؤمنينَ (عليهِ السلامُ) أنّه قالَ: "انتظروا الفرجَ ولا تيأسوا من روحِ اللّه فإنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى اللّه انتظارُ الفرج" (٣) وكما ذُكرَ في أحاديثَ كثيرةٍ عنهم (عليهم السلامُ): "إنَّ أفضلَ الأعمالِ هو انتظارُ الفرج" لأنَّ الانتظارَ بالعملِ كفيلٌ بكسرِ روحِ اليأسِ والانهزامِ والقضاءِ على العجزِ والإحباطِ وفقدانِ الأملِ، لأنها أدواتٌ يركزُ عليها العدوُ وتعتبرُ أهمَّ أسلحتهِ في مواجهةِ مجتمعِ المنتظرينَ وهذا بحدِّ ذاتهِ يُعتبرُ بدايةَ الفلاحِ وبوابةَ الفرجِ والتغييرِ.

أما فيما يتعلقُ بالخبرةِ التاريخيةِ، فكما تعلمونَ أيّها الأحبّةُ أنَّ نصوصَ رواياتِ الظهورِ الشريفِ تختلفُ عن النصوصِ الفقهيةِ، فكلٌّ له علمُهُ وفنُّهُ وعالمُهُ الخاصُّ، فنصوصُ رواياتِ العلاماتِ تتحدثُ عن حدثٍ إسلامي وسياسي وتاريخي كبيرٍ، تتعلقُ به الرسالةُ الإسلاميةُ ويرتهنُ مصيرُ الإسلامِ ومستقبلُهُ وحتميةُ إقامةِ حكمِ العدلِ الإلهيِّ الموعودةِ، وهذا الحدثُ له ظروفٌ زمانيةٌ ومكانيةٌ تختلفُ عن الظروفِ الزمانيةِ والمكانيةِ في زمنِ النصِّ، والظروفِ التي تحيطُ بالمعصومِ (عليه السلام) آنذاك.

فقد تكونُ الظروفُ السياسيةُ والأمنيةُ سبباً يجبرُ المعصومَ بالحديثِ بشكلٍ مجزّأ أو ملغّزٍ أو مقتضبٍ أو أنّهُ يراعي التقيةَ في أحيانٍ أخرى وفقاً لظروفِ عصرهِ، والشواهدُ كثيرةٌ لا مجالَ لذكرها، وعليه يجبُ أن يكونَ الباحثُ ملمّاً ومتعمّقاً بتفاصيلِ الظروفِ الزمانيةِ والمكانيةِ للنصِّ وصاحبِ النصِّ (عليه السلام) خصوصاً أنَّ أغلبَ أو أكثرَ رواياتِ الظهورِ وصلت عن طريقِ الأئمةِ وفي أكثرِ الفتراتِ حساسيةٌ وهي أيامُ الدولتينِ الأمويةِ والعباسيةِ لعنهم اللّه، وهذا قد يدفعُ بالمعصومِ (عليه السلام) إلى الحديثِ بالشكلِ الذي يدفعُ أذىَ الظالمينَ عنهُ وعن شيعتهِ، بالإضافةِ إلى ذلكَ ينبغي أن تكونَ له خبرةٌ بمصادرِ الآخرينَ وتمييزها عن مصادرنا، وبالكتبِ والصحفِ السماويةِ السابقةِ وبالأخصِّ (العهدينِ) وما ذُكرَ فيها من رواياتٍ وأحداثٍ تتعلقُ بآخرِ الزمانِ، وما تؤمنُ به تلكَ الدياناتُ وعلاقةُ ذلكَ بظهورِ منقذِ آخرِ الزمانِ لتكونَ حجةً عليهم وتمييزِ الصحيحِ في تلكَ الكتبِ عن الذي حُرّفَ وأُدخلَ في العصورِ المتأخرةِ لهذهِ الكتبِ، بما يخدمُ الأنظمةَ الظالمةَ وسياساتها المتغطرسة.

المصادر:

١-إثباتُ الهداةِ بالنصوصِ والمعجزاتِ -الحرُّ العامليُّ ج٥ ص ١٣١
٢- غيبةُ الطوسيِّ - ٣٤١ ح٢٩٢
٣- الخصالُ للشيخِ الصدوقِ ج١ ص٢٠٠

قيادةُ المرحلةِ من قِبَل الصالحين

علي تميم/ ديالى

يمرّ المجتمعُ المؤمنُ في زمن الغَيبة بمرحلة تتداخلُ فيها التحدّيات العقائدية والاجتماعية والسياسية ما يجعلُ قيادةَ المرحلة من قِبَل الصالحين، من أهمّ الركائز في مشروع الانتظار والتمهيد، فالغَيبة لم تُسقِط مفهوم القيادة، بل حوّلته من قيادة المعصوم إلى قيادة الصالحين في الأمة، وتستمدّ مشروعيَّتَها من خطّ المرجعيّة الرشيدة القادرة على حملِ المسؤولية وحمايةِ الهُويّة الإيمانية.

الصالحون يعملون على إدارة الأمة في مراحل الفتنِ وضبطِ إيقاع المجتمع وحراسةِ مشروع الانتظار، من الانحرافات الفكرية والمنزَلَقات التاريخية التي قد تُسقِط أجيالاً كاملةً، إنّ نجاحَ مشروع التمهيد يعتمدُ على قيادة صالحة تديرُ حالةَ الرخاء قبل الشدّة، وتؤكد على ضبطِ النفوس قبل ساحات الجهاد، لذا فالمنتظرُ الحقيقيّ هو من يزكّي نفسه ويُصلِحُ المجتمعَ، ليكونَ جزءاً من منظومةِ القيادةِ الصالحة التي تمهّد للظهور الشريف.

للانتظار مفاهيمٌ تكاملية (بناءُ الذات، الجماعةُ الصالحة، الأمّةُ الصالحة، المسؤوليةُ الجماعية...) تتطلّب وعياً بالتنظيم العقائديّ ومحاربةً للنفس بما يحفظ للمؤمن ثباتَهُ في طريق الانتظار، وصولاً إلى الغاية المنشودة ألا وهي التشرّف بنصرة المولى (عجل الله فرجه) ومشاهدة طلعته البهيّة، أو التشرّف بنيل الشهادة على طريق الانتظار.

شَهِد تاريخُ التشيّع تضحيات جسام لنماذجَ عظيمة راسخة في الإيمان والثبات، ابتداءً من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) وصولاً إلى الأجيالِ الحديثة، التي حملت لواءَ الدفاعِ عن الأرض والعقيدة.

تُعلّمُنا التجاربُ والدروسُ من هذا التأريخ الحافلِ أنّ المنتظرين يُختَبَرون في أوقات الرخاء أكثر من ساحات الجهاد والشدّة، لأن أوقاتَ الرخاء تحمل معها فِتَناً ومنزلقات تعصفُ بالنفوس، ولا ينجو منها إلا من قد روّضها. يُعدّ التنظيمُ العقائديّ مسؤوليةً تستندُ إلى الإذن الشرعيّ الذي تمثّله المرجعيةُ الرشيدةُ في زمن الغَيبة، فإن الدمَ الذي يُسفَكُ له ضوابط شرعية، كي لا يتحوّل الأمر إلى تعصّبٍ يخدم الجاهَ والمنصب للطاغوت.

إذا كان ميدان الشدّة والتضحية يكشف معدنَ الرجال، فإن الرخاء وإقبال الدنيا يكشف أعماقهم، لعلّهم في ساحة الحرب قد صمدوا لكنّهم سقطوا أمام فتنة الدنيا، فعندما تُفتح أمام الانسان أبواب المال والمنصب تبدأ النفسُ تجرّهُ نحو منافسة المُترَفين، ولو كان ذلك على حساب تاريخه الجهاديّ و رصيده الإيماني! هنا تكمن أهميةَ التنظيم الفكريّ والعقائديّ. يؤكّد تُراثنا الشيعيّ لما يحتويه من عبر ودروس أنّ المنتظر الحقيقيّ هو الذي يحاسبُ نفسه في أوقاتِ الرخاءِ أكثر من أوقات البلاء.

الكبرُ والغرورُ و حبّ الجاه كلّ ذلك يحوّلُ الإنسانَ من عبد لله إلى عبد لنفسه، الغرورُ يجعله يظنّ أنّه فوقَ النصيحة والمحاسَبة، أمّا حبّ الجاه فيدفعُه إلى منافسة نُظرائه حتى لو كان ذلك خارجَ الضوابط الشرعية، هذه الأمراض تفتكُ بصاحبها لأنها توهمهُ أنّه الأفضل بسبب مشاركته مثلاً في الجهاد أو العمل الرسالي... فيظنّ أن تاريخه هذا هو رصيدٌ يبيح المحذورات، هذه الأمراضُ تشوّه التنظيمَ الفكريّ والعقائديّ، وتجعلُ صاحبَها يبتعدُ عن خطّ الانتظار الحقيقيّ، الذي يقومُ على التواضع والإخلاص والالتزام بأوامرِ الشرع، لذا فإن سلاحَ المنتظر محاسبةُ النفس وتهذيبُ القلب ودوامُ التفكّر بأن الجاهَ والمنصب هو أمانةٌ لا تشريف.

أصعبُ المواقف التي تحتاجُ الى تأمّل، موقفُ رجلٍ اجتازَ مرحلةَ الانتظار والتمهيد حتّى وصلَ الى فسطاطِ الإمامِ فيُقتَلُ بسيفِ الإمام

عليه السلام)! هذا السقوط لا يحدثُ بغتةً بل من تراكم مرض نفسيٍّ لم يُضبَط، ومن رغبة في السلطَة لم تُردَع، ومن مالٍ لم يُحفَظ، هُنا تتجلّى خطورةُ النفاق الداخليّ، فيصبحُ وجوده خطراً على مشروع العدالة الإلهيّة.

إنّ جيشَ الإمام (عليه السلام) لا يقبلُ إلا من طابَ معدنهُ وخلصت نيتهُ.

الخطُّ الجهاديُّ للتشيّع أنتجَ أجيالاً من المؤمنينَ الثابتينَ على الإذن الشرعيّ للمرجعيّة الرشيدة، وهو أساسُ التنظيم العقائديّ والفكريّ، لأن الطاعةَ للقادة غير الشرعيّين يدمّرُ المجتمعَ، بينما الالتزام بـ الفقهاء يضمنُ سلامةَ المسار وبناءَ الهويّة الجهاديّة. إنّ أجيالَ الجهاد ليست للقتال فقط، بل هي أجيالٌ ربّت نفسها وبنَت وعياً فكريّاً وإيمانياً وحصّنت بناءَ المجتمع المتماسك الذي يحمل روحَ الانتظار الحقيقيّ، وهذا يشكّل أساس ثقافة التمهيد الذي يورثُ عبر الارتباط بالفقهاء والقيادة الشرعية.

التراثُ الشيعيّ حافلٌ بمن تصدّى لقيادة المجتمع في زمن الغَيبة، ولكن شتّان بين القيادة الشرعيةَ المتمثّلة بمسار المرجعية الرشيدة، التي تمثّل مسؤوليةً ثقيلةً يخافُ صاحبها من المساءلة الإلهية، ويدركُ أنّ موقعهُ جزءٌ من مشروع الانتظار، ويحكم بشرع الله للحفاظ على الأمة ويجعلُ المصلحةَ العامةَ نصبَ عينيه، بينما نجدُ أنّ القادةَ الذينَ استخدموا مواقعَهم لمكاسب شخصية خرجوا عن مسار الخطّ الشرعيّ وانحرفت جماعات كاملة بسببهم.

القائدُ الحقيقيّ هو الذي يدركُ أنّه يعيشُ في مرحلة حساسة تسبقُ الظهورَ الشريف، ويدرك أنّ كل موقف يتخذُهُ يكون جزءاً من التاريخ، فالقيادةُ ليست سلطة بل مسؤولية.

في زمن الغيبة تكون مسؤوليةُ القائد مضاعفة لأنه يحمل أمانةً ثقيلةً، و إذا أخطأ في تقديراته أو فسد في إدارة الموارد فإنه لا يضرّ نفسَه فحسب، بل يضرّ مشروعاً كاملاً، لهذا يُطلَب من كلّ منتظر أن يتحلّى بصفات الزهد، الشجاعة، العلم، البصيرة القدرة على إدارة الموارد، مراقبة الله في الصغيرة و الكبيرة، وإلا فإن السقوط حتميّ، نسأل الله أن يأخذ بأيدي علمائنا ومن يسير على نهجهم، ممن تصدّوا لمختلف الميادين الجهادية أو السياسية ونسأله (تعالى) الرحمة والرضوان لمن ترجّل من على ظهر جواده شهيداً.

شخصيةٌ تغيّرُ مجرى التاريخ

في جريان الأقدار، يُنشئُ اللهُ من عباده مَن يحملُ سرَّ التحوُّل، فيغدو وجودُهُ علامةً، وحركتُهُ دلالةً، وصمتُهُ خطاباً تتشكّل هذه الشخصيّةُ في رحم الابتلاء، وتُنقّى في مدارج الصبر، وتُستخرجُ حقيقتُها حينَ تتكشفُ الموازينُ، فتُعرفُ بوزنها عندَ الاختبار، وبثباتها عندَ اختلاط السبل.

هذه شخصيّةٌ وعت سننَ الله في الاجتماع الإنسانيّ، فأدركت أنَّ التغييرَ يولدُ من الداخل، وأنَّ الاستخلافَ ثمرةُ تهذيب سابق، وأنَّ الغلبةَ تأتي بعدَ قيام الحجة واستكمال الشرائط. نظرت إلى الزمن بعينِ القرآن، فرأت الأيامَ دولاً، ورأتْ العاقبةَ موصولةً بالاستقامة، ورأت الفعلَ المسؤولَ مقدّماً على الأمنيات.

تحيا هذه الشخصيّةُ في دائرة التكليف، فتزنُ القولَ بالفعل، وتربطُ القرارَ بالمسؤولية، وتستحضرُ المآلَ عندَ كلّ خطوة تحمّلُ الأمانةَ جعلَ من العدلِ قاعدتَها، والرحمةَ سمتَها، والحكمةَ ميزانَها، فتتوازنُ في موضعِ الشدّة، وتسمو في موضعِ اللين، وتثبتُ حيثُ تتهاوى النفوسُ.

وعندَ نزولِ البلاء، تتجلّى حقيقتُها كاملةً؛ إذ يتحوّلُ الصبرُ فيها إلى قوّة، ويتحوّلُ فعلٌ واعٍ إلى تأمينِ أهداف قضية كبرى، ويتحوّلُ الألمُ إلى طاقة بناء، تدركُ أنَّ اللهَ يصطفي من عبادِهِ مَن إذا أبطئت عنهُم النتائجُ لم تُبطأ فيهم العزيمةُ، ومَن إذا طالَ الطريقُ ازدادوا رسوخاً في المقصد.

وهكذا يصنعُ اللهُ بالتدريج شخصيّات تُغيّرُ مجرى التاريخ، فيجري على أيديهم معنى الإصلاح، وتنعقدُ بهم حلقاتُ التحوُّل، حينما يتحقّقُ الوعدُ بأمرِ اللهِ ويكتملُ الاستعدادُ، وتُسلَّمُ الرايةُ لمَن استحقَّ حملَها.

هيَ الشخصيّةُ التي كانَ خيارُها ومنهجُها الانتظارَ والسعيَ نحو التمهيد لذلك اليوم المقدس وتلكَ اللحظةِ الأعظم في حياةِ البشرية، فبثباتِها وتصديها للمسؤوليةِ سوفَ تغيّرُ مجرى التاريخِ عن قريبٍ بقدرةِ اللهِ الواحدِ الأحد.

نرجس حسن / بغداد

كشافةُ الانتظارِ في العراقِ أنموذج مهدوي حي

حيدر الدلفي/ بغداد

في ظلِّ تكاثرِ التحدياتِ الفكريةِ والثقافيةِ، وتعاظمِ محاولاتِ تشويهِ الوعيِ لدى الأجيالِ الناشئةِ، مما يهدّدُ المستقبلَ الفكريَّ لأبنائنا وبناتنا؛ برزتِ الحاجةُ الماسّةُ إلى مشاريعَ تربويةٍ رصينةٍ تتصدى لمسؤوليةِ بناءِ الإنسانِ، وصيانةِ الهويةِ، وترسيخِ القيمِ الأصيلةِ، ومن هنا تنبعُ أهميةُ إنشاءِ "كشافةِ الانتظارِ" بوصفها مشروعاً رسالياً هادفاً، يجمعُ بين التربيةِ الأخلاقيةِ، والتأهيلِ الفكريِّ، والبناءِ العقائديِّ السليمِ، في إطارٍ منظمٍ يستلهمُ توجيهاتِهِ من رايةِ المرجعيةِ الدينيةِ الرشيدةِ، إذ انبرى المنتظرونَ في العراقِ لتأسيسِ هذا الكيانِ الذي يسعى لتحقيقِ أهدافٍ وغاياتٍ عديدةٍ منها:

أولاً: التأسيسُ التربويُ

إنَّ كشافةَ الانتظارِ منظومةٌ تربويةٌ متكاملةٌ تُعنى بتنشئةِ الأطفالِ والشبابِ تنشئةً متوازنةً، تراعي الجوانبَ النفسيةَ والعقليةَ والبدنيةَ، وتغرسُ في نفوسهم قيمَ الانضباطِ، وتحمُّلَ المسؤوليةِ، وروحَ العملِ الجماعيِّ. فهي تُسهمُ في تحويلِ الطاقاتِ الكامنةِ لدى الناشئةِ إلى قدراتٍ فاعلةٍ، وتوجّهُ الحماسَ الفطريَّ توجيهاً إيجابياً يثمرُ سلوكاً راشداً وشخصيةً إسلاميةً سويةً.

ثانياً: الحصانةُ الفكريةُ وحمايةُ الهويةِ

في ظلِّ ما يشهدهُ العالمُ من انفتاحٍ غيرِ منضبطٍ، وتيّاراتٍ فكريةٍ منحرفةٍ تستهدفُ العقولَ الغضّةَ؛ هنا يأتي دورُ كشّافةِ الانتظارِ لتلعبَ دوراً محورياً في تحصينِ الشبابِ من الانحرافاتِ العقديةِ، إذ تعملُ على تعزيزِ الوعيِ القائمِ على الفهمِ الصحيحِ للدينِ، والالتزامِ بالمنهجِ الرساليِّ، والتمييزِ بين الحقِّ والباطلِ، بعيداً عن الغلوِّ أو التفريطِ؛ لتكونَ الكشافةُ خطَّ الدفاعِ الأوّلِ في مواجهةِ محاولاتِ التغريبِ والتمييعِ القيميِّ.

ثالثاً: تعميقُ الولاءِ والارتباطِ بالمرجعيةِ الدينيةِ العليا

تتمسّكُ كشّافةُ الانتظارِ بالسيرِ تحتَ رايةِ المرجعيةِ الدينيةِ وتحرّي توجيهاتِها؛ كونَها تمثّلُ صمّامَ الأمانِ للأمّةِ والضمانةَ الكبرى لصحةِ المسارِ، ومن خلالِ هذا الارتباطِ، تُبنى عقائدُ الناشئةِ بناءً سليماً قائماً على المعرفةِ الواعيةِ والبصيرةِ الإيمانيةِ، لا على التقليدِ الأعمى أو الانفعالِ السطحيِّ.

رابعاً: التمهيدُ لبناءِ الجيلِ المهدويِ الواعي

إنَّ الهدفَ الأسمى يتمثلُ في إعدادِ جيلٍ يعيشُ مفهومَ "الانتظارِ" بوصفهِ مشروعاً عملياً للإصلاحِ؛ جيلٌ يفهمُ أنَّ انتظارَ الإمامِ المهديِّ (عجّلَ اللهُ فرجهُ) يعني الاستقامةَ، والعملَ، وبناءَ الذاتِ، ونصرةَ المظلومِ، وهذا الوعيُ هو الذي يمهّدُ لظهورِ مجتمعٍ صالحٍ قادرٍ على تحملِ أعباءِ المرحلةِ القادمةِ.

خامساً: المساهمةُ في بناءِ دولةِ العدلِ الإلهي

إنَّ بناءَ أجيالٍ متسلّحةٍ بالعلمِ والإيمانِ هو من أعظمِ مصاديقِ التمهيدِ لتعجيلِ الفرجِ، فالإمامُ المنتظَرُ لا يُنصَرُ بالشعاراتِ، بل برجالٍ ونساءٍ أعدّوا أنفسهم إعداداً عميقاً، وكشّافةُ الانتظارِ تُسهمُ في إعدادِ هذه النخبةِ الرّساليةِ التي سيكونُ لها دورٌ فاعلٌ في بناءِ دولةِ العدلِ القائمةِ على القسطِ والرحمةِ وكرامةِ الإنسانِ.

إنَّ تأسيسَ كشّافةِ الانتظارِ ضرورةٌ استراتيجيةٌ فرضَتها طبيعةُ المرحلةِ وحجمُ التحدياتِ، فهي مشروعٌ استثماريٌّ لبناءِ الإنسانِ الواعي بتكاليفهِ تجاهَ خليفةِ اللهِ في الأرضِ. وبمثلِ هذه المشاريعِ المباركةِ، تُصانُ الأمةُ، ويُربّى فتيةُ الإسلامِ، ويُمهَّدُ الطريقُ لليومِ الموعودِ، يومَ يملأُ اللهُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئتَ ظلماً وجوراً.

وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِ محمدٍ الطيبينَ الطاهرينَ.

سلمانُ المحمديّ ناصرُ المهديّ

الحاج سراج منير العبادي/ واسط

يُعَدّ سلمانُ المحمّديّ [الفارسيّ] من الشخصيّات المشهورة عند المسلمين، ومن عيون صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومن خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومواليه. وقد اتّفق الخاصّةُ والعامّةُ على فضله وتبجيله، فهو الصحابيّ الجليل سلمانُ المحمّديّ (رضوانُ الله عليه)

وُلِدَ سلمانُ في الفترة الواقعة ما بين بعثة عيسى روح الله (عليه السلام) وبعثة النبيّ الخاتم (صلّى الله عليه وآله) وينحدرُ من بلاد فارس.

وقد قضى سنينَ طويلةً من حياته باحثاً عن الدين الحقّ وعن إمام زمانه، إذ ترك الأموالَ والبساتينَ التي كان يملكها أبوه وهو أحدُ دهاقنة بلدته، التي كان أهلُها يعبدون النارَ من دون الله (تعالى)

هاجرَ سلمانُ لله (تعالى) من بلاد فارس إلى الشام طلباً لدين الله والشريعة الحقّة، وبحثاً عن إمام الزمان في ذلك الوقت. وبقي ينتقلُ من مدينة إلى مدينة، ومن كنيسة إلى كنيسة، ومن راهب إلى راهب، يدرسُ الكتبَ المقدّسة: التوراةَ والإنجيل ويطّلعُ على مكنوناتها، حتّى عرفَ أنّ نبيّاً سيبعثُه الله رحمةً للعالمين، وقد بشّرَ به موسى وعيسى (عليهما السلام) كما حدّدت الكتبُ المقدّسة زمانه، وعلامات ولادته وظهور أمره، وخصائصه وشمائله.

وقد صرّحَ راهبُ عمّوريّة، الذي كان سلمانُ ملازماً له، بأنّ زمانَ خاتم النبيّين أحمد قد قَرُب، وأنّه مبعوثٌ بدين إبراهيم (عليه السلام) يخرجُ بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرّتين بينهما نخل، وله علاماتٌ لا تخفى: يأكلُ الهديّةَ ولا يأكلُ الصدقة، وبين كتفيه خاتمُ النبوّة.

عندها هاجرَ سلمانُ إلى أرض العرب، غير أنّ أهلَ القافلة ظلموه فباعوه عبداً ليهوديٍّ من بني قريظة في مدينة يثرب. وبقي سنينَ يقاسي مرارةَ العيش تحت ظلّ العبوديّة، آملاً بلقاء ذلك الموعود، حتّى وُلِدَ النبيّ المصطفى محمّد (صلّى الله عليه وآله) وبعثهُ الله (تعالى) ثم صدعَ بدعوته وهاجرَ إلى يثرب.

سمعَ سلمانُ بدخول النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إلى يثرب، فبدأ بالمجيء إليه يستعلمُ عنه ويتفحّص، ليتيقّن أنّه النبيّ الموعود الذي بشّرت به رسل الله. فلمّا تيقّن، أسلمَ بين يدي رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) وبدأ رحلةً شاقّةً للتخلّص من عبوديّته، وقد تمّ ذلك بدعم النبيّ (صلّى الله عليه وآله)

لم يشهد سلمانُ بدراً ولا أحداً، لكنّه شهدَ الخندق، وهو الذي أشارَ على النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بحفر الخندق. ومنذ ذلك الحين أصبح ملازماً لرسول الله، واستمرّ على عهده وميثاقه، ولم ينقلب على عقبيه بعد شهادة النبيّ، بل لزمَ أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ووقفَ معه بكلّ قوّة وثبات وعقيدة.

عاشَ سلمانُ عمراً طويلاً؛ إذ تشيرُ بعضُ المصادر إلى أنّه عاشَ مئتين وخمسين سنة، ويذكرُ آخرون أنّه عاشَ ما يقربُ من خمسمئة عام. وقد بشّرَ رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) سلمانَ بأنّه سيُدرك ولدهِ المهديَّ الموعود (عجّل الله فرجه) فقد روى سلمانُ (رضي الله عنه) قال: (قال لي رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله): إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً...) إلى أن قال: (ثمّ ابنه محمّد بن الحسن الهاديّ المهديّ، الناطق القائم بحقّ الله) ثمّ قال له: (يا سلمان، إنّك مُدركُه، ومَن كان مثلك، ومَن تولّاه بحقيقة المعرفة) قال سلمان: (فشكرتُ الله كثيراً، ثم قلت: يا رسولَ الله وإنّي مؤجَّل إلى عهده؟) فقال: يا سلمان، اقرأ: ﴿فإذا جاء وعدُ أولاهم..﴾[الإسراء: ٥-٦] قال سلمان: فاشتدّ بكائي وشوقي ثم قلت: يا رسولَ الله، أبعهدٍ منك؟ فقال: «إي والله، والذي أرسل محمّداً بالحقّ...) إلى أن قال: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض..﴾[القصص: ٥-٦] قال سلمان: فقمتُ من بين يدي رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) وما يبالي سلمانُ متى لقيَ الموتَ أو لقيه الموت)[دلائل الإمامة: ٤٤٧-٤٥٠]

كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يشيرُ إلى رجعة سلمان، إذ قال: (يخرجُ مع القائم (عليه السلام) من ظهر الكوفة سبعةٌ وعشرون رجلاً... وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر... فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً) [الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص٣٨٦]

وتدلّ هذه الرواية على أنّ سلمانَ المحمّديّ (رضوان الله عليه) سيكون من القادة الثلاثمائة والثلاثةَ عشر، أصحاب الألوية وحكّام الولايات في الدولة الإلهيّة المهدويّة، وهو دليلٌ على عظيم فضله ورفعة مكانته عند الله (تعالى) وقد وصفه رسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) بقوله: (سلمانُ بحرٌ لا يُنزَف، وكنزٌ لا ينفَد، سلمانُ منّا أهلَ البيت) فهنيئاً لسلمان، وطوبى له، ورزقنا الله وإيّاكم أن نكون من اللاحقين به، تحت راية ولينا وإمام زماننا الحجّة بن الحسن (أرواحُنا لترابِ مقدمه الفداء)

فِطريّةُ الدِّينِ والعقيدةِ المَهدويّة

لبنان حسين الزين/ لبنان

يبحث الإنسان عن الدِّين الإلهيّ، ويتعلّق به مدفوعاً بميل فطريّ جُبل عليه في أصل تكوينه وخِلقته؛ بانجذابه إلى الكمال ونفوره من النقص. ويتجلّى هذا الميل فيه من خلال تحصيل المنافع ودفع المضارّ، وحبّ المعرفة والاستكشاف، وشكر المنعِم، ولمّا كان النوع الإنسانيّ عاجزاً عن تحقيق متعلّقات هذه الدوافع بنفسه، كان - بذلك - بحاجة إلى الدِّين الإلهيّ؛ لما يتضمّنه من برامج تحقّق آمال الإنسان وتطلّعاته ومتطلّباته الحياتيّة.

فالإنسان - بأصل خِلقته - ينجذب نحو الدِّين؛ لمّا يجد فيه من برامج وتعاليم كفيلة بإيصاله إلى كماله المنشود، وكذلك نجده، بفطرته، ينجذب نحو فكرة المخلِّص الغيبيّ، المقيم لحكومة العدل الإلهيّة؛ لما في ذلك من تحصيل لسعادته، وتحقيق لكماله، ودفع للضرر عنه.

أولاً: حقيقة الفطرة الإنسانية

تدلّ الفطرة على فتح الشيء وإبرازه، والفطرة: الخِلقة وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في مواضع عدّة وأُريد منها أحد معنيين:

١- الشقّ والصدع والاختلال بالنسبة إلى الحالة السابقة؛ كما في قوله (تعالى): ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]

٢- الخلق والإيجاد؛ كما في قوله (تعالى): ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]

وهذان المعنيان يرجعان إلى معنى جامع، وهو إحداث تحوّل يوجب نقض الحالة الأوّليّة.

ووردت في السنّة الشريفة روايات كثيرة تتحدّث عن حقيقة الفطرة وخصائصها؛ منها ما رواه عمر بن أُذينة قال: سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ما الحنيفيّة؟ قال: هي الفطرة التي فطر الناس عليها، فطر الله الخلق على معرفته.

وبالنظر إلى الفطرة بمنظار القرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام) نجد أنّ حقيقتها لدى الإنسان ترجع إلى أنّ الله (تعالى) هدى كلّ نوع مخلوق إلى سعادته، وجهّزه في أصل خِلقته بما يناسبُ كماله اللائق به، قال (تعالى): ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]

والإنسان، كغيره من الأنواع، مفطورٌ بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه، ورفع حوائجه، وتجذبه نحو ما ينفعه وتُحجمه عمّا يضرّه في حياته، قال (تعالى): ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]

ثانياً: الانجذاب الفطري إلى الدين

كشف القرآن الكريم عن الانجذاب الفطريّ للإنسان إلى الدِّين بقوله (تعالى): ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

فعبّر بـ (أقم) ؛ لما في حالة القيام من استعداد وجهوزيّة تامّة لمواجهة موقف أو قضيّة. وعبّر بـ (وجهك) لما للوجه من شرافة في الإنسان (كما تقول العرب: فلان وجه قومه) أو لما به يواجه الإنسانُ المواقفَ والأحداثَ المهمّة.

وكلّ ذلك من أجل تهيئة الإنسان بدنيّاً ونفسيّاً وفكريّاً لتلقّي هذا النبأ العظيم، وهو التمسّك بالدِّين وعدم الحيد عنه. فهذا الدِّين الذي يجب إقامة الوجه له، هو الذي تهتف به الخِلقة، وتهدي إليه الفطرة الإلهيّة التي لا تختلف ولا تتخلّف، ولا تتبدّل ولا تتغيّر.

فليس الدِّين إلّا سنّةَ الحياة والسبيلَ الذي يجب على الإنسان أن يسلكه حتّى يسعد في حياته؛ إذ لا غاية للإنسان يتّبعها إلا السعادة. ومن هنا، يتعلّق الإنسان بالدِّين لما فيه تحقيق مقتضى فطرته السليمة، وهو الوصول إلى السعادة والكمال.

ثالثاً: ثبات معرفة الدين في أصل خلقة الإنسان الفطرية

يكشف القرآن الكريم، وكذلك السنّة الشريفة، عن أنّ المعارف الحقيقيّة لدى الإنسان. ومنها معرفة الدِّين. هي من الفطرة، قال (تعالى):

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]

أي إنّ الله (تعالى) أوجد الخِلقة الإنسانيّة بنحو من الإيجاد يستتبع هذه المعارف والإدراكات، ومنها معرفة الدِّين. أمّا الانحراف المشهود عن أحكام الفطرة، كما نراه لدى أغلب الناس واقعاً وتاريخاً، فليس إبطالاً لحكمها، بل استعمالاً لها في غير ما ينبغي.

وعليه، فإنّ الفطرة لا تبطل البتّة، وإنّما يُخطئ الإنسان في كيفيّة استعمالها، من خلال خطئه في تشخيص ما هو منفعة واقعيّة له، تتلاءم مع حقيقته وتوصله إلى تتميم نقصه، وفي تشخيص ما هو مفسدة واقعيّة له، لا تنسجم مع حقيقته وتعرّضه للنقص والخسران؛ فيظنّ بعض

الأشياء منافع، وبعضها الآخر مفاسد، والواقع أنّها ليست كذلك.

رابعاً: إدراك الفطرة لأصول الدين

إنّ الفطرة، إذا سَلِمَت، لا تنفكّ عن التنبيه إلى فقرها ونقصها وحاجتها إلى أمر خارج عنها، وكذا احتياج كلّ ما سواها ممّا يقع عليه الحسّ أوّ الوهم أو العقل إلى أمرٍ خارج عنه، تقف دونه سلسلة الحوائج.

فتذعن بوجود موجود غائب عن الحسّ، منه بدأ الجميع وتنجذب إليه لما تجدُ فيه من كمال مطلق تنشده بأصل تكوينها، وليس هذا إلا الإذعان بأصل معرفة الله (تعالى) ووحدانيّته فطريّاً.

ومن ثمّ، تتوق إليه في تتميم أمرها ورفع مكامن النقص عنها، فتطلب منه عوداً ومآلاً يتحقّق لها به ذلك، وليس هذا إلا الإذعان بالمعاد فطريّاً. وهي، بطلبها لهذا العود والمآل، تطلب السبيل إلى تحقيقه، وليس هذا إلا الإذعان بالنبوّة فطريّاً.

وبذلك، فإنّ الفطرة - إذا سَلِمَت - تهدي الإنسان إلى معرفة أصول الدّين هدايةً إجماليّة تحتاج إلى تفصيل وهو ما يتكفّل به الدّين الذي يتمّم للإنسان معرفته الفطريّة. ومن هنا، كان مكمن تعلّق الفطرة بالدّين؛ لما تجد فيه من تتميم لما تصبو إليه وتنشده من كمال.

وهذا ما أكّد عليه القرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام)، من أنّ الإنسان إذا مسّه الضرّ والبلاء، تقطّعت به الأسباب التي كان يتوسّل بها في الرخاء، فيتوجّه بفطرته نحو السبب الحقيقي الواقعي، الذي كان معه في جميع أحواله، يجلب له النفع ويدفع عنه الضرر، وقد كان غافلاً عنه.

الميل الفطريّ نحو العقيدة المَهدويّة

لمّا كان الإنسان مجبولاً في أصل خلقته على الميل نحو الكمال والنفور من النقص، كان منجذباً نحو فكرة المخلّص الغيبيّ، بما يمثّله من نموذج كماليّ يطمح إليه كلّ ذي فطرة سليمة، وبما يقوم به من رفع للظلم والضرر عن البشريّة، وإيصالها إلى سعادتها وكمالها.

ويتجلّى هذا البعد الفطريّ في طلب الإنسان من الله (تعالى) أن يرسل المخلّص الغيبيّ، بعد أن يئس من حاكميّة الإنسان غير الإلهيّ، وخَبِر بطشه وظلمه وجوره قال (تعالى): ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ...﴾ [النساء: ٧٥]

خاتمة

لا مناص للإنسان من التوجّه نحو الدّين والانجذاب إليه من منطلق فطريّ مركوز في أصل خلقته، ومدفوع بحبّه للكمال ونفوره من النقص، وعجزه عن تحقيق كماله اللائق به دون الاعتصام بالدّين وما يتضمّنه من برامج إلهيّة تستجيب لآماله وتطلّعاته.

ومن هذه الهدايات الدينيّة: العقيدة المَهدويّة، التي ينبغي توجيه الفطرة البشريّة إليها، وإزالة الموانع التي تحول دون تلمّس الناس لها، من خلال التبليغ الهادف والدعوة الموجّهة نحو فكرة المخلّص الغيبيّ بوصفها حلّاً لمشاكل البشريّة.

الماء والمهدي: أيهما شريان الحياة؟

الماءُ عمادُ الحياة وأساسُها، به تستقيمُ أمورُ الكائنات، وبدونه تَضمحلُّ وتزولُ، فما من كائنٍ حيّ يستطيعُ الاستغناءَ عن الماء ولو لساعات، كذلكَ المهديُّ (عجّل الله فرجه) فهو للوجودِ قطبُهُ وللأرواحِ نُورُها، وللأرضِ أمانها، لا تُطيقُ المخلوقاتُ العيشَ دونَهُ طرفةَ عين.

إنَّ الماءَ هوَ السرُّ الأكبرُ في إشراقةِ الحياةِ على هذه الأرض، ولولا فيضُهُ لتحوَّلت إلى صحراءَ قاحلة لا ظلَّ ولا ظَمأ، فجميعُ الخلايا والكائنات تتوقُ إليه، لأنَّهُ سرُّ وجودِها، وبفقدِهِ تتوقَّفُ جميعُ الفعاليّاتِ الحيويّةِ في الأجساد، وقد صدقَ الحقُّ (سبحانَهُ) إذ يقولُ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

أما المهديُّ (عليه السلامُ) فهو عمودُ الأرضِ ونظامُ الكونِ وقطبُ رحاها الدائرُ، ولو رُفعَ من الأرضِ لحظةً واحدةً لاضطربَت أركانُها وسُيِّرت جبالُها، وانهارَ توازنُها بل لاضطربَت معها الأفلاكُ والشمسُ، لأنَّ النورَ الحقيقيَّ والمصدرَ الذي لأجلهِ تُنزلُ السماءُ قطرَها ورحمتَها، وتُخرجُ الأرضُ خيراتها قد غابَ، عندها تتحوَّلُ حياتُنا إلى بحرٍ هائجٍ في ظلامٍ دامسٍ، لا مخلّصَ منهُ ولا مفرَّ، وقد وردَ عن آلِ البيتِ (عليهم السلام): "لَو أنَّ الإمَامَ رُفِعَ منَ الأرضِ سَاعَةً لَسَاخَت بِأَهلِهَا وَمَاجَت كَمَاَ يَمُوجُ البَحرُ بِأَهلِهِ"

فإذا انقطعَ الماءُ ثمَّ عادَ، ابتهجَ الخلقُ بعودته، ولكنَّ مهديُّنا (عجل الله فرجه) تُبشّرُ بذكرِهِ العوالمُ كلُّها، فكيفَ بعودته؟!

إنَّ الماءَ نفسَهُ لا حياةَ لهُ دونَ سيّدِه، فهو الماءُ المعينُ الذي لا ينضبُ، عذراً سيدي لأنّي شبّهتُك بالماء، وأنتَ سيّدُ الماءِ وسيدُ مَن عليهِ الماءُ! الماءُ يجري طائعاً بينَ يديكَ، خاضعاً لأمرِك، لأنَّهُ خُلقَ من أجلِكَ ويجري لحبّكَ كما أنَّ نظامَ الكونِ كلَّهُ يسري بتوازنٍ وانتظامٍ من أجلِكَ.

فأنتَ (يا مولايَ) شريانُ الحياةِ الحقيقيُّ، وأنتَ الأصلُ الذي من أجلِهِ وُجِدَ الماءُ، فكيفَ لنا أن نتحمّلَ غيابَكَ ولو برهةً من الزمن؟!

الماءُ نعمةٌ عظيمةٌ لا غنى لأحدٍ عنها، سُخّرَ برحمةِ اللهِ (تعالى) وعظمتِهِ وجُعلَ جريانُهُ تجلّياً لمحبةِ وكرامةِ الإمامِ المهديِّ (عجل الله فرجه الشريف) فكلُّ ما في السماواتِ والأرضِ خُلقَ لمحبةِ آلِ البيتِ (عليهم السلام) كما وردَ في حديثِ الكساءِ، إذن فلولا المهديُّ (عليه السلام) لما وُجِدَ الماءُ أصلاً، فأنتَ يا سيدي حياةُ الحياةِ ودوامُها.

دعاء الشباني/ الديوانية

بابُ حِطّتكم أفضلُ من باب حِطّتهم

أحلام الخفاجي/ بابل

بابٌ لا يشبهُ بقيّةَ الأبواب، منذ أن قُرن اسمُه باسم الوصيّ، وكان باباً لمدينة علم رسول الله فتآمرَ عليهَ القومُ، وحيثُ إنّ ذلك البابَ يمثل إرادةَ السماء، فقد كان عصيّاً عليهم؛ فحرّقوا بابَ الزهراء، لكنّ غابَ عنهم أنّه باق ما بقيت السمواتُ والأرضُ، وإن نادتْ كل شياطين الإنس والجنّ لا تُبقوا له من باقية، بابٌ أنجب أبوابَاً لبيوت أرادَ الله أن يُذكرَ فيها اسمُه بالغدوِّ والآصال، وفيها حجورٌ طابتْ وطهّرتْ.

فيها أناسٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله ويُطعمون الطعامَ على حُبّه يتيماً، ومسكيناً وأسيراً لا يبتغون شيئاً من متاع الحياة الفانية، ولا جزاءً ولا شكوراً، فهم يعيشون روحيّةَ العطاء فكان عملهم مصداقاً لقوله تعالى: (لن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[سورة الإنسان: ٩٢]

فلو نقّبنا في ماهيّة تلك الأبواب بمعول البصيرة لوجدنا أن لا باب إلّا بأب ولاية أهل البيت (عليهم السلام) باب الله الذي منه يُؤتى، والذي يتوجّهُ إليه المؤمنون، فمن أرادَ أنْ يصلَ إلى الله فعليه أنْ يسلكَ الطريقَ الموصلَ إليه (سبحانه وتعالى) ولا يكونُ ذلك إلّا بواسطة الطريق الذي بيّنَهُ الله (تعالى) في كتابه العزيز، وحديث رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأوليائه، فالوصولُ إلى الله من غيرِ أبوابِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) هو عينُ الضلال، فكيفَ للمرءِ أنْ يصلَ إلى خالقه من غيرِ الباب الذي جعلَهُ موصلاً إليه، وبعثَ رسولَهُ منادياً به وإليه هادياً؟ فالبابُ عن السالك في غيره مسدودٌ، وهو عن طريقِ هُداهُ وسعادته مطرودٌ، بل كلّما ازدادَ كدحاً واجتهاداً، ازدادَ من الله طرداً وإبعاداً.

وما يؤكدُ هذا المعنى ما وردَ في كتاب الاحتجاج للطبرسيّ، فعن الأصبغ بن نباتة قال: كنتُ عندَ أمير المؤمنينَ (عليه السلامُ) فجاءهُ ابنُ الكوّاء فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، قولُ الله (عزّ وجل): (لَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فقالَ (عليه السلام): نَحْنُ البيوتَ التي أمرَ اللهُ أنْ يُؤْتَىٰ من أبوابها نَحْنُ بابَ الله وبيوتُهُ التي يُؤْتَىٰ منها، فمَنْ بايَعَنا وأقَرَّ بولايتِنا فقدْ أتىَ البيوتَ من أبوابها، ومَنْ خالفَنا وفضّلَ علينا غيرَنا فقدْ أتىَ البيوتَ من ظهورِها..."

أنّ حطّةَ هو أحدُ أبوابِ بيتِ المقدس، جعلهُ الله (عزّ وجلّ) سبباً لغفرانِ ذنوبِ بني إسرائيل، حيثُ أمِرُوا أنْ يدخلوا البابَ سُجّداً وأنْ يقولوا: "حطّة" ليَحُطّ الله عنهم أوزارهم، لكنّهم بدّلوا غيرَ الذي قيلَ لهم ونجدُ ذلكَ واضحاً في قوله تعالى: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ)[البقرة: ٥٨]

وفي حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّهُ قال: (إنّما مَثَلُ أهل بيتي في أمّتي مَثَلُ باب حطة في بني إسرائيل، مَن دخله نجا، ومَن لم يدخلهَلك)[ميزان الحكمة،محمد الريشهري ج٤ ،ص٢٨٢٠]

وفي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنّه قال: (هؤلاء بنو إسرائيل نُصب لهم بابُ حطّة، وأنتم يا معشر أمّة محمّد نُصب لكم باب حطّة أهل بيت محمّد (عليهم السّلام) وأمرتم باتّباع هُداهم ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطّتكم أفضل من باب حطّتهم، لإنّ ذلك كان باب خشب، ونحن الناطقون الصادقون المرتضون، الهادون الفاضلون..)[تفسير الإمام العسكري، ج١ ص٥٤٦]

أراد المنافقون قلعَ بابِ الله واستبداله بسقيفة ملعونة، توارثت رايات حمراء من آكلة الأكباد فاستُبيحت بفعلتهم الشّنيعة هذه الفروج، وسُلبت بها الأموال من أربابها فأُعطيت لغير أهلها وعُطّلت بها الواجبات، وضُيّعت بها الحقوق، وعَجّت الفروجُ والأموالُ والحقوقُ إلى ربّها عجيجاً، وضجّت بما حلّ بها إليه ضجيجاً، وحسبهم أن يُطفئوا نورَ الله، والله يأبى إلا أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون.

ونسوا أو تناسوا أنّ ذلك البابَ لم تنجسه الجاهليةُ بأنجاسها، ولم تلبسهُ من مُدلهمّات ثيابها، بابٌ انبجستْ منه اثنتا عشر عيناً قد علمَ كلّ أناس مشربهم، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما ذكرَ عددَ الخلفاء-مع اسم الأول والأخير- كالرواية التي جاءت على لسانِ أبيَ عبدَ الله جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: قال رسول الله: (الأئمةُ بعدي اثنا عشرَ، أولهم عليُّ بن أبي طالب وآخرهم القائم، فهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على أمتي بعدي، المقرّ بهم مؤمنٌ، والمنكر لهم كافرٌ)[الأمالي للشيخ الصدوق، ص١٧٣]

إذن، الإمام المهدي (عجل الله فرجه) هو آخرُ مصاديق باب حطتنا، فمن دخل منهُ نجا، ومن خرجَ منهُ هلكَ، فهوَ الإمامُ الثاني عشرَ للشيعة الإمامية الذي بشرَ به رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقية الأئمة (عليهم السلامُ) والذي يكونُ له غيبةٌ طويلةٌ يُحارُ فيها الجاهلون، ويهلك فيها المُبطلون ويُفتتنُ فيها الناسُ حتى يُقالَ عنه ماتَ أو هلكَ في أيّ واد سلك، وليمحَصوا ويغربلوا كما يُغربلُ القمحُ من الزؤان، وليسقطَ خلقٌ كثيرٌ من غربالِ التمحيص، ولا يبقى إلا الأندرُ، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (والله لتميزن، والله لتمحصن والله لتغربلن كما يُغربلُ الزؤان من القمح)[بحار الأنوار: ٥٢/١١٤، ح ٣٢]

أنّ كلّ هذه الابتلاءات والفتن اللتين يَمرُّ بها المؤمنون في زمن الغيبة، ما هيَ إلاّ خطواتٌ في طريق التمهيد والانتظارِ لتبزُغَ شمسٌ جللتها سُحبُ الغيبةِ ولتتسَلل أشعَّةُ نورها نوافذَ أيامنا ونحنُ نقفُ على أعتاب باب حطتنا، ذلك الصَمصامُ المنتقمُ القادمُ على صهوةِ الأمَلِ كالشهاب الثاقب، والذي سيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئتَ جوراً وظلماً.

فيا سيد الكون أقبَل، وسَندخل بابَ حطّتك سُجَّداً ولا نُبدِّلُ قولاً غيرَ الذي قيلَ لنا، وسَنقول: "حِطة" ألف ألف مرة حتى ترضى.

يا يوسف الزهراء، أقبل وبيدك الحنون سنابل ربيعنا بلون عطفك ورحمتك، وفي كل سنبلة مائة حبة شوق أضناها الانتظارُ حتى تصدَّع صَوتُها واختَنقت الكلماتُ في الحناجر وهي تنادي "حِطة" لعلك تُعجِّل باللقاء، وهناك على قارعة طريق الانتظار حيث يقبعُ الشوقُ والحنين، لك عيون قد أبيضَّت من الحزن وهي تراقبُ الطريقَ وتتحسَّسُ خطواتِ العابرين، لعلّها تتشرف بلثم تراب مقدمك.

الانتظارُ عقيدةٌ راسخةٌ وممارسةٌ متذبذبةٌ

لا يَخفى على كثيرٍ من الأمم، أنَّ مُنقِذاً قادمٌ لانتشالهم مِن ضياعهم وتَدعيمِ وجودهم، ولأسبابٍ أخرى كُلٌّ يراها مِن منظوره الخاص.

بَيدَ أنَّنا –وبكُلِّ فَخرٍ– نتميَّزُ كاثنَي عَشْرِيَة عن غيرنا بأصالةِ الفِكرةِ واستمرارِ وجودِها؛ حيث إنَّ اعتقادَنا الرَّاسخَ بالإمام الحجَّة المُنتَظَر (عجَّلَ اللهُ فرجَه الشَّريف) مبنيٌّ على أدلَّةٍ قويَّةٍ تُثبِتُ أُسُسَ هذه العقيدة وتجعلُها الأكثرَ قَبولاً لِكُلِّ مَنْ يَطَّلِعُ عليها بتجرُّدٍ وبَحثٍ منطقيّ.

غير أنَّ البعضَ يتَّعاطى مع هذه الفِكرةِ العظيمةِ التي عبَّرَ عنها رسولُنا الأعظمُ (صلَّى اللهُ عليه وآله) بأنَّها: "أفضلُ أعمال أُمَّتي" تَعاطياً مُتذبذِباً مِن فردٍ لآخَر، ومِن جيلٍ إلى جيل، ومِن زَمَنٍ إلى آخر.

وهنا أودُّ التركيزَ على هذا الجانب؛ لأنَّ وعيَ البعض تجاه موضوعٍ كبيرٍ كهذا والذي أولَتْه الشَّريعةُ اهتماماً بالغاً، ورَصَدَتْ له ذُخراً كبيراً من الأحاديث الشريفة، يجب أن يكون موازياً له مِن حيث التعامل والاهتمام.

فالعملُ وَفْق الاختصاص لكُلِّ فردٍ، يَضعُ لَبِنَةً في بناءٍ أعظم، والاهتمامُ بهذه القضيَّةِ المباركةِ يكون حجرَ الأساس لذلك البناء، فالانتظارُ يبدأ من الأفراد؛ كلٌّ بما يستطيع من عطاءٍ وتقديم، وينتهي بالمجموعةِ الصالحةِ التي تُشكِّلُ القاعدةَ الأساسيَّة للظهور المبارك، والتي يستندُ عليها الإمام الحجَّة (عجّل الله فرجه) حين الظهور.

ويجب التَّسلُّحُ بالمعرفة، والإحاطة بكُلِّ حيثيَّاتِ الانتظار لكُلِّ مُنتَظِرٍ؛ حتى يَرتقي بالمجموعةِ، وبالتالي يَرتَقي البناءُ كُلّه، ولاتتأثَّرَ القاعدةُ بالمؤثِّراتِ الخارجيَّةِ مِن فِتَنٍ وحروبٍ بشتَّى أنواعها، وحتى تكون رصينةً أكثر من الداخل، بعَزْمِ الوعي والتثقيف.

فكما قال أبو عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام): (لَيَعِدَنَّ أَحَدُكُمْ خُرُوجَ القَائِمِ وَلَوْ سَهْمًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ، رَجَوْتُ لِأَنْ يَنْسَأَ فِي عُمُرِهِ حَتَّى يَدْرِكَهُ، فَيَكُونَ مِنْ أَعْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ)[كتاب الغيبة للنعماني ٣٢٠/١٠، باب ٢١]

أحمد عميدي السعدي/ بغداد

التّمهيدُ في أُفُقِ الانتظار

محمود الأحمد / لبنان

منذُ غياب الإمام المهديّ (عجّل الله فرجَه) عن الساحة الحياتيّة العامّة، دخَل أتباعُ أهل البيت (عليهم السلام) في مرحلة جديدة تجمعُها مشاعرُ متعدّدةٌ من الشوق والأمل والترقّب، والإحساس العميق بالسعي الانتظاريّ.

حيثُ برزَ هنا بوضوح مفهومُ «الانتظار» كأحد أهمّ المفاهيم الفكريّة والعمليّة في منظومة الخطاب الإسلاميّ الشيعيّ لأهل البيت (عليهم السلام) حتّى إنّه وردَ في كثير من الروايات والأحاديث الشريفة، منها: (أفضلُ أعمال أمّتي انتظارُ الفرج) وقد شهدَ هذا المفهومُ الدينيُّ والفكريُّ الرفيعُ عبرَ التاريخ تأويلات وتفسيرات خاطئة، تحوّل بموجبها -عندَ البعض طبعاً- إلى مبرّر للانعزال عن الواقع والانغلاق على الذات، بما جعلهُ معطّلاً للجهود وحالةً انتظاريّةً للقدر، مع أنّ النصوصَ الدينيّةَ تشيرُ إلى أنّ الانتظارَ الحقيقيَّ ليس جموداً ولا سكوناً، بل هو حركةٌ داخليّةٌ دائبةٌ من العمل والحضور، تتحوّل إلى ممارسات عمليّة في آليّات الفعل والتعامل والعلاقات.

وهنا يبرزُ مفهومُ (التمهيد) الذي يمثّلُ الوجهَ التكامليَّ للانتظار الرساليّ، وإذا ما كان الانتظارُ هو شغفُ الروح في تطلّعها نحوَ المستقبل، فإنّ التمهيدَ هو الذي يُجسّدُ الجهدَ العمليَّ والفكريَّ والجماعيَّ الذي يُمهّدُ الطريقَ لتحقيق ذلك المستقبل المنشود في إقامة مجتمعات العدل؛ فالانتظارُ تطلّعٌ نحو الأفق، والتمهيدُ إعدادٌ وتعبيدٌ للطريق نحوه.

ومن هذا المنطلق، فإنّ المسؤوليّةَ في عصر الغيبة لا تقتصرُ على الانتظار فحسب، بل تتطلّبُ من كلّ مؤمنٍ أن يكونَ ممهّداً من خلال عمله على نفسه في البناء والتجهّز، وفي محيطه الاجتماعيّ في علاقاته مع الناس.

تسعى هذه المقالةُ إلى استعراض العلاقة بين المفهومين، موضّحةً الفروقَ بينهما، ومؤكّدةً أنّ التمهيدَ هو المطلوبُ حقّاً؛ لأنّه يُحوّلُ الإنتظارَ إلى واقع مثمر ومنتج في حياة الفرد والمجتمع ككلّ.

أولاً - الانتظار: بعدٌ روحيّ وأفق إيمانيّ:

يُمثّل الانتظارُ في جوهره رفضاً واعياً للواقع المنحرف الظالم وإعلاناً بأنّ هذا الظلمَ لا يستمرّ، وهو ليسَ نهايةَ المطاف في حركة المجتمعات البشريّة؛ فقولُ المؤمن (أنا مُنتظر) يعبّرُ عن رفضه لاستمرار هيمنة الطغاة والمستبدّين، وإيمانه العميق بوعد الله بالخلاص. وهذا ما يجعلُ من الانتظار عبادةً توصلُ القلبَ بالعدل الإلهيّ، وتضعُ الإنسانَ في حالة دائمة من التطلّع إلى تحقّق وعد الله.

فالشابُّ الذي يعيشُ حالةَ الانتظار، يمتلكُ يقيناً بوجود مستقبل مختلف يتجاوزُ واقعَ الحضارة المادّيّة، ويؤمنُ بأنّ مسارَ التاريخ لن ينتهي بالاستبداد، بل بمستقبل زاهر ومثمر.

وهذا البُعدُ الروحيُّ للانتظار يُحمي المؤمنَ من مرض اليأس والإحباط في مواجهة تحدّيات الواقع القائم، في ظلّ عالم تتفشّى فيه المظالمُ وتتّسعُ فيه الفجوات، بما قد يدفعُ الإنسانَ للسقوط في دوّامة اليأس، لكنّ الفردَ المنتظرَ لا يأتيه اليأس، ولا يحملُ في قلبه سوى صورة مشرقة للمستقبل القادم، الذي يسعى نحوهُ بوعي ومسؤوليّة، وهذا ما يمنعُهُ من الاستسلام لظروف الواقع وتحدّياته.

ولولا قوّةُ الانتظار هذه لاندمجت الأمّةُ في مشاريع الآخرين ولسقطتْ في حبائلها ودسائسها، لكنّ تمسّكها بهذا الأمل مكّنها من الحفاظ على هويّتها. لذا يمكنُ القولُ إنّ الانتظارَ يمثّلُ (أفقاً) معنويّاً يعيشُ فيه القلب، يمدّهُ بالصمود ويجعلهُ ثابتاً في وجه التحدّيات والتعقيدات.

غيرَ أنّ هذا البُعدَ المعنويّ، رغمَ أهميّته وحيويّته، لا يكفي لوحده فالانتظارُ إذا اقتصرَ على المشاعر القلبيّة قد يتحوّل إلى خمول وسكون، قد يتلاقى مع الخضوع والخنوع. وقد حذّرت الرواياتُ من هذا الخطر، مؤكّدةً أنّ المنتظرَ الحقيقيَّ ليس من يترقّبُ فحسب، بل من يعمل أيضاً، كما وردَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (من سرّهُ أنْ يكونَ من أصحاب القائم، فلينتظرْ وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر) وهكذا يتّضحُ أمامَنا أنّ الانتظارَ الحقيقيَّ -الذي هو انتظارٌ إيجابيٌّ فاعلٌ ومثمر- يجمعُ بين الورع والأخلاق والإعداد العمليّ، ممّا يُشكّل نقطةَ الانطلاق نحو التمهيد الفعليّ للمهديّ (عجّل الله فرجَه)

ثانياً - التمهيد: تحويل الأمل والتطلع إلى فعل وعمل:

التمهيدُ لغةً يعني الإعدادَ والتجهيزَ والتهيّؤَ لأمر ما، قد يحدثُ عاجلاً أو آجلاً، و«تمهيدُ الأرض» هو تسويتُها وتحضيرُها للبناء. أمّا في الفكر المهدويّ، فيعني التمهيدُ كلّ جهد يهيّئُ الأمّةَ ككلّ لاستقبال الإمام المهديّ محمّد بن الحسن (عجّل الله فرجَه الشريف) من هنا، إذا كان الانتظارُ يمثّلُ الشوقَ والقلبَ والفكرة فإنّ التمهيدَ يُجسّدُ العملَ والجسدَ والتطبيقَ المؤسّسيَّ على الأرض.

ويأخذُ التمهيدُ شكلين اثنين: الأوّل شخصيّ، والثاني جماعيّ. فعلى الصعيد الشخصيّ، يعني أن يعملَ الإنسانُ على تزكية نفسه بالتقوى والإيمان، وتربيتها على القيم الرساليّة، وتطهير قلبه من الآفات والمنكرات الروحيّة والعمليّة، وتطبيق أحكام الإسلام بصدق ووعي ومسؤوليّة؛ فالدولةُ العادلةُ تحتاجُ إلى أفراد صالحين مؤمنين بالعقيدة فعلاً وقولاً، فلا معنى لدولة تقومُ على العدل إذا كان أبناؤها غارقين في الانحرافات والفوضى الفكريّة والعقليّة والعلميّة,

فالإمامُ المهديُّ (عجّل الله فرجَه) لا يبني مجتمعَهُ من لا شيء ولا من فراغ، بل يحتاجُ إلى أمّة مُهيّأة.

أمّا على المستوى الجماعيّ، فيعني التمهيدُ بناءَ مؤسّسات قويّة فاعلة، ومجتمعات تقتربُ بقدر الإمكان من نموذج الدولة الكريمة، دولة العزّة، وذلك من خلال وجود مؤسّسات علميّة وتربويّة تعزّزُ الوعيَ الإيمانيّ، وحركات اجتماعيّة تواجهُ الظلمَ والشرّ، ومشاريعَ اقتصاديّة تحقّقُ الاستقلالَ للفرد والمجتمع، وإعلام يحاربُ التضليل والتزييف. وكلّ ذلك يدخلُ في إطار التمهيدُ لقدومه المبارك (عليه السلام)

وبهذا يصبحُ التمهيدُ هو الرابطَ الحيويَّ بين الوعد الإلهيّ وتحقيقه على أرض الواقع في حياة الأمّة؛ فإذا كان الوعدُ الإلهيُّ مضموناً، فإنّ تحقّقَ شروطه يحتاجُ إلى عمل المؤمنين وجهدهم وتوحّدهم حول خيارات الإسلام وقيمه الساعية لإقامة دولة العدل والعزّة والكرامة. فالتمهيدُ هو الشرطُ التاريخيُّ للظهور المهديّ؛ لأنّه يهيّئُ البيئةَ المناسبة، ويُمهّدُ الطريق، ويؤهّل الأمّةَ

لاستقبالِ قيادتِها المنتظَرة، التي تنظرُ إليها الأُمّةُ بشغفٍ قلبيٍّ وعقليّ.

ثالثاً - الفرقُ بين الانتظارِ والتمهيد:

يمكنُ إيضاحُ الفروقِ الجوهريّةِ بين مفهومي الانتظارِ والتمهيدِ من خلالِ ثلاثِ نواحٍ أساسيّة:

أ- من ناحيةِ الطبيعة:

الانتظارُ حالةٌ قلبيّةٌ وروحيّة، بينما التمهيدُ ممارسةٌ عمليّةٌ حركيّة. فالمنتظرُ يعيشُ الشوقَ بقلبِه وروحِه، أمّا المهّدُ فيجمعُ بين المشاعرِ والعملِ الخلّاقِ المنتج.

ب- من ناحيةِ الزمان:

يتوجّهُ الانتظارُ نحو المستقبلِ واليومِ الموعودِ كزمنٍ قادم، في حين يركّزُ التمهيدُ على الحاضرِ كزمنٍ قائمٍ الآن، وما يجبُ إنجازُهُ لتمهيدِ الطريقِ نحو المستقبلِ المنشود.

ج- من ناحيةِ الدور:

يتلقّى المنتظرُ الوعدَ بتحقيقِ العدالة، بينما يكونُ المهّدُ شريكاً فاعلاً في صنعِ هذه العدالة، حيثُ ينطلقُ للبدءِ بتطبيقِها في حياتِه اليوميّة، الخاصّة والعامّة.

فهذه هي الفروقُ التي تؤكّدُ طبيعةَ هذا التكاملِ بين المفهومين إذ إنّه من دونِ التمهيدِ قد يتحوّلُ الانتظارُ إلى خمول، ومن دونِ الانتظارِ قد يصبحُ التمهيدُ مجرّدَ حركةٍ ماديّةٍ تخلو من الروح. لكن حينَ يتّحدُ الاثنان، يصبحُ الانتظارُ قلباً نابضاً بالإيمان ويصبحُ التمهيدُ جسداً عاملاً يحقّقُ الأهدافَ الموضوعةَ والمأمولة.

رابعاً - لماذا يكونُ التمهيدُ هو المطلوب؟

لم تُقدِّم النصوصُ الدينيّةُ التي تحدّثت عن الانتظارِ مفهوماً سلبيّاً منفصلاً عن العملِ والحركةِ الاجتماعيّةِ الفاعلة، بل ربطتْهُ دائماً بالاستعدادِ العمليِّ الدائمِ والمستمرّ. وعندَ تأمّلِ سننِ التاريخِ وقوانينِه، ندركُ أنّ الإمامَ المهديَّ (عجّل الله فرجَه) سيحتاجُ -حالَ ظهورِه- إلى مجتمعٍ مؤهَّل، بما يعني أنّه من دونِ التمهيدِ المسبقِ سيواجهُ الظهورُ فراغاً مجتمعيّاً، ولهذا فإنّ المسؤوليّةَ العمليّةَ في عصرِ الغيبةِ تتمثّلُ في إنجازِ التمهيد؛ فالانتظارُ يقدّمُ الحافزَ المعنويّ، لكنّ التمهيدَ يخلقُ النتائجَ العمليّةَ الملموسة.

من هنا يكونُ المطلوبُ في زماننا أن نحوّلَ الانتظارَ إلى تمهيدٍ عمليّ، خاصّةً وأنّ الأمّةَ تواجهُ الكثيرَ من المخاطرِ والتحدّياتِ الكبيرةِ خارجيّاً وداخليّاً.

إنّ التمهيدَ ضرورةٌ وواجبٌ حيويّ، ومن دونِه يبقى الانتظارُ مجرّدَ حلمٍ وأُمنيّةٍ لا فاعليّةَ لها، أمّا من خلالِ التمهيد، فسوف يتحوّلُ الانتظارُ إلى قوّةٍ تغييريّةٍ قادرةٍ على إحداثِ التأثيرِ في حركةِ الواقع، فالتمهيدُ يعني أن نعيشَ اليومَ القيمَ التي نأملُ تحقيقَها في الغد، وأن ننشئَ في حاضرِنا نماذجَ مُصغّرةً للعدالةِ التي سيُحقّقُها ويُعمّمُها الإمامُ الحجّةُ (عجّل الله فرجَه) على الأرض.

إذاً، فقط ومن خلالِ هذه الرؤية، يصبحُ الانتظارُ مثمراً، ويصبحُ الفردُ شريكاً حقيقيّاً في صناعةِ التاريخِ وجعلِه مشرقاً.

خامساً - الشبابُ والتمهيد: مسؤوليّةُ جيلِ الغيبة

الشبابُ دوماً هم أملُ أيّةِ أُمّة، وفي أُمّتِنا يقعُ العبءُ الأكبرُ من مسؤوليّةِ التمهيدِ حتماً على عاتقِ هذه الفئة، فئةِ الشباب؛ فهم وقودُ الأُمّةِ ومُحرّكُها القويُّ المنتج، كما أنّ عصرَ الغيبةِ هو زمنُهم الخاص. ولهذا، إن لم يتحوّلِ الشبابُ إلى ممهّدين فاعلين أقوياءَ قادرين ومنتجين، فلن تصلَ الأُمّةُ إلى مستوى الجاهزيّةِ المطلوبةِ واللازمةِ لليومِ المهدويِّ الموعود.

وينطلقُ تمهيدُ الشبابِ من خلالِ التربيةِ الذاتيّة، تربيةِ النفسِ وتدريبِ الجسد، وتعويدِ النفسِ على الطاعةِ والوعي، والممارساتِ السلوكيّةِ القيميّةِ البسيطة، كالصدقِ في القولِ والعمل، والنزاهةِ في العلاقات، ومقاومةِ الإسرافِ والتبذير، والالتزامِ بطلبِ العلمِ والمعرفة، وعدمِ الاستغراقِ في قيمِ الاستهلاكِ والزخرفِ الدنيويّ. لكنّ المسؤوليّةَ لا تقفُ عند هذا الحدّ، بل تمتدُّ إلى أهميّةِ مشاركةِ الشبابِ في ميادينَ أوسع، ومنها إطلاقُ المبادراتِ الثقافيّة، ومواجهةُ الإعلامِ المضلّل، وخدمةُ الفئاتِ المستضعفة وبناءُ شبكاتِ التوعيةِ المسؤولة، ومقاومةُ حملاتِ الاستهلاكِ الفارغِ التي تستعبدُ العقولَ وتُقيّدُ الإرادات وتُنتجُ إمّعاتٍ مستلبةً خانعة.

لا يُعدُّ التمهيدُ عملاً مؤجّلاً إلى لحظةِ الظهور، بل هو ممارسةٌ يوميّةٌ مستمرّة، تتواصلُ مع سلوكيّاتِ التجهّزِ والإعدادِ الروحيِّ والفكريِّ والجسديّ. فكلُّ خطوةٍ إصلاحيّةٍ يخطوها الشابُّ تُشكّلُ جزءاً من هذا التمهيدِ المطلوبِ بمسؤوليّةٍ ووعيٍ كاملين.

فعندما يحافظُ المهّدُ على نقاءِ بصرِه، ويلتزمُ الصدق، ويختارُ تخصّصاً علميّاً أو يقومُ بأيِّ عملٍ هادفٍ يخدمُ من خلالِه مجتمعَهُ وأُمّتَه، فإنّه يُسهمُ في التمهيدِ لذلك اليومِ الموعود. وعندما يقفُ في وجهِ الفساد، وينشرُ المعرفةَ النافعةَ حولَه ويساهمُ في بناءِ اقتصادٍ مقاوم، فإنّه يُمهّد، وهكذا يتحوّلُ التمهيدُ إلى منهجِ حياة، لا مجرّدَ شعاراتٍ رنّانة.

إنّ الانتظارَ والتمهيدَ ليسا مسارين منفصلين، بل هما وجهانِ لحقيقةٍ واحدة؛ فالانتظارُ يمثّلُ الأفقَ المعنويَّ الذي يمنحُ الحياةَ غايتَها وروحَها الحقيقيّة، بينما التمهيدُ هو الترجمةُ العمليّةُ لهذا الأفقِ على أرضِ الواقعِ في السلوكِ والفعل، لذا فإنّ شعارَ مرحلتِنا هو «التمهيدُ في ظلِّ الانتظار» أي أن يظلَّ القلبُ متعلّقاً بالوعدِ الإلهيّ، بينما اليدُ تعملُ بجدٍّ وإخلاص، وبأخلاقٍ وكفاءةٍ عالية.

وإذا اكتفتِ الأُمّةُ بالانتظارِ فقط، ستظلُّ تعيشُ حالةَ الترقّبِ السلبيِّ المنفعل، أمّا إذا تحوّلتْ إلى أُمّةٍ ممهّدة، فإنّها تبني اليومَ ما يُقرّبُ تحقيقَ الغد.

هذه هي الرسالةُ التي يجبُ أن تصلَ إلى الشباب: رسالةٌ مفادُها أنّ كلَّ جهدٍ صغيرٍ في سبيلِ الله هو لبنةٌ في صرحِ التمهيدِ الكبير وأنّ كلَّ ورعٍ وأخلاقٍ وعملٍ صالحٍ هو خيطٌ في نسيجِ الاستعدادِ والتجهّز. وبهذه الرؤيةِ يتحوّلُ الانتظارُ إلى عبادةٍ حقيقيّة، ويصبحُ التمهيدُ تكليفاً شرعيّاً، وتتهيّأُ الأُمّةُ لاستقبالِ إمامِها المنتظرِ (عجّل الله فرجَه) ومشاركتِه في تحقيقِ العدالةِ العالميّةِ التي وعدَ اللهُ بها الناسَ أجمعين.

أُسسُ هويةِ المُنتظِرِ في دعاءِ العهدِ

هادي بدر الكعبي/ بغداد

تتبوأُ أدعيةُ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) موقعاً محوريّاً في الفكرِ الإسلاميِّ، والمسارِ التكامليِّ للإنسانِ المُمهِّد، لا لروعة بلاغتها فقط، بل لِما تنطوي عليه من رؤى كونيّة، وأبعادٍ معرفيّة عميقة، ووظائف اجتماعيّة تلامسُ صُلبَ مشروعِ الانتظارِ.

ويُعدُّ دعاءُ العهدِ من أبرزِ هذهِ الأدعيةِ، حيثُ يُجددُ المُنتظِرُ من خلاله عهدَ الارتباطِ بالإمامِ الحجةِ (عجّل الله فرجَه)[اللهمّ اجعلني من أنصارِه وأعوانِه والذابّين عنه والمسارعين إليه في قضاءِ حوائجِه] عبر مستوياتِ التزامٍ متدرّجةٍ وواعيةٍ وهي: النصرةُ، العونُ، الذبُّ والمسارعةُ.

وهذهِ العباراتُ ليست مجردَ كلماتٍ متتاليةٍ، بل هي مراحلُ مبنيّةٌ في نسقٍ هندسيٍّ محكمٍ، يُشكّلُ خارطةَ طريقٍ للمُنتظِرِ، ويصوغُ هويتَه العقائديّةَ والسلوكيّةَ في عصرِ الغيبةِ، استعداداً ليكونَ شريكاً فاعلاً في فجرِ الظهورِ.

تبدأُ هذهِ الخارطةُ بطلبه: (اللهمَّ اجعلني من أنصارِه) حيثُ تتجلّى النصرةُ بوصفِها أساسَ الهويةِ المهدويّةِ، فالنصرةُ هنا لا تُختزلُ في موقفٍ عاطفيٍّ أو شعورٍ وجدانيٍّ، بل هي موقفٌ معرفيٌّ واعٍ، يقومُ على الانتماءِ للمشروعِ الإلهيِّ الذي يحملُهُ الإمامُ (عجلَ الله فرجه)

إنّها تعبيرٌ عن الإيمانِ، بأنّ الإمامَ هو الامتدادُ الحقيقيُّ لخطِّ النبوّةِ، وأنّ مشروعَهُ هو مشروعُ العدالةِ الإلهيّةِ في الأرضِ.

ومن هنا، تمثّلُ النصرةُ لحظةَ تأسيسٍ للهويةِ، يقرّرُ فيها الإنسانُ أن يكونَ جزءاً من هذا المشروعِ عن وعيٍ وبصيرةٍ لا بدافعِ العاطفةِ وحدَها، ولهذا جاءت النصرةُ في مقدّمةِ الطلباتِ، لأنّها القاعدةُ التي تُبنى عليها بقيّةُ المراتبِ.

غيرَ أنَّ النصرةَ ما لم تُترجمْ إلى فعلٍ، تبقى ناقصةً في بناءِ شخصيةِ المُنتظِرِ، ومن هنا تأتي المرتبةُ الثانيةُ "ومن أعوانه" فالعونُ هو الانتقالُ من دائرةِ الانتماءِ النظريِّ إلى ساحةِ العملِ والممارسةِ.

المعُين هو مَن يتحملُ جزءاً من المسؤوليةِ، ويُسهمُ في حملِ أعباءِ المشروعِ، ويضعُ طاقاتِه وخبراتِه في خدمةِ مسارِ التمهيدِ.

وفي هذا المستوى، يُسائلُ المُنتظِرُ نفسهُ: ما دوري العمليُّ؟ وما الذي أستطيعُ تقديمَهُ لمجتمعي؟ وكيف أكونُ لبنةً في بناءِ الوعيِ، وحفظِ الدينِ، ومواجهةِ الانحرافِ؟ وهنا تتحولُ النصرةُ من شعارٍ إلى سلوكٍ يوميٍّ، ويتحولُ المُنتظِرُ من مؤيدٍ إلى فاعلٍ.

ثم تأتي المرتبةُ الثالثةُ "ومن الذّابينَ عنه" وهي مرحلةٌ لا تتعلقُ بالبناءِ فحسبُ، بل بالحمايةِ والصيانةِ.

فكلُّ مشروعٍ إصلاحيٍّ يتعرضُ لمحاولاتِ التشويهِ والتحريفِ، ومشروعُ الانتظارِ في زمنِ الغيبةِ الكبرى يواجهُ تحدياتٍ عدةً، من بثِّ اليأسِ، وتحريفِ المفاهيمِ، وضربِ الثقةِ بالمستقبلِ الموعودِ، والذبُّ عن الإمامِ (عجل الله فرجه) لا يقتصرُ على الدفاعِ الجسديِّ، بل يشملُ الدفاعَ عن عقيدتِه، ومنهجِه، وقيمِه، ورؤيتِه للإنسانِ والمجتمعِ.

وفي هذا المستوى، يتحولُ المُنتظِرُ إلى حارسٍ للمشروعِ، يدافعُ عنه بوعيِه وفكرِه وموقفِه، لأنّ النهضةَ بلا حمايةٍ مهددةٌ بالانهيارِ، والبناءَ بلا حُرّاسٍ عرضةٌ للتضليلِ.

أمّا المرتبةُ الرابعةُ فهي "والمسارعونَ إليه في قضاءِ حوائجه" والمسارعةُ هنا ليست مجردَ سرعةٍ في الحركةِ، بل هي حالةٌ تعكسُ الاستعدادَ الدائمَ، والحضورَ الواعيَ، والشعورَ بالمسؤوليةِ.

إنّها تعبيرٌ عن اندماجِ المُنتظِرِ في مشروعِ الإمامِ إلى الحدِّ الذي يرى فيه نفسه جزءاً من حوائجِه، فيبادرُ إلى أداءِ ما يراهُ واجباً من دونِ ترددٍ أو إبطاءٍ، لا بدافعِ الخوفِ ولا طمعاً بالمكاسبِ، بل بدافعِ الانتماءِ الصادقِ للمشروعِ المهدويِّ.

القيادة الغربية المُصابة

د. سهاد عبدالله / المغرب العربي

القيادة الغربية تبدو اليوم وكأنّها تعيش في عالم نفسيٍّ مأزوم، تتقاذفها عقدُ الخوف من الانحدار وفقدان السيطرة، وتنهشها أوهامُ العظمة ورسائل التفوّق الحضاريّ المزعُوم، فمَنْ يتأمّل خطابها وسياساتها يلحظ أنّ خلفها حالةً مرضيّةً تتجاوز السياسة إلى عمق الذات؛ قلقٌ وجوديّ، وهوسٌ دائمٌ بالعدو المتخيَّل، ونرجسيةٌ جماعية تحجب عنها إدراك حقيقة العالم المتغيِّر.

هذه القيادة التي تدّعي حمل مشعل الحريّة والعدالة، تُمارس في الواقع أبشع أشكال الظلم والاستغلال، فهي تبرّر تدخّلاتها العسكرية تحت شعارات حقوق الإنسان، وتفرض العقوبات الاقتصادية وكأنّها أداةٌ علاجية، بينما هي سمٌّ بطيءٌ يفتك بالمجتمعات، وفي الوقت الذي تروّج فيه لخطاب السلام، تظلّ مصانعها تعجّ بالسلاح، وأسواقها تعيش على الدماء، متغذية من صراعات تشعلها في بقاع الأرض.

المرضُ النفسّيّ الذي يطبع هذه الذهنية هو سمة بُنيوية لهذا اَلنِّظَام السِّياسيّ أي أنّه؛ مرضُ السلطة حين تنفصل عن الأخلاق، فالنرجسيّة السياسية تدفعهم إلى تصوّر أنفسهم محور الكون، بينما نزعة القلق الوجوديّ تجعلهم يفتشون دائما عن عدوٍّ جديد ليبرّروا عسكرة المجتمعات.

حتى صارت سياساتهم أقرب إلى سلوك مدمن يخشى الفراغ، فلا يعيش إلا في جوٍّ من العداء والأزمات.

وفي هذا السياق المَريض، تُساق شعوبٌ بأكملها إلى الخضوع، وتُرسم الخرائط بالبارود، ويُدار الاقتصاد العالميّ كسلاح ضدّ الضعفاء، ليست تلكَ مجرد سياسات، بلَ انعكاس لأمراض نفسية تحوّلت إلى أنظمَة حكم، حيث تتجسد العصاب الجمَاعي في صناعة الأزمات، والوسواس القهري في مراقبة الآخرين والتحكم بمصائرهم، والبارانويا في اختِلاقِ تهديداتٍ وهميّة لا تنتهي.

إنّ العالم يدفعُ ثمن هذا الاضطراب النفسي الجماعي، شعوب منهكة تحت العقوبات، أممٌ تُدَمّرُ بُناها بالحروب، وبيئة منهوبة باسم التقدم، ومع ذلك، يُصرُّ الخطاب الغربي على تقديم ذاته بوجهٍ ملائكي، متجاهلاً أنّ التناقض الصارخ بين القول والفعل هو أوضح أعراض الانفصام.

ولعلّ أخطر ما في الأمر أنّ هذه القيادة، بدلاً من أنْ تعالج حالتها النفسية بالاعتراف بحق الآخر، تمضي في الهروب إلى الأمام، مكرّسةً مزيداً من العنف.

فتصبح السياسة العالمية مختبراً لأمراض القادة، ويغدو مصير الشعوب رهينة لعُقد لم تُعالَج وأوهام لم تُفكَّك، وهكذا يبقى العالم أسيراً لقيادة مريضة، تقودُ بوعي مزيّف نحو الظلم، وتدفع الإنسانية إلىً دروبٍ مُظلمة، باسم الحريّة التي قتلوها وباسم العدالة التي أغتالوها.

وإذا كان العالَمُ المعاصرُ يعاني من قيادات غربية مصابة باضطرابات نفسية وأوهام إمبراطورية، فإن المنظور الإسلامي يطرح صورةً مغايرةً تماماً لمفهوم القيادة، فالقائد في الرؤية الإسلامية ليسَ كائناً مهووساً بالسلطة، بل هو عبدٌ لله، يستمد شرعيته من خضوعه للحق وعدالته في رعاية الرعيّة. القيادة هنا وظيفة تكليف، وليست امتيازاً شخصياً، وهي عبادة ومسؤولية، لا غنيمة تُقسم ولا ميراث يُتوارث.

لقد جاء الإسلام بمفهوم القيادة التي تداوي النفوس قبل أن تضبط المؤسسات، وتربط بين الحاكم والمحكوم بميثاق قوامه العدل والرحمة والمساواة أمام الله (تعالى). ومن يقرأ سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) أو خطب الإمام علي (عليه السلام) يجد أنّ القيادة في الإسلام لا تنفصل عن الأخلاق، ولا تنحرف إلى الغرور والعسف، بل هي تجسيد لأمانةٍ كبرى. فالمسؤول الأول هو "خادم الأمة" وكرامة الإنسان هي معيار القرار.

وفي قمّة هذا الفهم، يبرز الدور الموعود للقائد المهدي (عجل الله فرجه الشريف) بوصفه المخلّص للبشرية.

ففي حين يورّط القادةُ الغربيون العالمَ في أزماتٍ مُفتعلة وحروب نفسية ومادّية لَا تنتهي، فإنّ الإمام المُنتظَر يأتي ليُعيد التوازن المفقود، ويُحرّر الإنسان من استعباد الإنسان، فالقيادة المهدَوية تُطبِّق العدالة كنظام يشمل مناهج الحياة جميعها، فلا تمييزَ بين الشعوب، ولا هيمنةَ لأمّة على أخرى، بل مساواة كونية تُعيد للإنسانية وعيَها الغائب وحقوقها المنسيّة.

وإذا كانت القيادات الغربية تعكس أمراضاً نفسيةً متفاقمة، فإنّ القيادة المهدوية تُمثل شفاءً للبشرية؛ شفاءً من جنون الحروب، ومن هوس التفوّق العنصري، ومن نرجسيّة السيطرة التي مزّقت العالم.

وبذلك يظهَرُ التناقضُ الصارخ، قيادةٌ تزرع الظلم لأنّها مأزومة في أعماقها، وقيادةٌ تزرع العدل بسلامها وبركاتها التي تغمر بها الأرض أين ما حلّت.

عند الظهور المبارك، ستجد الإنسانيةُ نفسَها وقد خرجت من نفقٍ طويلٍ من الاضطراب النفسيّ والسياسيّ، إلى فضاءٍ من الطمأنينة والأنس بذلك الوجد المقدس للإمام المهدي المؤمل.

وحينها ستُدرك الشعوب أنّ القيادة الربانية التي شرّع وجودها الله (تعالى) لم تكن يوماً مرادفاً للهيمنة، بل وجودها كان مرادفاً للهدايَة، وأنّ ما مرّ بالبشريّة لم يكن إلا اختِباراً للثبات على الحق والتصديق والتسليم والإنقياد لأمْر الله المحتوم الذي وعد به (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[القصص: ٥]

التعايش المؤدلج

د. محمد المهتدي/ جامعة السوربون

ظهرتْ ظواهرُ في صفوف بعض المُفكّرين المخدومين إعلاميّاً، والذين تُسلَّطُ عليهم الأضواءُ بكثرة، فهم الكُتّابُ في المجلات والمواقع المعروفة، وهم المُحاضرونَ أو أبرزُ أعضاء الندوات الذين لهم حضور دائم، وهم أوّل وأكثر من يُعطَونَ حقَّ التعليق، وإن كانوا في كثير من الأحيان هم مَنْ تُوجَّهُ لهم الدعوةُ حصراً في أكثر نَدوات العالم العربيِّ فضلاً عن التواجد الإعلاميِّ المُكثّف المفروض على الجمهور والمُؤدلَج سياسيّاً.

وهذه الفئةُ المخدومةُ يطرحُ خطابُها مضمونَ الدعوة المُلحّة إلى التعايش مع الغرب، والسير في ركاب حضارته الحاضرة، والحزّ في رقاب أمتها للتوجّه السريع كيفما اتّفق، وهذا الطرحُ هو عبارةٌ عن الفكرة المُندسّة التي لا تقفُ عندَ حدٍّ ولا تضعُ لسامعها حدوداً بأنْ يتعايشَ العربُ خاصّةً والمسلمونَ عامّةً، مع الغرب بصليبيّته الحاكمة المحكومة وصهيونيّته الحاكمة المطلقة من وراء الستار.

ويُوحي هذا الطرحُ بأنّ الغربَ يرغبُ في التعايش، ويُقبلُ به في إطار سلام عادل ودائم، مع احترام للحقوق والمبادئ والديانات، والثقافات والقيم الاجتماعيّة والممتلكات الاقتصاديّة، كما يوحي بأنّ العربَ والمسلمينَ وخاصّةً مَن يحملونَ الهمَّ العامَّ منهم، هم الذين يرفضونَ التعايشَ، وأنّ مواقفَهم هجوميّةٌ وليست دفاعيّةً عن الهويّة وعن البقيّة.

لكنَّ الواقعَ يقولُ: إنَّ المسلمينَ المدافعين عن حقوقهم لم تُتَحْ لهم فرصةُ التعبير عن قضاياهم في أكثر المواقع السياسيّة والفكريّة والإعلاميّة، ولم يجدوا من الغربِ وخنجره المغروس في خاصرة القدس رغبةً في التعايش والتفاهم وإنّما وجدوا عدواناً إثرَ عدوان، ودعوات للاستسلام التامِّ تحتَ مسمّيات السلام، وقبلَ إعادة الأرضِ والممتلكات لأهلها يُحرَّفُ الاتّجاهُ للتغاضي عن ذلك، والسير في مسار الاحتلال الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ والثقافيِّ، والتطبيع دون أدنى ثمن.

ويتّهمُ المُسلمينَ بعضُ المُنظّرينَ والمُساندينَ والمُتعاطفينَ مع فكرة التعايش، بأنّهم مَن يضعونَ العصيَّ في طريق الاندماج مع الغرب، وفي الحقيقة هذا الغربُ مُصرٌّ على ابتلاع الكلِّ معنويّاً وماديّاً: أرضاً ومالاً، نفوذاً وحُكماً وهيمنةً، وعدم إعطاء أيِّ شيء إلّا ما هو زائفٌ، مموّهٌ، موهمٌ.

ويُقالُ في الأمثال: "إنَّ ابنَ آدم لا يُعطيكَ نعجتَهُ إلّا ليأخذَ منك الثورَ والجملَ" ذلك ابنُ آدم سابقاً، أمّا ابن الغرب اليومَ، فإنّهُ يأخذُ منك الثورَ والجملَ ولا يُعطيكَ نعجتَهُ، ولا حتّى جلدَها، وربّما أعطى الفرثَ والروثَ فقط، في شكل بواخر تحملُ مخلفات ضارّة، ومعها حشرات، لتُلقى أو تُدفنَ في أراضينا بعيداً عن أوروبا، ولا يكتفي بأخذ ما لديك، بل يجعلُك مديناً لعقودٍ قادمة، يضمنُ بها أن يكونَ دَخلُك لهُ لا لك.

فدعوةُ التعايش مع الغرب مصحوبة بالتنازل التامِّ عن كُلِّ الحقوق المعنوية والماديّة، الموروثة والمُكتسَبة والمُتطلَّع إليها، فإنّها بهذا النحو الذي يُفهَمُ ولا يُفصَحُ عنه تكونُ دعوةً للموت، وتضحيةً بالأهل لخدمة العدوِّ، وإشباعاً لأنانية النفس التي تعيشُ لذاتها، وما استُحقَّ لمثل هذا أن نعيشَ.

فالذي يرفضُ التعايشَ هو الغرب وليس العربُ، والدين الإسلاميّ مليء بالمواقف والمواعظ الداعية إلى التعايش البشريِّ، واحترام وتكريم ابنِ آدم، والحرص على مكانة الناس، لا المسلمينَ فقط.

والإسلامُ يتضمّنُ أسمى القيم في العدل، والحرص على حياة البشر، والمُثُل الإنسانية، لكن لا يجوزُ توظيفُ هذه القيم في مفاهيمَ تدعو المسلمَ إلى التراخي عن دينه وقيمه، والتفريط في إسلامه المُنظّم للكون، والمُحقّق للتعايش المبنيِّ على أسس سليمة وقيم عُليا.

ففي الإسلام، مَن أحيا نفساً فكأنّما أحيا الناسَ جميعاً وليس من أحياً مسلماً فقط.

إنَّ خبّازَ هذه الأيام هو الغرب، وقيلَ لنا: "أعط العيشَ لخبّازه ولو أكلَ نصفَهُ" ولدى كثير منا استعدادٌ لإعطائه العيش ولو أكلَ ثلاثةَ أرباعه، لكنَّ صهيونيّةَ الغرب وصليبيّتَهُ تريدُ أكلَ العيش كلّه برمّته، ولا يبقى لنا ولا حتى الفتات.

إنّه يريدُ أكلَ الأخضر واليابس، وتجويعَنا معنويّاً وماديّاً حتى نتلاشى كأمّة مُستقلّة، وكشخصيّة تاريخية لها اعتبارُها، إنّهُ يريدُنا قطيعاً، ولّه الإقطاعُ، وأن يُدفنَ التراثُ والحضاراتُ ما عدا حضارتَه المسروقةَ البائسةَ، ثمّ مع ذلك يظهرُ من أبناء جلدتنا مَن يدعونا إلى التعايش، أيّ الاستخذاء والاستجداء بلا جدوى، ويزدادُ صلفُ الغرب في الاستعلاء، وفي توظيف الأغبياء.

أمّا مقاومة هذا، فإنّها تتيحُ المجالَ لأن يصلَنا غوثُ ربِّ العالمَين بدفعِ الناسِ بعضهم ببعض، وإطفاءِ اللّه (تعالى) لكلِّ حربٍ أوقدوا النارَ لها، ولينصرنَّ اللّه مَن ينصرُه ولن يجعلَ اللّه للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلاً، أيّ الذين أخذوا صفةَ الإيمانِ قولاً وعملاً ويقيناً، لا مجرّدَ هويةٍ وادّعاء، أيّ التمسّك بالعقيدة الإسلامية.

يرفضُ الغربُ التغييرَ الجغرافيَّ في العالم، فلماذا قَبِلَ بتوسّع اليهودِ في فلسطين ودعمهم؟ ويرفضُ التجاربَ النوويةَ والأسلحةَ الذرّيةَ، فلماذا لم يقفْ من اليهودِ في فلسطين موقفاً يتفقُ مع ما يدّعيه في مواضع أخرى؟ ولماذا؟ ولماذا؟

ثمّ إنَّ مَن يدّعوننا إلى التعايشِ مع الغربِ لم يذكروا لنا، ماذا أعطى الغربُ ليشجّعَنا على ما دعوا إليه سوى إثارةِ الفتنِ بيننا؟ ولم يوضّحوا موقفَ الغربِ من التعايشِ، هل هو ابتزازٌ، واستيلاءٌ، وجشعٌ، وطمعٌ وتخمةٌ هناك، وتجويعٌ هنا؟ أم أنّه تعايشُ عدلٍ وحُسنِ معاملة، واحترامُ حقوقٍ وحريّات، وديمقراطيةٌ غير زائفة، وبُعدٌ عن التمييزِ العنصريِّ والتعصّبِ الدينيِّ؟

التعصّبُ الدينيُّ لعبةٌ صهيونيةٌ وقعَ في شراكها الغربُ، وهدفُ الصهيونيةِ إثارةُ الفتنِ والتقاتلِ بين المسلمينَ والنصارى، لتكونَ الصهيونيةُ سيّدةَ الموقف، ومُشعلةَ النارِ والفتنِ، والمُسيطرةَ المهيمنةَ، ومن قبلنا لا تعصّبَ ولا إكراهَ في الدينِ، ومن قبلهم عداء سافر منهم ومن قياداتهم للإسلام.

ما أخذَ اليهودُ بخاصّة والغربُ بعامّة المزرعةَ وتركوا لنا البيتَ، أو أخذوا البيتَ وتركوا لنا المزرعةَ، وإنّما أخذوا البيتَ والمزرعةَ معاً، وأخذوا معها المسجدَ أيضاً المسجد الأقصى المبارك، وبقيت لنا كلمةُ السلامِ نردّدُها ببغائيّةٍ ثرثارة.

في زمنِ حضارتهم الهادمة تشتعلُ الحروبُ في كلِّ ساحاتِ المنطقة، والثراءُ فاحشٌ لديهم، والجوعُ لغيرهم سيّدٌ على كُلِّ العالم، والأمراضُ والفوضى تنتشرُ على أيديهم، والجنسُ غيرُ المُنظّم الذي يخططون كيف يزحفُ من قارتهم لبقيةِ القاراتِ؟ والحضارةُ والسلامُ يتمثّلانِ لدى الغربِ في وأدِ قيمِ الآخرين، والسيطرةِ عليهم وخنقِ أنفاسهم واستعبادهم، ومع ذلك فنقدُنا ودعوتُنا لهم بالإصلاح، هي دعوةٌ سلميةٌ واختياريةٌ، لا ضغوطَ فيها ولا عُنفَ، فلكم دينُكم وليَ دين.

يا دُعاةَ التعايُشِ بلا حُدودٍ ولا قيودٍ ولا شُروط، إذا أضعفتُمُ الرّافضينَ من أبناءِ جلدتِكم، المُقاومينَ للسُّقوط، فإنّكم بذلك تُعجّلونَ بضعفٍ أو تلاشي وُجودِكم، ثمَّ ستُمكّنونَ للغربِ أن يُظهرَ لكم ما يُخفيه عنكم الآن مرحليّاً، حتّى يَجهزَ على كلِّ مُقاومةٍ لمشاريعِه الهدّامة، وأنتم مُستخدَمونَ كمعاولٍ لها، ومنكم مَن يَدري ردَّ اللّه (تعالى) غريبتَهُ، ومنكم مَن لا يَدري سامحَهُ اللّه وفطّنُه بما يجبُ عليه، والغربُ لا يَخشى الآن إلّا من الفئةِ المُقاومةِ لهُ، لأنّها الفئةُ الواعيةُ المُدركةُ لما يُرادُ ويُخطّطُ لهُ تدريجيّاً.

المهمُّ لا تحزّوا في رقابِ المقاومينَ أيّها الدعاةُ إلى التعايشِ مع الغربِ كيفما اتّفقَ، فإنّكم ستندمونَ إذا أُكلَ الثورُ الأبيضُ، وجعلوكم مثلَ المنديلِ المعطّرِ بعد أن يُستعمَلَ، وأنتم أدرى بمصيرِه بعدَ الاستعمالِ ولو عُطّرَ. وتحيّةٌ محبّة تدعو للالتفاتِ قبلَ الفوات.

هلِ الغربُ راغبٌ في التعايشِ حقّاً وهو يرفضُ في فرنسا -أمِّ الثورةِ والحرّية- أن ترتدي الفتياتُ في المدارسِ الابتدائيّةِ غطاءَ الرأسِ لأنّه إسلاميٌّ النزعة؟ فأينَ الحقوقُ، أينَ الحرّيةُ؟ بينما الكيباهُ اليهوديّةُ لا تُعارَضُ.

فإنْ كانَ الادّعاءُ التمسّكَ بعلمانيّةِ فرنسا، فهذا افتراءٌ وكذبٌ مكشوفٌ، فلماذا لا تُمنَعُ كيباهُ اليهوديِّ من أجلِ العلمنة، والمساواةِ في المعاملة، والعدالة، ووحدةِ المواقفِ تجاهَ الحقوق؟

ولماذا تُعذَّبُ الإنسانيّةُ في فلسطين وفي عدّةِ أمكنة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينيّةِ على نحوٍ وحشيٍّ إرهابيٍّ، ويختفي البابا عن مسرحِ الأحداثِ ليُمارسَ هو ومَن معه نشاطَه حولَها للتنصيرِ أو التهديدِ بمدِّ الحربِ إلى المُجاورينَ؟ و يحاربُ الغربُ الإسلامَ في مثلِ تعددِ الزوجاتِ أكثرَ ممّا يحاربُ اللواطَ والزنا والعربدةَ والمخدراتِ والقمار؟

يا دعاةَ التعايشِ حاسبوا أنفسَكم قبلَ أن تُحاسَبوا ودعوةُ التعايشِ الحقيقيُّ العالميُّ مع الغربِ سيعرضُها عليهمَ رسولُ الإمامِ المهديِّ (عجل اللّه فرجه) إلى الغربِ السيدِ المسيحِ (عليه السلام) حتى ذلكَ الحين، يجبُ أن لا ننخدعَ وأن لا نُداهنَ وأن نكونَ مستفيقينَ لأنَّ الواقعَ والتجربةَ يُخبرُان عن أمرٍ آخر، وحسبنا اللّه وهو نعمَ الوكيل.

الأملُ المهدويُّ، ضرورةٌ نفسيةٌ

علي النبهاني/ ذي قار

لا ريبَ أنَّ الإيمانَ بالإمامِ المهديِّ (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وانتظارَ ظهورِه وما يمثّلُهُ الظهورُ وما بعدَهُ؛ يُشكّلُ بُعداً عميقاً جداً للدافعِ والأملِ الإنسانيِّ الشاملِ لجميعِ النواحي، فالأمرُ يتخطّى كونَهُ مسألةً عقائديةً دينيةً خالصةً، ليكونَ مفهوماً نفسياً ومعنوياً لهُ فعاليتُهُ ونتائجُهُ البالغةُ على الفردِ والمجتمعِ.

هذا الأملُ والرغبةُ والتطلعُ للمستقبلِ، هو مصدرُ قوةٍ كبيرةٍ ودفعٍ لا ينضبُ، يحافظُ على استقرارِ النفسِ ويُقوّي دافعيةَ العملِ والطموحِ للتغييرِ نحو الأفضلِ، خاصةً في أوقاتِ انتشارِ الظلمِ والاضطرابِ النفسيِّ والقلقِ من المستقبلِ، وكثرةِ التوتراتِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والسياسيةِ والأمنيةِ، حيثُ يؤدي هذا الأملُ المهدويُّ دوراً مهماً يتمثلُ بما يلي:

أولاً- ثباتُ العقيدةِ: الإيمانُ القاطعُ بالمهديِّ (عجل الله تعالى فرجه) هو جزءٌ أساسيٌّ من العقيدةِ الشيعيةِ، ويُعطي الشخصَ وضوحاً تاماً في الرؤيةِ الدقيقةِ للسُننِ الإلهيةِ في التاريخِ، مثلَ سُنّةِ الانتصارِ النهائيِّ للصالحينَ، وانتشارِ وسيادةِ الحقِّ على الباطلِ، هذا يزيلُ الشكَّ والتردّدَ والغموضَ عن مصيرِ الإنسانيةِ النهائيِّ، ومصيرِ النزاعِ السائدِ على الأرضِ بينَ الحقِّ والباطلِ، ويُقوّي الجانبَ الروحيَّ للفردِ.

ثانياً- الارتباطُ القلبيُّ المباشرُ مع الإمامِ (عجل الله تعالى فرجه): رغمَ الغيابِ الطويلِ للإمامِ (عجل الله تعالى فرجه) يبقى الارتباطُ والتواصلُ القلبيُّ والروحيُّ بهِ قائماً، فالمؤمنُ يعيشُ في سماءِ اعتقادِه بإمامتِه (عجل الله تعالى فرجه) مما يحثُّهُ على مراقبةِ حالتِه الإنسانيةِ والتكيّفِ مع الظروفِ الشاقّةِ دونَ أن يتنازلَ عن هويتِه العقديةِ والتزامِه الشرعيِّ والأخلاقيِّ.

ثالثاً- المثابرةُ باتجاهِ التغييرِ الجوهري: عقيدةُ انتظارِ الفرجِ تشتملُ على معنى المسؤوليةِ؛ لأنَّ "اللهَ لا يغيّرُ ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسِهم" هذا يعني أنَّ الأملَ في ظهورِ الإمامِ المهديِّ (عجل الله تعالى فرجه) يدفعُ الأمةَ نحو العملِ الحقيقيِّ لتمهيدِ الطريقِ لظهورِه عن طريقِ الجدِّ والاجتهادِ للتغييرِ الجذريِّ، ونشرِ نورِ العلمِ والإيمانِ والعقيدةِ والمنهجِ الأصيلِ لأهلِ بيتِ الرسالةِ (صلوات الله عليهم)

رابعاً- سكينةُ الوجدانِ الإنساني: الإمامُ الموعودُ (عجل الله تعالى فرجه) يمثلُ أملَ الإنسانيةِ في الوصولِ للعدالةِ المتكاملةِ التي ستجتمعُ البشريةُ كلُّها حولَها، هذا الإيمانُ يجعلُ متنفساً آمناً في عالمٍ مليءٍ بالاضطرابِ، فيكونُ حاجزاً للإنسانيةِ من العودةِ إلى التخلفِ والحروبِ والجهلِ والظلامِ.

خامساً- الحافزُ على الصبرِ والمقاومةِ والتطور: الإيمانُ الحقيقيُّ بوجودِ القائدِ المنتظرِ، الحيِّ الذي يرى ويعيشُ آلامَ وآهاتِ الناسِ يُعطي المؤمنَ قيمةً حقيقيةً لتجاربِه وصبرِه وعطاءاتِه، إنَّهُ لا يسعى ويجتهدُ في سبيلِ غايةٍ وهميةٍ، بل في سبيلِ حقيقةٍ واقعةٍ ستصلُ نهايتُها بقيامِ دولةِ العدلِ الإلهيِّ الشاملِ، وهو ما يكونُ دافعاً للنشاطِ والعزيمةِ والإرادةِ والعطاءِ، والاستمرارِ في القيامِ بالعملِ الصالحِ والتطورِ المستمرِ.

سادساً- تعزيزُ الإحساسِ بالمسؤوليةِ: الانتظارُ الحقيقيُّ ليسَ انتظاراً سلبياً متقاعساً أو مجرّدَ أمنياتٍ، بل هو انتظارٌ إيجابيٌّ نشطٌ. هذا الانتظارُ يفرضُ على المُترقّبِ مسؤوليةً أخلاقيةً ونفسيةً تجاهَ نفسِه ومجتمعِه، حيثُ وردَ عن أبي عبدِ اللهِ الصادقِ (عليه السلام): "مَن ثَبَتَ عَلَى دِينِهِ، وَلَم يَقسُ قَلبُهُ لِطُولِ أَمَدِ غَيبَةِ إِمَامِهِ، فَهُوَ مَعِي وَفِي دَرَجَتِي يَومَ القِيَامَةِ" وهذا الثباتُ على المقاومةِ والصبرِ يفرضُ على المُترقّبِ تهذيبَ النفسِ، والالتزامَ بالعقيدةِ الحقّةِ ومكارمِ الأخلاقِ والتجهزَ المستمرَ واليقظةَ الدائمةَ، هنا يُعتبرُ الأملُ في قدومِ الإمامِ المنتظرِ (عجل الله تعالى فرجه) بمثابةِ طوقِ النجاةِ للوعيِ البشريِّ، خصيصاً في أوقاتِ انتشارِ الجورِ والظلماتِ والقلقِ على مصيرِ الأرضِ.

سابعاً- مقاومةُ اليأسِ والإحباطِ والانهيارِ النفسي: في علمِ النفسِ، يُقرّرُ أنَّ حياةَ النفسِ ونشاطَها معقودانِ بالأملِ، إذا أُغلقَ بابُ التفاؤلِ، يبدأُ الانهيارُ النفسيُّ وقد يصلُ إلى القلقِ أو الفشلِ.

وفي الختامِ، إنَّ سيادةَ الحضارةِ الإسلاميةِ على كلِّ الكرةِ الأرضيةِ، هي غايةٌ تسعى إليها الأمةُ المهدويةُ، وفكرةُ الإمامةِ المهدويةِ تمثلُ الغايةَ النهائيةَ التي تقصدُها الأمةُ، فالأملُ بالظهورِ المباركِ هو الباعثُ على ازدهارِ النهضةِ الحضاريةِ، حيثُ لم تُبنَ أيَّةُ حضارةٍ عظيمةٍ إلا بأملٍ وهدفٍ عظيمٍ تطلّعتْ إليه، فعقيدةُ انتظارِ الموعودِ (عجل الله تعالى فرجه) تُعطي الشخصَ شعوراً ثابتاً، بأنَّ الظلمَ مهما طغى فهو حالةٌ غيرُ طبيعيةٍ، ونتيجتُها الحتميةُ الاضمحلالُ والاندثارُ، مما يُعطي بصيصَ أملٍ يقاومُ اليأسَ.

الخروج عن دائرة التأثير الإيجابي

أريج أحمد/ النجف الاشرف

في عالم الامتحان الإلهي، حيث يختلط صوتُ الدعوة بالمسؤولية مع صخب الحياة اليومية، يقف الإنسانُ المنتظر أمام تحديات متنوّعة قد تُبطئ مسيرته أو تعيقه عن بلوغ مقامات التهيّؤ لمشروع الانتظار، ولعلّ من أبرز هذه التحديات ما يُعرف بالإضراب، أي توقّف القلب والجوَارح عن التفاعل العملي مع مقتضيات الإيمان، والانشغال بحالات نفسية أو اجتماعية تُجمّد الإرادة وتُضعف البصيرة.

الإضراب في هذا السياق، ليس مجردُ تعطيلٍ للمهام، بل هو انقطاعٌ من الداخل عن العطاء الإيماني حيث ينشغل المرء بذاته أو بظروفه إلى درجة تُعطّل حركته نحو الله.

إنّ الفردَ المُنتظِر يُفترض أنْ يكون طاقةً متدفقةً حيّةً في فكره، نافذةً في إرادته، صابرة في بلائه، فإذا استولى عليه الإضراب، أصبح أسيرَ التردد والجمود، وغاب عن دوره المركزي في مشروع التمهيد.

لقد حذّر أهلُ المعرفة من أنّ الانتظار ليس موقفاً سلبياً أو تعاطفاً آنيّاً بل هو مشروع تراكميٌّ يحتاج إلى استمرارية الجهد؛ إذ إنّ الإضراب يقطع هذا النسق، فيَفقدُ المرء فرصة الارتقاء مع قافلة المنتظِرين.

والإضراب إذا استمر، قد يتحوّل إلى عادة تُبرّرها النفسُ بأعذارٍ ظاهرها مقبول وباطنها الكسل الروحي، حتى يغدو صاحبه خارج دائرة التأثير الإيجابي.

ومن أعمق آثار الإضراب أنّه يُضعف صلة العبد بالمجتمع، فالفرد المُنتظِر هو عضوٌ فاعلٌ في جماعةٍ مؤمنة تَتَهيّأ للظهور الموعود، فإذا تعطّل دوره، تعطّلتْ لَبنةٌ من لبناتِ البناء العام.

وهكذا يصبح الإضرابُ عقبةً مزدوجةً، يضرّ تزكية الفرد وطبيعة تكاليفه الخاصة، ويؤثّر على المشروع الجماعي في آنٍ معاً.

غير أنّ العلاج لا يكون بالوعظ المجرّد، بل بالالتفات إلى أنّ الإضرابَ حالة طارئة قابلة للعلاج بالعزم وتجديد النية، فالمطلوب أنْ يحوِّلَ المؤمنُ هذه المعوقاتِ إلى دافع، فيتجاوز عثراته ويستحضر أنّ كلّ لحظة تعطيل قد تُمكّن أعداء الحق أو تؤخّر الحراك الاجتماعي نحو الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

وبذلك نفهم أنّ مشروع الانتظار لا ينسجم مع التعطيل المزمن، لأنّه مشروع إلهيّ قائم على ديمومة السعي، واستمرارية البذل، وصدق العهد مع الله (سبحانه وتعالى)

إنّ مَنْ يُضرب عن المشاركة بهذا المشروع الإيماني، يضع نفسه في فراغ معزولٍ عن مدار رسالة الإسلام المستقبلية الظاهرة على يد خليفة رسول الله في الأرض.

ومَنْ يظلُّ وفيّاً لمساره، صابراً على بلائه، محسناً في استثماره للأوقات والأيام، يجد نفسه من زمرة الذين اصطفاهم الله لحمل راية التمهيد، وبهذا سيُوفَّقُ بمشيئة الله (تعالى) بأنْ يُكتَبَ من أهل الاستقامة والثبات على العهد حتى يوم شروق فجر الظهور الشريف.

منطقُ الترابطِ في علاماتِ الظهورِ: قراءةٌ سننيةٌ في ضوءِ نظريةِ الاحتمالاتِ

سماحة الشيخ خالد الدراجي/ ديالى

تقدّمُ هذه الدراسة قراءةً جديدةً لعلاماتِ الظهورِ الشريفِ، وتربطُ بين النصّ والسُنَن ونموذجِ الاحتمالات، لتُبَيّن أنّ العلامات ليست أحداثاً مبعثرةً، بل سلسلة خرزية تتحرّكُ ضمنَ مسارٍ حضاريٍّ واحدٍ، يتصاعدُ حتى يبلغَ غايتهُ في الظهورِ المبارك.

وأنّ كلَ حدثٍ جديدٍ يجعلُ النظامَ أكثر وضوحاً ويرفعُ احتماليةَ أن يكونَ العالمُ قد دخلَ في مرحلة التمهيدِ النهائيِّ، الأمرُ الذي يعيدُ للبحثِ المهدويِّ مكانتَهُ العلميّة والسُننيّة، بعيداً عن الخُرافةِ أو التسطيح.

ونسعى من خلالِ هذا البحثِ إلى تحليلِ علاماتِ الظهورِ الشريفِ في ضوءِ منهجِ السُنَنِ الإلهيّةِ وربطِها بنظريةِ الاحتمالاتِ في العُلومِ الحديثةِ بهدفِ إثباتِ أنّ العلاماتِ ليستْ حوادثَ متفرّقة، بل منظومةٌ مترابطة تخضعُ لقوانينٍ إلهيةٍ ثابتةٍ.

ونعتمدُ بذلك على الرّوايتينِ التاليتين:

الأولى: عن جابرِ بن يزيدَ الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام): (يا جابر، إلزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها:

أولها اختلاف بني العباس، وما أراك تدرك ذلك ولكن حدث به من بعدي عني، ومناد ينادي من السماء، ويجيئكم صوت من ناحية دمشق بالفتح، وتخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، ومارقة تمرق من ناحية الترك، ويعقبها هرج الروم، وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وسيقبل مارقة الروم حتى ينزلوا الرملة). [غيبة النعماني ص ٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩]

الثانية: عن الإمام الباقر (عليه السلام):

(خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد... نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً...) [البحار ٥٢/٢٣٢]

وقد جئنا بهاتين الروايتين

كمثالٍ على إثباتِ منطقِ الترابطِ والتسلسلِ (الخرزي) في علاماتِ الظهورِ الشريفِ، والسؤالُ الذي يُطرَح هو:

هل أنّ الأحداث والعلامات التي ذُكِرَت في هاتين الروايتين الشريفتين هي مجرّد أحداثٍ عشوائيةٍ ومتفرقةٍ وقد تتكرّرُ في كلّ زمان؟

أم أنّها منظومةٌ دقيقةٌ تتحرّكُ كحَبّاتِ الخرزِ المنظومةِ في خيطٍ واحدٍ، لا تقعُ إلا حيثُ يجبُ أن تقع؟

والجوابُ العلميُّ يأتينا هذه المرّة من الرياضيات، وتحديداً من نظريةِ الاحتمالات، التي تكشفُ لنا وجهاً جديداً للإعجازِ المهدويِّ في وصفِ المستقبلِ فمن خلالِ نظريةِ الاحتمالاتِ التي ابتكرها علماءُ الغربِ ثم زادها نضجاً وتوضيحاً العالم المعروفُ (كريسي موريسون) صاحبُ كتابِ (العلم يدعو للإيمان) وكان الهدف منها بالأصل هو بلورةُ وإيضاحُ وجودِ الله أساساً (العلم يدعو للإيمان ص ١٩٥- ١٩٦)

نجد أنّ هناك ترابطاً وتسلسلاً للعلاماتِ على ضوءِ نظريةِ الاحتمالاتِ، فالنموذجُ الذي قدّمهُ عالمُ الطبيعةِ الأمريكيّ (كريسي موريسون) حول استخراج قطعٍ نقديةٍ منقوشةٍ (١-١٠) على الترتيب يوضّح كيفَ تتقلّصُ احتماليةُ الصدفةِ كلما ازدادَ عددُ العناصرِ المُتتابعة.

فإذا كان احتمالُ سحبِ القطعة رقم (١) = ١٠/١

فإن احتمال سحب (١ ثم ٢) = ١٠٠/١

واحتمالية سحب (١ ثم ٢ ثم ٣) = ١٠٠٠/١

حتى يصبحُ احتمال خروج القطع العشر على الترتيب = ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠/١

أي أنّ الصدفة قد تنجحُ مرة، لكنّها تُهزم عندما يتكرّر النجاح عشرَ مراتٍ متتاليةٍ في سلسلةٍ منضبطة.

وعندما نطبّق هذا النموذج على علاماتِ الظهورِ

الشريف، نكتشفُ أنّ الروايات لم تذكرها كقطع متناثرة، بل كمجرى واحد: صراعاتٌ وحروبٌ إقليميةٌ وعالميةٌ وتغيّراتٌ سياسيةٌ تبتدئ من (فتنة الشام) وأحداث دقيقة تتعاقبُ في الزمن كأنها حلقات في سبحة واحدة.

وأنّ وقوعَ علامةٍ واحدةٍ قد يبدو حدثاً عادياً، فهو ليس دليلاً قاطعاً، لكنّ اجتماع علامتين متتاليتين يقلّلُ احتمالَ الصدفة إلى العُشر، وعندما تقعُ ثلاثَ علاماتٍ متقاربة ينخفضُ احتمال المصادفة إلى واحد من مئة. ومع كلّ علامة جديدة يزدادُ الاقترابُ من "الترجيح" وتضمحلُّ فرضيةُ "الصدفة" فكيف إذا بدأت العلامات تتسلسلُ بالشكلِ الذي وصفتهُ الروايات بدقة مُلفتة؟

هنا يصبحُ الحديثُ عنْ العشوائية غير معقولٍ علمياً، وبتطبيقِ هذا المنطقِ على علاماتِ الظهورِ نجد:

أنّ ظهورَ أوّل علامة مثلاً (فتنة الشام) احتمالٌ قائمٌ طبيعيٌّ.

ظهورُ الثانية (تَسارع الفوضى في بلادِ الشام ومروقُ مارقة من ناحية التُرك وهرجُ الروم ونزولُ الترك إلى الجزيرةِ وإقبالُ مارقة الروم إلى الرملة) مع الأولى يقلّل نسبةَ المصادفة.

وظهورُ الثالثة (خروجُ رايةِ السفيانيّ وقَتله للأصهب والأبقع وسيطرته على الكورِ الخمس في سوريا) يجعل الاحتمالَ أقربُ للترجيح العلميّ.

حتى الوصول إلى علامات كبرى محدّدة ذات تزامن (كالسفيانيّ واليمانيّ والخراسانيّ) وهي علاماتٌ تخرجُ في زمنٍ محددٍ ودقيقٍ، يجعل احتمالَ الصدفةِ شبه مستحيل.

وبالتالي فإنّ:

كلّ علامة جديدة تُسقطُ نسبةَ الصدفة وترفعُ نسبةَ الانتظام "الخرزيّ" وهذهِ هي النقطةُ التي يركّزُ عليها المَنهجُ السُنَنيّ:

أنَّ العلامات ليست أحداثاً متراكمةً، بل (متسلسلة) تتقاربُ احتمالات تحقُّقِها عندَ ظهورِ كلّ عنصرٍ جديد.

وإنّنا نستفيدُ من هذهِ النظرية في إثباتِ ما نذهبُ إليه في منطقِ الترابطِ في علاماتِ الظهورِ الشريف.

إنّ هذا التحليل الاحتماليّ لا يهدفُ لتحديد وقت الظهور، فهذا أمرٌ غيبيٌّ محتومٌ، لكنّه يقدّمُ رؤيةً علميةً لشيءٍ ظلَّ الناسُ ينظرونَ إليه تاريخياً بنظرةٍ وجدانية أو غيبية فقط، واليوم يفتحُ علمُ الرياضيات نافذةً إضافيةً، فيقولُ: إنّ تتابعَ العلامات كما وردَ عن أهلِ العصمة (عليهم السلام) أقربُ إلى أن يكون تخطيطاً إلهياً مُحكماً لا تلاعباً للصدف.

إنّ منظومتَنا الدينيةِ لطالَما أكّدت أنّ سُننَ اللهِ في التاريخِ لا تعمل فوضى، بل "نظاماً".

ومِن هنا جاء قولُ العلماءِ أنّ هذا التتابع يشكّلُ (سياقاً تسلسلياً "يتبعُ بعضه بعضاً") ويتجّه نحو لحظة واحدة: ظهورُ المنقذ العالميّ.

وبهذا المنطقِ، يستطيعُ المتابعُ والمُترقّبُ والمنتظرُ لإمام زمانه (عجّل الله فرجه) أن يفهمَ كيف تتحولُ العلاماتُ من مجرّدِ أخبارٍ مرويةٍ إلى براهين احتمالية تؤكّدُ أنّ ما يجري أمامَ أعيُننا ليسَ مشهداً عابراً، بل صفحة من صفحاتِ الوعدِ الإلهيّ الذي تكاملَت حلَقاتُه واحدةً تلوَ الأخرى عبر الزمن.

وهكذا يلتقي العلمُ بالدين؛ ويقولُ كلاهُما، كلٌّ بلُغته: إنّ علامات الظهورِ الشريف، كما وصفَها أهلُ البيت (عليهم السلام) تسيرُ كحَبّاتِ الخَرَز على خيطٍ واحد، لا تتقدّمُ ولا تتأخّرُ، ولا يمكنُ أن تكونَ صدفة.

وتكشفُ نتائجُ البحث أنّ النموذجَ الخزريّ للعلاماتِ يمثّلُ بُنيةً سُنَنيةً متكاملةً تتقاربُ احتمالاتُ وقوعها كلّما ظهرَ عنصرٌ منها، وفقاً لمنطقِ الاحتمالات الرياضيّة، مما يعزّزُ أطروحةَ المنهجِ السُننيّ في أنَّ حركةَ العالم تتّجهُ نحو نمطٍ تصاعديٍّ من التمهيدِ الحضاريّ للظهورِ الشريف.

منتظرونَ في الزمنِ الأخير

أبو شعيب العسكري/ بغداد

على أعتاب الظهور، وفي البرهة الأخيرة من زمان الغَيبة الكُبرى للإمام المهديّ (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يقفُ المؤمنونَ موقفاً تأريخياً فريداً، يسطّرونَ من خلاله ملاحماً بطوليةً لم يشهد لها التاريخُ مثيلاً، ولم يستَطع الظالمونَ لها تنكيلاً، فهي سنّة الله (تعالى) في أوليائه ولن يجدوا لها تبديلاً ولا تحويلاً!

مائةٌ وعشرونَ ألفَ نبيٍّ وأضعافهم من الأوصياء والأولياء والصالحينَ، بمنتهى آمالهم إدراك هذه الأيام المباركة، ليكونوا خدّاماً له طيلةَ أيام حياتهم، وليمتّعوا أنظارهم ولتُشفى قُلوبهم، بقيام دولته المباركة، وعيونُ المؤمنَين تهفو إلى طلعته الرشيدةَ، لتؤدّيَ فروضَ الطاعة والولاء، وأرواحُ العالمينَ لتُرابَ مقدمهِ الفداء لتستقبلهُ بالورود، وتزفّهُ كما تُزَفُّ العروس، بأهازيج الفرح المكلّلة بالانتصار.

من محاسن الصدف ومحض سيرورتها، أن نَحيا في هذا المُنعطَف الكونيّ، ويرادُ لنا أن نكونَ المُمهّدينَ لدولة العدل الإلهيّ والمناصرينَ لصاحبها (صلوات الله عليه) فما هي إلاّ بغتة من الزمن وينبلج ضياءُ القدس عن مَكمَنه، ويلوح في أفق الكون سَنَا معراجه، ولتشرقَ النفوس بنور ربِّها، من حيثُ دَنا جدّه فتَدلّا فكانَ قابَ قوسين، من عند بطنان العرش، وآية الكرسيّ، وملكوت الرحمن، وبمجدِ العزّةِ والغلبة، وضياء الله الذي تَجلّى به على خَلقه، فأذنَ بظهورهِ واشراقة نورهِ وانجلاء عتمة غيبته.

دولةٌ وأيّ دولة، تلكَ هي دولةُ العدلِ والقسطِ الإلهيّ، حيثُ دارت على ذكرها القُرونُ الأولى، وتتالت لرَجائها الحسرات، توقاً إلى تلك القوة وإلى ذلك الركن الشديد، إذ لم يعِ ملائكةُ الله المقربونَ كُنهَها، فظنّوا أنّهم مُضاهُوها بالتسبيح والتقديس، فكانت هيَ: إنّي أعلمُ ما لا تعلمونَ.

ثم طمع بها إبليسَ، وقال ربِّ انظرني إلى يوم يُبعَثون، فقالَ ربُّه إنّك لمنَ المُنظَرين إلى يوم قيامها المعلوم فكانت هيَ الهدفُ الأسمى والغايةُ العُظمى، جنّةُ آدم، وجوديّ نوح، وقواعد إبراهيم، والبيتُ المعمور، وعَصا موسى، ومائدةُ عيسى، وبقيّةٌ من محمدٍ وعليّ، وسرّ فاطمة المكنون، وظلعها المكسورِ، والوِتر الموتورِ، والقائم المنصور.

منتظرونَ في الزمنِ الأخيرِ، حيثُ تنقضي جولاتُ الباطلِ كلّها، وتبتدىء صولاتُ الحقّ، إذ آنَ ميعاده والملائكة أمداده، ليضربَ بيدٍ من حديد على هام كل شيطان مريد ومعتد أثيم ووثن زنيم وطاغوت لئيم، ولتتجدّد أيام كأيام عادٍ وثمود، وليأتِ بملوكِ الروم مقرّنين بالأصفادِ، ومن خلفه العائدونَ من المَلكوتِ، شهيدُ المحرابِ وحاج قاسَم وسيد حسن وقوافل الشهداء.

على رؤوس الأشهاد، في أرض واشنطن ونيويورك ولندن وباريس وموسكو وبرلين وبكين، تتتالى جحافلُ الفتح وتتعالى راياتُ النصر، في مشهدية الخلاص الأبديّ، تكبّرُ مآذنُ بيتِ المقدس، وتخفق راية الإسلام المهدويةِ في سماء بابل الروم وأورشليم، وفي تُخوم أقطار الأرض.

منتظرونَ ليوم وأيّ يوم، عسى أن لا تفارقَ أنظارنا تلكَ المشاهد البهيّة، أن لا نغيبَ عنها ولا تغيبَ عنا، ولمثلها فليعملِ العاملُونَ، ويرتَقب المرتقبون، وليسعى المقرّبون، وليخشاها المنافقونَ والمنحرفونَ، ولتتلاشى أوهامُ الكافرينَ والمُلحدينَ، وتخيب آمالُ الطغاة المستبدّين، وليمنَّ الله (تعالى) على المستضعَفين، ويجعلهم أئمةً ويجعلهم الوارثين، وليمكّن لهم في الأرض، ويُريَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرون.

ضوء على مفهوم الغَيبة (الحلقة الثانية)

عمّار الولائي / واسط

تحدثنا في الحلقة الأولى بشكلٍ عام عن مفهوم الغَيبة من حيث أصل القضية، وكيف تم التمهيد لها، وما هي الظروف والخطوات والأساليب التي اتبعها أهل البيت (عليهم السلام) للتمهيد لمفهوم الغَيبة [١]، وفي هذه الحلقة -إن شاء الله- سنتعرّض إلى أسباب غَيبة الإمام الثاني عشر (صلوات الله عليه) وما المقصود بـ(الغيبة الصغرى)

من الجدير بالذكر أنّ العلماء والباحثين خاضوا نقاشات معمَّقة حول أسباب الغَيبة حاصلها: أنّ الحكمة التامّة من غَيبة الإمام (عليه السلام) ليست منكشفة لنا، وإنّما نحن نذكر تحليلاً تقودنا إليه معطيات موضوعية وفق النقل والعقل، ذكر الشيخ الصدوقُ عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعتُ الصادقَ جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول: "إنّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لابد منها، يرتابُ فيها كلّ مبطل" فقلتُ: ولِمَ جُعلتُ فداك؟ قال: "لأمرٍ لم يؤذَن لنا في كشفه لكم" قلتُ: فما وجهُ الحكمة في غيبته؟ قال: "وجهُ الحكمة في غيبته وجهُ الحكمة في غيباتِ مَن تقدَّمهُ من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجهَ الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجهُ الحكمة فيما أتاهُ الخضر (عليه السلام) من خرقِ السفينة، وقتلِ الغلام، وإقامةِ الجدار لموسى (عليه السلام) إلى وقت افتراقهما، يا بن الفضل: إنّ هذا الأمر أمرٌ من (أمر) الله تعالى وسرٌّ من سرّ الله، وغيبٌ من غيب الله، ومتى علمنا أنهُ (عزّ وجلّ) حكيمٌ صدقنا بأنّ أفعاله كلها حكمةٌ وإن كان وجهها غير منكشف" [٢]

بعد اتضاح ذلك نشرع في بيانِ افتراضات فنقول:

أولاً: من أشهر أسباب الغَيبة التي تم تداولها هي خوف القتل، فقد روى أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "إنّ للقائم غيبة قبل ظهوره" فبادر زُرارة قائلاً: "لِمَ؟" فقال (عليه السلام): "يخاف القتل" [٣] وطبعاً خوف القتل هنا ليس خوفاً على الذات من قبل الحكومة العباسية الظالمة، والتي تتربّص بالإمام (أرواحنا فداه) وإنّما هو الخوف على المشروع.

ثانياً: أنّ الله (تعالى) يريد إقامة دولة العدل المطلق في آخر الزمان بعد مرور البشرية بمخاضات عسيرة في تجربتها التأريخية، وبعد فشل الحضارات والنظم المتعددة والمختلفة في تحقيق العدل العالمي، فتتطلّع البشرية لتجربة رائدة، فتكون دولة الإمام المهدي (عليه السلام) هي البديل الذي لا يقبل الفشل، وهذا يعتمد بالدرجة الأساس على عنصر الوعي والرُّقيّ الإيمانيّ والأخلاقي الذي ستصل اليه ثلة من المؤمنين لتقوم على أكتافهم هذه الدولة، كالإنسان الواحد الذي لا تكتمل خبرته في الحياة إلّا بعد مرور سنين طوال من الحياة وتعرضه لبلاءات ومصائب ومشاكل حتى تنضج تجربته في الحياة، فكذلك البشرية جمعاء فإنّها لا تنضج إلّا بعد مرور قرون طويلة من عمرها لتكتمل تجربتها في الوعي والرقي الإيماني والأخلاقي، ورد عن الإمام الصادق (عليه السّلام): "ما يكونُ هذا الأمرُ -أي ظهور الامام المهدي (عجل الله فرجه)- حتى لا يبقى صنفٌ من الناس إلا وقد وُلّوا على الناس (أي أنّ الجميع سيحكم) حتى لا يقول قائل إنّا لو وُلّينا لَعَدَلنا، ثُمَّ يقوم القائم بالحق والعدل" [٤] وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال: "دولتنا آخر الدُّوَل، ولن يبقى أهلُ بيتٍ لهم دولةٌ إلا مُلّكوا قبلنا (بمعنى كلّ من يحمل نظرية أو فكرة في الحكم

سيحكم) لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا مُلِّكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله (عز وجل): {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [٥]

ثالثاً: أن لا تكون في عنقه بيعة لظالم، وقد أُثر ذلك عن الإمام الرضا (عليه السلام) فقد روى الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه أنّ الإمام الرضا قال: "كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه فقال له: ولِمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال (عليه السلام): لأنّ إمامهم يغيب عنهم، ولمَ؟ لئلّا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف" [٦]

والسؤال المهم هنا: متى يُقتَل الإمام، ومتى يضطر للمهادنة؟ والجواب: عندما لا تستجيب إرادة الأمة لإرادة الولي في نصرته لكي يصبح حاكماً ووليّاً؛ بمعنى: أنّ المنصب السياسي والقيادة السياسية، والحكومة والاقتدار والمَنَعة والتمكين والسلطة سببٌ رئيسيٌّ في ظهور الإمام (أرواحنا فداه) لأنّ غصبها كان سبباً رئيسيّاً في غيبة الإمام (عجل الله فرجه)

ولذا فإنّ الإمام (صلوات الله وسلامه عليه) حينما غاب فبسبب قلّة الناصر، وكثرة الظالم وحينما يريد أن يعود للظهور، فلا بُدَّ من أن نعمل على صناعة مجتمع الانتظار والنُصرة والتمهيد المهدويّ، المجتمع النوعي الذي يملك فائضاً من الوعي والبصيرة، وإضعاف الظلم والعمل على تقويض وجوده.

أما غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) فله غيبتان: صغرى وكبرى، فعن أبي بصير قال: "قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كان أبو جعفر يقول: لقائم آل محمَّد غيبتان: واحدة طويلة، والأخرى قصيرة، قال: فقال لي: نعم يا أبا بصير أحدهما أطول من الأخرى" [٧]

بدأت فترة الغيبة الصغرى، بوفاة الإمام الحسن العسكريّ (عليه السلام) عام (٢٦٠) هـ حيث كان عمر الإمام المهديّ (عجّل الله فرجه الشريف) خمس سنين تقريباً واستمرّت قرابة (٦٩) سنة حتى عام (٣٢٩) هـ حيث انتهت بوفاة السفير الرابع، وبداية الغيبة الكبرى، وكان الهدف من هذه الغَيبة هو الانتقال التدريجي للغيبة الكبرى من خلال إعداد الأمة والقواعد المناصرة لتقبُّل فكرة غياب إمامها وقائدها في غيبته الكبرى.

وفي هذه الفترة كان الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) يتواصل مع شيعته عبر سفرائه أو نوابه الخاصين فقط، وهم على الترتيب:

١- الشيخ عثمان بن سعيد العَمْري.
٢- الشيخ محمد بن عثمان بن سعيد العَمْري.
٣- الشيخ الحسين بن روح النوبختي.
٤- الشيخ علي بن محمد السّمَري.

أمّا علّة استمرار الغيبة الصغرى (٦٩) سنة، فلا يمكن القطع بها، ولكن يمكن تصوّرها -تحليليّاً- إلى أنه بعد مضي (٦٩) سنة يكون كل من رأى الإمام صغيراً وعرف شكله قد استوفى حظه من الدنيا ومات، فلو فرضنا أنّ وجهاء الشيعة الذين التقوا الإمام العسكري، وتعرفوا إلى الإمام المهدي كانت أعمارهم تتراوح ما بين (٣٠) و (٦٠) عاماً تقريباً، فهذا يعني أن أعمارهم عند انتهاء الغيبة الصغرى ستكون بين (١٠٠) و (١٣٠) سنة، أي أنّ جيلاً كاملاً ممن رأى الإمام يكون قد مات أو شارف على الموت، وبالتالي انتفى تهديد أن يعرفه أحد، ما يسمح له بالحركة من دون أن يتعرّف إليه أي شخص لا يملك أهلية السفارة والكتمان، وهنا ندخل إلى مرحلة غيبة العنوان، أي غيبته كإمام عن الناس لا غيبة الشخص، بدليل ما رواه السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه): "والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم في كل سنة، يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه" بمعنى أنّ غيبة الإمام المهدي هي غيبة عنوانية لا شخصيّة، وينبغي الالتفات إلى الشبهة التي يطرحها البعض، والتي يُدّعى فيها أنّ الإمام توفي بعد (٦٩) سنة من غيبته على اعتبار أن متوسط عمر الإنسان (٧٠) سنة، ولم يغب الغيبة الكبرى، ولكن السفير الرابع اخترع فكرة الغيبة الكبرى لإخفاء وفاة الإمام!! وفي مقام الجواب يصح القول: إننا لا نعتمد في إثبات الغيبة الكبرى وبقاء الإمام حيّاً على إخبار السفير الرابع فقط، مع التأكيد على صدقه ووثاقته؛ وإنّما نعتمد فضلاً عن ذلك على الدليل العقلي العام الذي يثبت ضرورة وجود الحجة في كل زمن، ولولاها لساخت الأرض بأهلها، ولَماجت كما يموج البحر بأهله، ونعتمد أيضاً على الروايات المتواترة من السنة والشيعة التي تتحدث عن عدد الأئمة والخلفاء، فضلا عن الروايات المتواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام التي ذُكر فيها أسماء الأئمة الأطهار، فضلاً عن عددهم، وغيبة الثاني عشر منهم، والتي كانت مشهورة في العصر العباسي، وهذه الشهرة تفسّر مستوى القلق الذي احتوى حكّام بني العباس في زمن العسكريين خوفاً من ولادة المهدي الموعود [٨] انتهى.

للحديث بقية في الحلقات القادمة (إن شاء الله)

المصادر:

١- يُنظَر: مجلة الانتظار: الجزء المزدوج التاسع والعاشر ص ٧٠
٢- كمال الدين وتمام النعمة ص ٤٨١ -٤٨٢
٣- الغَيبة للشيخ الطوسي ص ٣٣٢
٤- غيبة النعماني ص ٢٧٤ باب ١٤ حديث ٥٣.
٥- غَيبة الطوسي ص٤٧٢ - ٤٧٣
٦- كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٠٨
٧- بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٦٥
٨- يُنظَر: خلافة الأرض للشيخ حسين زين الدين ص ٨٦

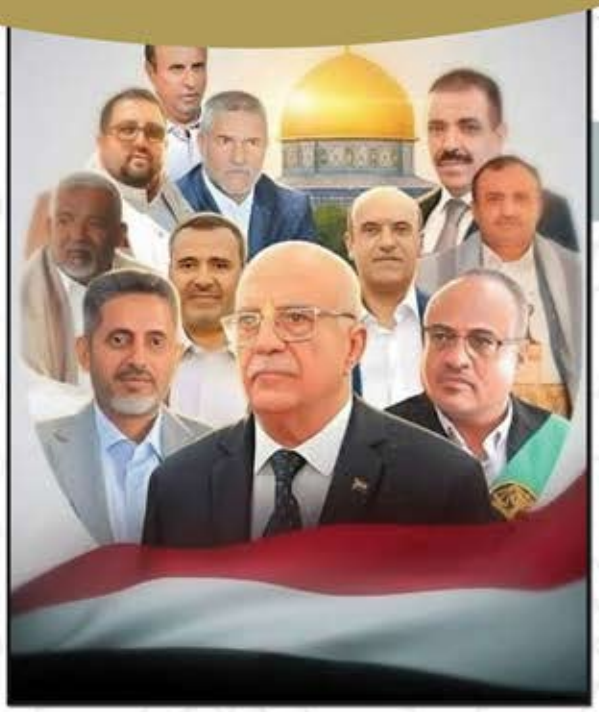

الحكومة الحقيقيّة

جعفر طارق/كندا

في قلب الأحداث التي تعصِف بالمنطقة، جاء استشهادُ مجلس الوزراء اليمنيّ في الضربة الإسرائيلية ليشكّل علامة فارقة في مسيرة الصمود والتحرّر.

لم يكن الأمر مجرد واقعة اغتيالٍ غادرة، بل كان حدثًا يختزن دلالاتٍ سياسيةً وأخلاقية كبرى، إذ تحوّل الوزراء من موقع الإدارة إلى موقع الشهادة، ومن موقع المسؤولية الدنيوية إلى موقع الرسالة التاريخية. هؤلاء لم يسقطوا كضحايا صراع إقليميّ، بل ارتقوا كشهداء في معركة كُبرى عنوانها القدس وفلسطين.

إنّ استهدافَ حكومة قائمة في قلب صنعاء، لا يمكن أن يُقرأ إلا باعتباره اعتداءً على فكرة الدولة المقاوِمة التي اختارت أنْ تربطَ مصيرها بمصير فلسطين، وأنْ تجعل من القدس بوصلةً لسياستها وخياراتها.

فاليمنُ الذي صمد في وجه العدوان والحصار، لم يكتفِ بالدفاع عن أرضه، بل أعلن أنّ معركته متصلةٌ بمسار الأمة كلّها، وأنّ الدم الذي يسقط في صنعاء هو ذات الدم الذي يسيل على أبواب غزّة والقدس.

بهذا المعنى، يصبح مجلسُ الوزراء اليمنيّ حكومةً حقيقيةً لا بالوظائف الإدارية، بل بالموقف الإنساني، لأنّها وضعت سيادتها وإرادتها في خط المواجهة مع الاحتلال، ولم تُساوم على حق الأمة المركزي.

شهادةُ الوزراء في الضربة الإسرائيلية تضعُ العالم أمام مفارقةٍ أخلاقية كبرى. في زمن تُستهدَف فيه الشعوب لخياراتها، وتُعاقب الدول إذا رفعت صوتها ضد الاحتلال.

يقدّم اليمن صورةً نادرةً لحكومة تتحوّل إلى جبهة مقاومة، لا إلى سلطة محايدة أو مرتهنة، هنا يبرز المعنى الأعمق للشهادة: أنْ تكون السلطة نفسها جزءا من التضحية، وأن يصبح الوزير جُنديًا ثابتًا على مواقفه حتى يرتقي شهيدًا، في وحدة كاملة بين الدولة والشعب على طريق القدس.

إنّ هذه الشهادة لا تُختزل في البُعد المحلّي، بل تمتد إلى بُعدها القوميّ والإسلاميّ، فهي تقول إنّ قضية القدس ليست ملفًا خارجيًا، بل جزء من السيادة الوطنية لكل بلد حر، وأنّ معركة فلسطين لا يمكن أنْ تبقى محصورة في جغرافيا غزة والضفة، لأنّها تمسّ جوهر الكرامة الإنسانية والعربية والإسلامية، لذلك فإنّ استشهاد مجلس الوزراء اليمني يُمثّل رسالةً مضاعفةً للشعوب كي تستنهض وَعيَها، وللحكومات كي تفهم أنّ الشرعية الحقيقية تُكتسب من الموقف تجاه القدس، لا من اعترافات القوى الكبرى.

في الذاكرة الجماعية ستُسجَّل حكومةُ صنعاء لا كسلطة تنفيذية فحسب، بل كرمز أخلاقيٍّ وسياسيٍّ، لأنّها خاضت امتحان الدم في مواجهة إسرائيل، ودخلت سِجل المقاومة بأسمائها وأجسادها، هي الحكومة الحقيقية لأنّها دفعت الثمن الكامل، ولأنّها وقّعت بدمائها على ميثاق القدس، لتقول إنّ اليمن جزءٌ لا يتجزأ من معادلة التحرير الكبرى.

وعليه، فإنّ دماءَ الوزراء اليمنيين الشهداء لا تُعدّ خسارة سياسية، بل ربحًا استراتيجيًا لقضية الأمة، لقد تحوّلوا إلى شاهدٍ حيٍّ على أنّ مشروع المقاومة لم يعدْ حركة شعبية فقط، بل صار خيار دولة ومؤسسات وأنّ طريق القدس يمكن أنْ تعبّده دماء الحكومات كما تعبّده دماء الشعوب، تلك هي رسالة اليمن: أنّ الخلاص من الاحتلال لا يُصنع بالكلام الدبلوماسي ولا عبر طاولات التفاوض، وأنّ كل حكومة لا تكون صادقة مع شعبها وأُمّتِها ما لم تكن حكومةٌ مقاومةَ للاحتلال والاستعمار العالمي، حكومة تشارك في التمهيد لمعركة هي من أعظم معارك التاريخ.

هكذا التقى الدم اليمني بالدمِ الفلسطيني، ليشكّلا معًا إرهاصًا لليوم الموعود، يوم يُرفع لواءُ العدل على أسوار القدس بقيادة الإمام المُنتظر (عجل الله فرجه الشريف)

السياسةُ الترامبيةُ: حاضرُها ومُستقبلُها

د. هدى سيد/ فلسطين

لم تتأسّس سياسةُ دونالد ترامب في الشّرقِ الأوسط على رؤيةٍ جيوسياسيَّةٍ شاملة، بقدرِ ما قامت على مُقاربةٍ عمليّةٍ قصيرةِ المدى، تُدارُ بمنطقِ الصفقةِ، وتقاسُ بالنتائجِ السريعةِ وتفكيكِ الملفاتِ الإقليميةِ إلى عناصرِ تفاوضيةٍ منفصلة.

وقد ميّزَ هذا النّهجُ بينَ ما هو قابلٌ للاستثمارِ السياسيِّ المباشرِ، وما هو عبءٌ ينبغي تقليصُهُ أو تفويضُهُ لحلفاءٍ محليينَ، فمنذُ الأيّامِ الأولى لإدارتِه، بدا واضحاً أنّ ترامبَ لا يتعاملُ مع المنطقةِ بوصفها فضاءً متشابكًا تحكمه توازناتٌ تاريخيةٌ ومعادلاتُ ردعٍ دقيقة، بل كساحةِ مصالحٍ يمكن إدارتُها بعدةِ أدوات، واتسمت سياستُهُ بما يلي:

أوّلاً: تفكيكُ الدورِ الأمريكيِّ التقليديِّ خلافاً للإداراتِ الأمريكيةِ السابقةِ التي سَعَتْ -ولو شكلياً- إلى لَعبِ دورِ الوسيطِ أو الضامنِ للاستقرارِ، فقد تخلّى ترامبُ عن هذا الدورِ لصالحِ سياسةِ الانحيازِ الصريحِ ولم تُقَدَّمِ الولاياتُ المتحدةُ في عهدِه كَقُوَّةٍ موازنة، بل كَطَرَفٍ مُباشرٍ في الصراعِ ما انعكسَ في ملفاتِ القدسِ، والجولانِ، والاتفاقِ النوويِّ الإيرانيِّ.

هذا التحوُّلُ أضعفُ ما تبقّى من صورةِ واشنطن كمرجعيّةٍ سياسيّة، وأعادَ تعريفَ وجودِها في المنطقةِ بوصفِه وجوداً نفعياً صرفاً يفرضُ نفسهُ بكُلِّ صلافةٍ على المشهدِ السياسيِّ في المنطقة.

ثانياً: إسرائيلُ مركزُ السياسةِ، لا أحدَ أطرافِها حيث شكّلتْ حجرَ الزاويةِ في سياسةِ ترامب الإقليميةِ، ليسَ بوصفِها حليفاً استراتيجياً فحسبُ، بل كنقطةِ ارتكازٍ لإعادةِ تشكيلِ البيئةِ السياسيةِ المُحيطة.

الاعترافُ بالقدسَ عاصمةً لإسرائيلَ، والاعترافُ بسيادتها على الجولانِ، خطواتٌ ممنهجةٌ هدفتْ إلى إعادةِ تعريفِ قواعدِ الصراعِ وتثبيتِه، لا إلى حلِّه أو إنهائِه، بل إلى جرِّ كُلِّ المنطقةِ إلى اشتباكٍ طويلِ الأمد.

وفي هذا السياقِ، جاءتْ اتفاقياتُ أبراهام كمخرجٍ دبلوماسيٍّ لتجاوزِ القضيّةِ الفلسطينيَّةِ، لا كمدخلٍ لتسويتها، حيثُ جرى تحويلُ التطبيعِ من نتيجةٍ لمسارٍ سياسيٍّ إلى أداةِ ضغطٍ على الواقعِ القائم.

ثالثاً: سياسةُ الضغطِ الأقصى وتفجيرُ التوازناتِ في التعاملِ مع إيرانَ، حيثُ تبنّى ترامبُ سياسةَ الضغطِ الأقصى عبرَ الانسحابِ من الاتفاقِ النوويِّ وفرضَ عقوباتٍ غيرِ مسبوقة.

لم تكن هذه السياسةُ تهدفُ إلى تعديلِ السلوكِ بقدرِ ما كانتْ تسعى إلى إعادةِ إنتاجِ الصراعِ بشروطٍ أمريكية، مع تقليلِ كلفةِ المواجهةِ المباشرة، غيرَ أنّ هذه المُقاربةَ أغفلتْ الطبيعةَ التراكُميَّةَ للصراعاتِ في المنطقة، وأسهمتْ في رفعِ منسوبِ التوترِ دون أن تُقدّمَ بديلاً تفاوضياً قابلاً للحياة، ما أدخلَ الإقليمَ في مرحلةِ سيولةٍ استراتيجيّة، لا استقرارَ فيها ولاحسمَ.

رابعاً: الانسحابُ العسكريُّ وإعادةُ تفويضِ الصراع، فقد أعلنَ ترامبُ مِراراً رغبتَهُ في إنهاءِ الحروبِ التي لا تنتهي لكنّ انسحاباتِه العسكريةَ -ولا سيما من سوريا- لم تُترجمْ إلى سياسةِ سلام، حيثُ أُعيدَ ملؤُهُ بقوى إقليميةٍ ودوليةٍ أخرى تعملُ بالوكالةِ لدى السياسةِ الأمريكية.

لم يكن الانسحابُ جزءاً من إعادةِ تنظيم، بل من تخفيفِ الكُلفة، وهو ما جعلَ الولاياتِ المتحدةَ أقلَّ حضوراً على الصعيدِ العسكريِّ الميدانيِّ وأكثرَ تأثيراً عبرَ العقوباتِ والضغوطِ غيرِ المباشرة.

خامساً: أنّ منطقَ الصفقةِ بدلَ منطقِ النظامِ الجامعِ بين مُختلفِ تحركاتِ ترامب في المنطقة، هو غيابُ البناءِ المؤسسيِّ، حيث لم تُطرحْ سياسةٌ مُتماسكةٌ، بل مجموعةُ صفقاتٍ منفصلة، تُدارُ بعقليةِ رجُلِ الأعمالِ لا رجلِ الدولةِ فالحلفاءُ يُكافأونَ بقدرِ ما يدفعونَ، والخصومُ يُعاقبونَ بقدرِ ما يصمدونَ، دونَ أيِّ اعتبارٍ لتداعياتِ ذلك على بُنيةِ النظامِ الإقليميِّ على المدى الطويل.

سادساً: التدخلُ في الشؤونِ الداخليةِ وتوظيفُ الحركاتِ الاحتجاجيةِ، حيثُ تتجلى السياسةُ الترامبيةُ في استخدامِ القوةِ الناعمةِ الخشنةِ عبرَ التلويحِ بدعمِ المُعارضةِ أو

الحركات الاحتجاجية في الدول المناوئة، وهو ما يُعرَف في الأدبيّات السياسية بـ تغيير النظام من الداخل عبر الضغط المزدوج (العقوبات الاقتصادية المُقترنة بالتحريض الشعبيّ)

هذا الأسلوبُ يهدفُ إلى خلق حالة من عدم الاستقرار السياسيّ لإضعاف الموقف التفاوضيّ للحكومات المُستهدفة مما يُضعفُ مبدأ سيادة الدولة الذي نصَّ عليه ميثاقُ الأمم المتحدة، ويُحوِّلُ التفاعلات الشعبية إلى أدوات في صراع القوى الكبرى، وأوضح مثال على ذلك، مظاهرات تشرين في العراق سنة (٢٠١٩)

سابعاً: التوظيفُ الجيوسياسيُّ للأدوات الاقتصادية، حيثُ انتقلَ مفهومُ العقوبات الاقتصادية في عهد ترامب من كونه أداةً للضغط الدبلوماسيّ إلى أن أصبحَ سلاحاً استراتيجيّاً شاملاً.

إنَّ التهديدَ بفرض الرسوم الجمركية، وفصل الدول عن نظام سويفت المالي، واستخدام القوة الدولارية كأداة للابتزاز السياسيّ، يُمثِّلُ ما يُسمّى بتسليح الاعتماد المتبادل هذا النهجُ يُهدِّدُ استقرارَ سلاسل التوريد العالمية، ويدفعُ الدولَ نحوَ البحث عن بدائل مالية بعيدة عن الهيمنة الأمريكية، مما يُؤسِّسُ لنظامٍ عالميٍّ متعدِّدِ الأقطاب اقتصادياً على المدى البعيد.

ثامناً: نظامُ الاغتيالات والخطف والاعتقالات

أحدُ أكثر جوانب سياسة ترامب في المنطقة تجاهلاً في التحليل التقليديّ، هو تطبيعُ الاغتيال السياسيّ بوصفه أداةً مشروعةً من أدوات السياسة الخارجية، فلم يُعدْ الاغتيالُ في عهده إجراءً استثنائيّاً مرتبطاً بحالة حرب واضحة، بل وسيلةً مُعلنةً لإدارة الصراع.

بلغَ هذا التوجُّهُ ذروتَهُ في اعتماد سياسة الضربات الدقيقة التي تستهدفُ قادةً عسكريينَ أو سياسيينَ خارج ساحات الحرب التقليدية، وبمَعزِل عن قواعد القانون الدوليّ، حيثُ لم يكن اغتيالُ القادة الشهداء في كافّة دول المحور المقاوم أو غيرها احداثاً معزولةً، بل جزءٌ من منظومة ردع تقومُ على الصدمة لا على التسوية.

كما يمثّلُ التاريخُ الثالث من يناير سنة (٢٠٢٦) نقطةَ تحول مفصلية في العقيدة السياسية الأمريكية، حيث أقدمتْ إدارةُ ترامبَ على خطوة غير مسبوقة دولياً باحتجاز رئيس دولة على رأس عمله، وهو نيكولاسُ مادورو، ونقلهُ قسراً إلى الأراضي الأمريكية.

هذا الحَدثُ ليسَ مجردَ عملية عسكريّة، بل هو إعلانٌ عن نهاية حقبة الحصانة الدبلوماسيّة وبداية حقبة تخويف العالم، لضمان رضوخ مَنْ يُفكرُ بممانعة أمريكا وعدم الامتثال لشروط سرقتها لخيرات العالم.

يَنسبُ المُحللونَ جذورَ هذا النهج إلى الرئيس الأمريكيّ السابع أندرو جاكسون، والذي يؤمنُ بأنّ أمريكا يجب ألا تتدخلَ في مشاكل العالم لكنْ من أجل حماية مصالحها ونفوذها، يجب أن تردَّ بقوة غاشمة وحاسمة لا تلتزم بالبروتوكولات الدولية، وهو ما يفسرُ سهولةَ اللجوء لعمليات الخطف أو الاغتيال بدلاً من الالتزام بالحلول الدبلوماسيّة.

إذْ إنَّ نتائجَ سلوكيات ترامب تتلخصُ في تفكُّك النظام الإقليميّ القديم، حيثُ أصبحَ الاستقرارُ مرهوناً بمدى قدرة الدول على الانخراط في صفقات مباشرة مع واشنطن، بينما تراجعتْ أهميّةُ المؤسّسات الدوليّة والقانون الدوليّ لصالح توازنات القوة والمصالح الاقتصادية المباشرة فسياسةُ دونالد ترامب سياسةُ إعادة تموضع نفعي، مع حضور أقلّ، ضغط أعلى، وانحياز أوضح.

وقد أسهم هذا النهجُ في تعميق الاستقطاب، وإضعاف الأُطُر التَّقليديّة لإدارة الصراع، وفتح البابَ أمام تحولات لم تكتمل بعد، وليصبحَ العالمُ لايدري أين يتجه.

وهنا أؤكدُ إنّ المدرسةَ التي عرفت نموذجَ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الحكم، والتي قدَّمت السِّلمَ الأهليَّ على المصالح والمبدأ على البراغماتيّة والعدلَ على الاستقرار الزَّائف، لا يمكن أن تُصابَ بالذُّعر وهي وحدُها التي لا تخشى من رئيس دولة، مهما علا صوته أو توسعت أدواتُ نفوذه، فترامبُ ليس إلا تجلّياً مُعاصراً لنمط سياسيٍّ معروف في التاريخ: خطابٌ شعبويٌّ، توظيفٌ للخوف واستثمارٌ في الانقسام.

وهي سماتٌ خَبرتها مدرسةُ أهلِ البيت (عليهم السلام) وشيعتُهم في كافة مراحل الصراع الوجوديّ، وشكَّلتْ لديهم حصانةً فكريّةً وإيمانيةً، فهذه المدرسةُ اثبتت أنّها الاقدرُ على المواجهة، فالطغيانُ لا يُجابَهُ إلا بقوة الإيمان التي تشرَّبتها بيئتُهم، فمهما فعلتْ سياسيةُ ترامب لم تستطعْ أن تَهزَ ثباتَ أولاد علي بن أبي طالب المؤمنين بأقدار الله (تعالى) والمُتحمِّلين لدفع جميع الضرائب والمُنتظرين لفرج قائدهم المهدي (عجّل الله فرجه) الذي يقتربُ يومه ساعةً بعد ساعة من عُمر هذه الأرض التي استكبر فيها الظّالمون فتوَّهموا الخُلودَ، فإذا بالله (تعالى) يُملي لهم، ثُمَّ يَستدرجهم من حيث لا يعلمون.

ضَرورةُ التَّماسُكِ

د. نور علي/ بغداد

في المجتمعات التي أُرهقَ فكرُها وجسدُها بالتجزئة والتشرذم، والتي تنظرُ إلى واقعها بعين الجغرافيا لا بعين الغاية، يصبحُ الحديثُ عن الانتظارِ ودورهِ في تقويةِ الروابطِ ضرباً من التنظير، إن لم يُسندْ برؤية قرآنية ترى الأمةَ جسداً واحداً، فقد غفلَ الكثيرُ عن أنّ الأمةَ في المفهوم القرآني، ليست عدداً من الناس على مساحة من الأرض، بل هي تجلٍّ من تجلياتِ أمرِ اللهِ (تعالى) في التاريخ.

في هذا المستوى، لا يغدو التماسكُ التئاماً وترابطاً فقط بين المكوّنات، بل صياغةٌ داخليةٌ لمستوى الشعورِ الجمعي على نحو تتراجعُ فيه النوازعُ المُتضادةُ لصالح مركزٍ إدراكيٍّ أعلى، تذوبُ فيه الذواتُ المتنابذةُ لتلتقي في شعورٍ كُليٍّ بأنَّ المصيرَ ليس محصلةَ توافقِ إرادات، بل امتدادٌ لغائية خلقها الله (تعالى) على أساس الكمال.

لذلك، فإنَّ كُلَّ فعلٍ يُعيدُ إلى الأمةِ تماسكها، وكلَّ موقفٍ يوسّعُ قاعدةَ الالتقاءِ بين مكوّناتها؛ يدخلُ في دائرةِ التمهيد، وكلُّ قيمةٍ تُحيي في النفوسِ فكرةَ المسؤوليةِ الجماعية، وتُطفئُ لهيبَ الأنانيةِ الثقافية؛ تندرجُ ضمنَ حملِ رايةِ النُصرةِ المهدوية.

فالانتظارُ هو الذي يُعيدُ تركيبَ المعنى الجمعيِّ حولَ قُطبِ الغاية، حيث أنّ الأممَ لا تنهارُ حين تُغزى، بل حين تفقدُ مركزَها، وتضيعُ بوصلتَها، وتنقسمُ على تفسيرِ المصير، فكلُّ خصومةٍ أو تشتّتٍ في سبيلِ الدنيا، غيمٌ يُحجبُ به ذلك النور، وكلُّ تمسّكٍ بالهوى على حسابِ الكُل، يؤخرُنا عن بلوغِ درجةِ النُصرة.

فإذا لم تجتهدْ الأمةُ في رفعِ الحُجب؛ سيبقى تخلُّفُها عن تكليفها ضياعاً وخُسراناً، وستكون مهددةً بالاستبدال.

ومَنْ تأمَّلَ آياتِ الميثاقِ والأمانة، أدركَ أنَّ الاجتماعَ البشريَّ في تصورهِ القرآنيّ، ما كان قطُّ بصورةٍ عفويةٍ أو كيفما اتفق، بل هو انعقادٌ عميقٌ على غايةٍ كُبرى، والغايةُ إذا غابت تمزّقتْ الوحدةُ إلى مشاريعَ متناحرة، وإذا حضرتْ انتظمتْ الأمةُ بمسيرتها نحو الأهدافِ السماوية.

ولذلك، فإنَّ ما يُؤسسُ له العقلُ المُنتظرُ ليس الاكتفاءَ بالتعايش، بل انخراطُ الأفرادِ في مشروعٍ ربانيٍّ يتجاوزُ الذاتَ الفردية، نحو بناءِ قدرةٍ مشتركةٍ على تحمّلِ أعباءِ الرسالةِ المحمدية.

فإذا بلغتْ الأمةُ عتبةَ هذا المقامِ المبارك، وبنيّةِ النُضجِ الداخليِّ، تكونُ قد نفتْ عنها خَيارَ الاستبدالِ وثبتتْ أقدامَها على الصراطِ المستقيم، فإذا كانت الجماعةُ في أزمنةِ الوحي الأولى قد أحتاجتْ إلى تنزيلِ التشريعِ ليكتملَ به الفهم، فإنَّ الأمةَ في زمنِ الغيبةِ تحتاجُ إلى ترقيةِ الاستعداد، حتى تنفتحَ على مدلولِ الوعد، وهذا يتطلّبُ منها أن تخلعَ طبقاتِ الوهم، وأن تُفكّكَ منظوماتِ الغرورِ أو الانغلاق، وأن تُعيدَ ترتيبَ أفكارِها على ضوءِ ما يتطلبهُ المستقبلُ المنشود.

فالمنتظرون الحقيقيون هم الذين يُربّون في أنفسهم منطقَ الرحمةِ الواسعةِ التي تشملُ الجميع، فلا يقيسون الناسَ بحدودِ الجماعة، بل يوسّعون الجماعةَ لتشملَ أكبرَ طيفٍ من القابلين للهداية، وفي طبيعتهم لا يتقاتلون على المراتبِ بل يتقاسمون عبءَ المسؤولية، لأنّهم يرونَ أنفسَهم جنوداً في انتظارِ القائدِ المُصلح.

هنا لا بدَّ من الإشارة، إلى أنّ القرآنَ الكريمَ يعرضُ نماذجَ لمؤمنين استضعفهم الطغاةُ، لكنّهم تمسكوا بوعدِ اللهِ (تعالى) لهم بالنجاة، مثالُ ذلك: بنو إسرائيل تحتَ ظُلمِ فرعون فقد كانوا يُعانونَ من الاستعبادِ والتقتيل، إلا أنّهم تناقلوا بشارةَ قدومِ مُنقذٍ من نسلهم، فجاءهم موسى (عليه السلام) بهذا الوعدِ الإلهيِّ ذاته: (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[الأعراف: ١٢٨]

لقد ربطَ موسى (عليه السلام) بين الاستعانةِ باللهِ (تعالى) والصبرِ على الظلم، وبين الثقةِ بأنَّ اللهَ (تعالى) سيورّثُ الأرضَ للمؤمنينَ وأنَّ العاقبةَ لهم، وبفضلِ هذا الأملِ الموعودِ صمدَ بنو إسرائيل كجماعةٍ واحدةٍ برغمِ المحنِ القاسية، حتى حقّقَ اللهُ (تعالى) لهم الخَلاصَ وأهلكَ عدوهم.

وكذلك أصحابُ الكهف، الذين ضربَ اللهُ (تعالى) بهم مثلاً في الصبرِ وانتظارِ رحمته، إذ لبثوا في الكهفِ عقوداً من الزمنِ إيماناً بوعده ويقيناً بنصره؛ فكافأهم اللهُ (تعالى) بالحفظِ والنصر، فبعد تلك النومةِ الطويلةِ أبقى على إيمانهم وأبدانهم، وصانهم من فتنةِ قومهم، ودرأ عنهم بطشَهم وسفكَ دمائهم، وجعلَ هذه النومةَ من آياته التي يستدلُ بها على كمالِ قدرته وتنوّعِ إحسانه، وليعلمَ العبادُ أنَّ وعدَ اللهِ (تعالى) حقٌّ.

ومثال آخر: المؤمنونَ مع النبيِّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة: كانوا قلّةً مُضطهَدةً، لكنَّ إيمانَهم بوعد الله (تعالى) منعَهم من التفرّق، فهاجروا معاً إلى الحبشة ثم إلى المدينة امتثالاً لأوامر النبيّ، وصبراً على انتظار الفرج، فحافَظوا على تنظيمهم الداخليّ، وصلة الأخوّة بينهم بالرغم من كلّ ما لاقوه، لإيمانهم بأنَّ نصرَ الله (تعالى) وشيكٌ كما أخبرَهم القرآنُ الكريم، وبالفعل جاءتْ الهجرةُ ثم بدرٌ والفتحُ كمحطاتٍ لتحقيق تلك الوعود، فكان انتظارُهم في محله.

على الصعيد المعاصر في المجتمعات المؤمنة عبرَ التاريخ الإسلاميّ، لعبتْ فكرةُ الانتظار وخصوصاً انتظار الإمام المهديّ (عليه السلام) دوراً ملموساً في تماسُك جماعاتٍ إسلامية، ومنهم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية،

حيث أنَّ انتظارَ الفرج لدى الشيعة كان انتظاراً إيجابيّاً تفاعلياً، دفعَهم لإقامة شبكة من التكافل والتواصل بقيادة المرجعية الدينية العادلة، والتي تعمل على صونهم إلى يوم الظهور المبارك، وقد أثبتَ التاريخُ أنّهم احتفظوا باستقرارهم العقائديّ والاجتماعيّ رغمَ تقلّب الدول عليهم، بسبب إيمانهم العميق بأنَّ كلّ ظلم زائلٌ عند ظهور المهديّ المنتظر (عجل الله فرجه) ولَم يقودهم هذا الانتظارُ إلى الاستسلام أو التراخي في المسؤوليات، بل شاركوا عبر التاريخ في حركات إصلاحية، وثورات ضدَّ الظلم بروح المسؤولية والتكليف تجاه أمة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين) وحفيده الخاتم (عجّل الله فرجه الشريف)

وفي سياقٍ مُتصل، فإنَّ الواقعَ يؤكدُ على أنَّ الشعوبَ التي ترفعُ رايةَ المقاومة في وجه الاستكبار العالميّ، على امتداد الجغرافيا المُثقلة بالجراح، والتي أنهكتها طبيعةُ المحن والمؤامرات، إلا أنّها لم تنكسرْ تحت وطأة الهزيمة وإن أثقلَ خُطاها التعب، وأنّها لم تنحرفْ عن درب الكرامة.

فما زالتْ تتمسّكُ بالقوة وصلابة المواجهة، لا لأنّها واهمة، بل لأنّها تُدركُ أنَّ بقاءَها مشروطٌ بوعيها، وأنّ حفظَ ما تبقّى من تماسكها، هو شرطٌ للنجاة في وجه عدوٍّ غاصب للثروات والمقدّسات، وفي وقتٍ يتسعُ فيه الانقسامُ، وتتآكلُ فيه بُنيةُ تضامن الجماعة المُسلمة، التي لم تستوعبْ طبيعةَ تكاليفها حتى اليوم، وما هي متطلباتُ مهمّتها في حفظ الدين والكرامة، وبناء مشروع عادل؟

فإن لم تتعلّمْ الأمّةُ الصبرَ، والوحدةَ، والثبات، فلا يصح التساؤل عمّا إذا كنّا -أفراداً أو جماعةً- قد أدّينا شروط الانتظار، ونحن ما زلنا نطلبُ ثمرات مشروع العدل قبل استكمال أسبابه التي قرّرتها السنن الإلهية.

وفي الختام، آخرُ دعوانا: اللّهُمّ اجعلْ أمةَ نبيكَ محمد (صلواتُك عليه وعلى آله) جسداً لا تتقطعُ أوصالُهُ بالعصبيات، ولا تُمزّقُ نسيجَه الأهواءُ، بل اجمعْ قلوبَها على الوعد الذي صدّقهُ الوحي، وبشّرَ به الحبيب، أنَّ الأرضَ يرثُها عبادُك الصالحون.

اللّهُمّ اهْدِ قلوبَ المسلمينَ جميعاً إلى النور المؤمّل المُنتظَر، المُمتدّ من سُلالة نبيك الخاتم ووصيّ عهده وبقيّة نوره الإمام القائم بالحق، الذي وعدتَ به عبادَك المُستضعفين ليقومَ فيهم بالقسط ويُعيدَ للحقّ هيبتَه وللأمة وحدتَها، فإنَّك سميعٌ مجيب تسمعُ دعاءَ العباد ولا تُخلفُ الميعاد.

التنبؤ بتغيرِ النظامِ العالمي

غالبيةُ المحللينَ والخبراء والمراقبين ومراكز الدراسات البحثية وصلوا إلى قناعة أنَّ النظامَ العالميَّ الحاليَّ الذي أسّستهُ أمريكا بعد الحرب العالمية الثانيةَ في حالة موت سريريّ؛ هذا النظامُ لم يهيمن على العالم بالقوة العسكرية فقط وسفكِ دماءِ الملايين بل بالقوة الناعمةِ الرهيبة. الحضارةُ المهدوية قادمةٌ ولا مستقبلَ إلاّ للإسلام الأصيل.

ندعوكَ لأن تكونَ لديك نظرةٌ استراتيجيةٌ، فالعالمُ حولكَ يتغيّرُ وبوتيرة متسارعة.

لا تغرق في تفاصيل الأحداث اليومية فتغيب عنك الرؤية الشاملة.

لا تطارد قنوات الأخبار من محطة إلى أخرى فتغفل عن المشهد العالميّ برمّته.

بالطبع لن يحدث انقلاباً عالمياً بين ليلة وضحاها، فالانقلاباتُ العالمية بحاجة إلى عقودٍ من الزمن، لكن كن واثقاً بأننا في عين العاصفة.

كلّ المحللين وأصحابُ العقول الاستراتيجية يعتقدونَ أنَّ العالمَ يعيشُ إرهاصاتٍ كبرى، إنّهُ مخاضُ تحوُّلٍ تأريخيٍّ لا وجودَ للشيطان الأكبر فيه.

إنَّ الرائدَ لا يكذبُ أهلَه.

والسعيدُ مَن أعدَّ واستعدَّ.

قامَ النظامُ الاشتراكيُّ الماركسيُّ الشيوعيُّ وترأسهُ الاتحادُ السوفييتيُّ والصينُ وجُلُّ أوروبا الشرقية وبعضُ دولِ الشرق وبعضُ الدول العربية ثمَّ اندثرَ وتمزّقَ لأنّهُ يحملُ بذورَ فنائه معَه.

وها هوَ النظامُ الرأسماليُّ المتوحشُ على سرير الموت يمرُّ بأزماتٍ خطيرةٍ وكلُّ المحاولاتِ لإنعاشِه لم تنجح.

لا حلَّ إلا بالمهديّ والحضارةُ المهدويةُ قادمةٌ لا محالَ.

شبكةُ الانتظارِ

ثقافة الاقتدار في زمن الانتظار

ام زهراء الصفار / بغداد

يقيناً أن شعوب العالم كلها ستكون مدعوة إلى الانضواء تحت راية الحق والهدى والرشاد، تلك التي سترتفع إيذاناً بانتصار قريب راية هداية لجميع الأمم، يحملها خاتم الأوصياء المهدي المنتظر، (أرواحنا له الفداء)

هذه الدعوة ليست إحالة إلى فراغ، ولا ركوناً في حمأة المعترك وحمى الوطيس إلى مجهول، بل هي دعوة واعية إلى خوض غمار المواجهة، والتقدم نحو الميدان، والقذف بالأنفس في لهوات الصراع، تأسياً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لإخراج كلّ محتلٍ من كلّ أرضٍ أُخضعت للمستكبرين والطغاة، بقوة السلاح الناكازاكي والهيروشيمي، وما تلاها من أدوات العولمة والهيمنة المعاصرة.

فإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه)، هو دعوة دائمة، وتحدٍّ قائم بذاته لكل شعوب الأرض: أن اخرجوا من ظلمات الجهل والذل وارفعوا الرؤوس عالياً؛ فالهامات لا تنحني لغير الله ودينه القويم.

وهي دعوة لكل عاقل ليحرر نفسه أولاً من قوى القمع والعدوان، التي تسعى إلى فرض سيناريوهات مزيفة على الشعوب بقوة الحديد والنار، وليس أدل على ذلك من الإبادة المنهجية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني.

فملايين الفلسطينيين المهجرين يُصادر حق عودتهم إلى وطنهم، في ظل مشروع استيطاني استعماري، دُبر في غرف المخابرات البريطانية، ورُسمت خطوطه العريضة في السياسات الأوروبية عموماً، والأمريكية خصوصاً، يهدف إلى منع عودة أصحاب الأرض وترسيخ واقع الاحتلال.

ولا تتوقف فصول الجريمة عند حدود التهجير، فمخطط شذاذ الآفاق تمتد إلى سياسة القتل والذبح الممنهج، التي شاهده العالم أجمع من مشاهد أشلاء الأطفال والنساء والشيوخ في غزة الأبرياء، ضمن سجل أسود حافل بمنكرات الجرائم وحرب الإبادة الجماعية، التي ارتكبها، ولم يزل، الكيان بحق أصحاب الأرض.

من هنا، تبرز الحاجة الملحة إلى تبني ثقافة مشروع المستقبل المهدوي، تلك الثقافة التي لا تقف عند حدود الوعظ بل تترجم إلى فعل عملي وإعداد حقيقي، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

ويكشف التعبير بـ"رباط الخيل" عن درجة القرب بين الإعداد والتنفيذ؛ فهي ليست دعوة مؤجلة، بل مشروع تحرك دائم يرهب عدو الله، الذي هو في حقيقته عدو البشرية كلها، وكل حديث عن نبذ العنف والإرهاب مع دراكولا العصر الذي يقتل الشعوب بالريمونت كونترول، ومجلس الأمن، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، لايعدو كونه إرهابا للمستضعفين والمظلومين، الذين تئن الأرض من أنينهم، وتضج من صرخة دماءهم.

فمن أراد شيئا لابد أن يعد له العدة، فالحدث لايمكن ان يكون ابن ساعته فنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) هو الإعداد والاستعداد لكل طارئ، خصوصاً في الأحداث المهمة والمفصلية.

(قال تعالى): ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[2].

ومن هنا، كان لزاماً على المؤمن أن يُعدّ عُدّته، ويبني قوته في جميع المجالات: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، فهي أسباب فوزه، وأدوات نصره.

إن معركة الوعي والبناء لا تُخاض بالخطب والمواقف العاطفية وحدها، بل تقتضي استعداداً شاملاً، وبناءً متيناً للقدرة والاقتدار في مواجهة عدو لا يعرف إلا منطق القوة والهيمنة.

فالمشروع المهدوي لا ركون فيه ولا انزواء، بل هو نهوض مستمر، وكفاح دائم في ميدان إعداد القوة، وتحصين المجتمع، وتأسيس القاعدة الصلبة لدولة العدل الإلهي.

وكما أن النصر لا يُمنَح لمن لا يستحقه، فإن الظهور لا يكون إلا على أكتاف قوم قد بلغوا درجة الاستعداد والتمكين، وأصبحوا أهلاً لحمل راية الحجة (عجل الله فرجه الشريف)

هي دعوة لكل فرد منا أن يجسّد مشروعاً مقاوماً، ويضع لَبِنةً في صرح الدولة الإلهية القادمة؛ فالأرض يرثها عباد الله الصالحون لا المستكينون ولا المنهزمون: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

هي دعوة لكل عاقل أن يشحذ همته ووعيه، ليكون جزءاً من وعد الله، ويوم الله، وجند الله، المنتصرين في آخر الزمان.

فيا أبناء الرسالة، وحملة لواء الحق، إن الزحف نحو الغد الموعود لا يقوده المتخاذلون، ولا يصنعه الضعفاء، بل يمضي فيه من عقد العزم، وشحذ البصيرة، ووثب إلى الميدان بعقل واعٍ وساعد مهيأ، إننا في زمن لا يسمح بالحياد، ولا يعترف بالمجاملات؛ فإما أن نكون في صف القائم بالحق، ممهدين له، مستعدين لنصرته، أو نُترك خلف ركام الذل وخراب التبعية.

استعدّوا، وتجهّزوا، وارفعوا راية الإعداد في وجوه الطغاة، فإن القادم من الأيام لا يصنعه إلا الأشداء في عقولهم، الأتقياء في قلوبهم، الأقوياء في إرادتهم وعزيمتهم ورسوخ عقيدتهم الحقة، فلتُكتَبوا في سجل المنتظرين الفاعلين، لا في قوائم المتفرجين الغافلين فالراية المحمدية لا يرفعها إلا الأشداء، والحق لا ينصره إلا الأتقياء.

يرونك سيدي بعيداً، ونراك قريباً.

المصادر:

١- القران الكريم [سورة الأنفال: ٦٠]
٢- القران الكريم [سورة التوبة: ٤٦]

المناعةُ الفكريّةُ في ساحةِ الانتظار

منار العامريّ/ بغداد

قال (تعالى): {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [سورة الذاريات: ٢٠-٢١]

عند التأملِ بآياتِ الله في القرآنِ الكريم، سنجدُ بما لا يقبلُ الشكّ أنّ الله (سبحانه وتعالى) يضعنا أمام آيةٍ من أعظم آياته، وهي النفسُ البشريةُ بكل تعقيداتها، فهي التي تحوي أنظمةً إعجازيةً داخليةً وخارجيةً تتحرك وفق قوانين فطرية وعقلية معيّنة.

ومن أهمّ الأنظمة التي ركّز عليها القرآن الكريم، هي الأنظمة الفكرية المرتبطة بالعقل، والفكر البشري -بطبيعته- يحتاج إلى تغذيةٍ سليمة لوقايتهِ من الآفات، فلو تعرّض الفكر إلى إحدى تلك الآفات سنحتاج إلى مناعةٍ تَقينا من اختراق منظومتنا الفكرية.

ولتوضيح ذلك سنستعير بعض المفاهيم الطبية، حيث يوضّح علم الإيمونولجي وهو أحد أهمّ فروع الطب المختص بدراسة الجهاز المناعي، أنّ المناعة هي الجيش الذي يتصدّى لأي كائن يعتبره غريباً، وضعف هذا الجهاز يؤدّي إلى ضعف الجسم ثم انهياره، لذا علينا أن نعمل على تنشيط وتعزيز المناعة الجسدية لِما لها من أهميةٍ بالغةٍ في حماية أجسادنا، وهذا لعلّه يعتبر مثالاً حسيّاً لتبيان هذه الحقيقة لأن هذه المناعة تمثل منظومة الأمن الداخلي التي تحمي الجسد وتشخّص كل ما هو دخيل فتحاربه، ومن أهمّ وظائف المناعة هي التعرف على الأجسام الغريبة ومكافحتها، والمراقبة الاستخباراتية وعملية تنظيف الصفوف من الخلايا الشاذة، والذاكرة المناعية التي تمثّل أرشيفاً معلوماتياً يستفيد من تجارب الماضي لحماية الجسم مستقبلاً، وكثير من الوظائف المهمة الأخرى، غير أنّ هذا العِلم -في نفس الوقت- يحذّرنا من ظاهرة طبيّة تُعرف بـ"أمراض المناعة الذاتية" وهي الأمراض التي تحصل عندما تضطرب معايير الجهاز المناعي لأسبابٍ عدة، فتتمرّد الأجسام المضادّة وتوجّه دفاعاتها نحو بعض أعضاء الجسم السليمة فتهاجمها ظناً منها أنها تدافع! وهذا الاعتلال الوظيفي يصبح أداة تدميرٍ ذاتيٍّ بعد أن كان أداةً دفاعيةً مفيدةً.

وعليهِ فإن المناعة الفكرية ليست بمنأى عن مثل هذه الاعتلالات إذا فقدت الميزان الذي يضبطها..!

وبما أنّنا نعيش اليوم في عصر اضطراب المفاهيم وعدم وضوحها، استغلت الحركات المنحرفة والدعوات المهدوية الضالة ذلك، فتكاثرت، مُحاوِلةً اختراق الوعي الشيعي ومستغلةً للعاطفة الجيّاشة التي تكنّها النفوسُ للإمام المنتظَر (عجل الله فرجه) فتقوم بتزيّيف ملامح العقيدة المهدوية الحقّة، لتحقيق أجنداتها الخاصة.

وهنا تبرز المناعة الفكرية في ساحة الانتظار، كضرورة قصوى لوقايتنا وتحصيننا من الانجرار خلف كل ناعق وتجعلنا نرفض كل ما يمس العقيدة المهدوية، لكن ما يجب أن نتوقف عنده ملياً، هو معرفة متى يتحول حذرنا من هذه الحركات المنحرفة، الذي يجعلنا نرفضها، إلى حالة من الرفض المبرمج حيث نرفض الحقّ نفسه!

إنّ الاعتياد النفسي على تكذيب المدّعين والنفور من الدعوات الباطلة -وهو فعل وقائي ممدوحٌ في أصله- قد يفرز حالةً من الاستنفار المناعي الفكري التي تغلق عندنا منافذَ الوعي بالكامل، والخطر هنا يكمن في أن تصبح كلمة "لا" التي نحارب بها الحركات المدّعية، عبارة عن ردٍّ فعلٍ تلقائيٍّ غير خاضعٍ للمراجعة، أي أنّنا قد نصل إلى مرحلةٍ نرفض فيها حتى رايات الهدى الحقيقية المهّدةِ لظهور الإمام، أو نرفض الإمام نفسه عند ظهوره (عجل الله فرجه) لمجرد أنّنا لم نعد نطيق فتح بصائرنا للحقائق التي تخرج عن ما ألِفناه واعتدنا عليه.

ولو بحثنا في أرشيف التاريخ سنجد أنّ بعض أعداء الأنبياء و الأئمة (عليهم السلام) لم يكونوا دائماً من الكفرة المعاندين للحق أو أهل الباطل الصرف، بل كانوا أحياناً من نفس الأمة، مِن الذين أصابهم خللٌ عقائدي، فظنوا أنّهم بمحاربتهم لأيّ دعوة جديدة سيحمون إرثهم الفكري ويدافعون عن دينِهم، فوقعوا في منزلق تكذيب الصادقين.

نحن في عصر الغيبة معرّضون إلى نفس هذه المحنة الخطيرة، لذا لا يمكننا أن نكتفي بالرفض العشوائي لكل فكرة أو دعوى، فقد تكون بعض الدعاوى صادقة، إذن لا بد

من ضابطة تضبط إيقاع هذه المناعة الفكرية، وتجعلها أكثر مرونةً وقدرةً على التمييز والفلترة بين الخيط الأبيض والخيط الأسود، ومن حقّنا أن نتساءل:

ما هي هذه الضابطة؟

وبماذا تتجسد؟

والجواب واسع ولكن في مقدّمته نؤكد على ضرورة أن تكون الأمة تحت ظل القيادة الدينية الصحيحة، التي اختارها لنا المعصوم في زمن الغيبة، والمتمثلة بالمرجعية الدينية الرشيدة والأمر الآخر هو في المتابعة الدقيقة لخارطة الظهور الشريف التي قام بتجهيزنا بها أهلُ البيت (عليهم السلام) وهي عبارةٌ عن معلوماتٍ استخباراتيةٍ مجانيةٍ لكشف الحركات الضالة، أو فلنقل بأنها منظومة إنذار مبكّر يساعدُنا على الاستعداد المسبق، إذن نحن نتحدث عن جهاز دفاعي منضبط لا عذر لنا في تجاهله مهما كان السبب ومخطط الظهور هذا يتضمن علاماتٍ متعددةٍ ومواصفاتٍ جغرافيّة وزمانيّة تشخّص لنا الطريق، وتعمل كنظام تشفيرٍ يكشف لنا الحقائق التي نحتاجها، إنّ دراسة هذه الخارطة تساعدنا في عدم تحوّل المناعة الفكرية إلى جدار أصمّ يحجب الرؤية، بل تجعله راداراً ذكياً يعرف متى يغلق أبوابه أمام الدجالين، ومتى يفتحها استعداداً للظهور الشريف.

وبذلك يتجلى لنا أنّ المناعة الفكرية الحقة، التي ينبغي أن نتحصّن بها على مستوى الفرد والأمة في درب الانتظار، هي التي توازن لنا بين إنكار المضلّين وبين تصديق دعوة رايات الهُدى التي تسبق ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ثم التسليم المطلق للإمام حين ظهوره (صلوات الله عليه)

فالمناعة الفكرية لا تمنعنا من التلبية عندما تلوح راية اليماني أو راية الخراساني، أو عندما يبزغ فجر دولة العدل الالهي، بل هي التي تدفعنا للنصرة.

وعليه فإن إحدى أهم ركائز الانتظار الواعي هو التسلح بهذه المناعة واتّباع القيادة الحكيمة، والدراسة الفعلية لعلامات الظهور الشريف، المصحوبة بالمراقبة والترصّد لأحداث الواقع، وبذلك لن نشهر سيف الانتظار بوجه الإمام (عجل الله فرجه) بحجة أننا ما زلنا ننتظر!

فالذي لا يتتبّع العلامات لا ريب أنه سيظنّ أنّها لم تتحقق وبالتالي سيشكّ بالظهور وسيؤدي به هذا الحال إلى إنكار الصيحة وإلى عدم تقديم البيعة لإمام زمانه بل ومحاربته والعياذ بالله، ولكي لا نكون من هذا الصنف الذي يواجه الإمام حرصاً على العقيدة، كمن واجهوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمصاحف وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعا؛ لابد أن نكون من البصراء الذين عرفوا الحق بآياته، فكانت مناعتهم فلاحاً لا هلاكاً.

خطورة تجاهل علامات الظهور

إنّ محاولة تجهيل الأمة بأهمية ثقافة العلامات، وأثرها في بثّ روح الأمل في نفوس المنتظرين، وعدم الإلتفات إلى دورها في تحصين حركة الانتظار من الإنحرافات، لهي محاولة خطيرة تستهدف نسف مفهوم الانتظار، من خلال الإطاحة بأهم ركائزه ومقوماته الموضوعية المتجسدة بمعرفة العلامات، يؤكده المعنى اللغوي والاصطلاحي لها، فهي في اللغة: الأثر الذي يُعلَم به الشيء، أو ما يُنصَب على الطريق من إشارات ليهتدي بها السائرون، ومنه قوله تعالى:

((وَعَلامات وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)) النحل ١٦

والعلامات في الاصطلاح هي:

كل حدث دلّ الخبر الغيبي على وقوعه في المستقبل، باعتباره من دلائل قرب ظهور الإمام المنتظر (أرواحنا لمقدمه الفداء) وفي هذا الإطار، حدد الإمام الصادق (عليه السلام) مكانة علامات الظهور في الثقافة الاسلامية، حيث قال: ((ان قدام المهدي علامات، تكون من الله عز وجل للمؤمنين)) المصدر كمال الدين : ٦٤٩

فالعلامات دلائل غيبية كلها من الله (تعالى) ولم يكن لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) دور فيها، إلا بمقدار تبليغها للأمة، وهي دلائل وضعها الله (تعالى) لهداية المؤمنين، إلى طريق الحق وصيانتهم من الوقوع في الفتن، فإذا تجاهلنا دور معرفة العلامات في حركة الانتظار التغييرية في الأمة، نكون قد أفرغنا مفهوم الانتظار من معطياته التربوية ومن محتواه، وإذا لم يكن للعلامات أيّ دور إيجابي، في حياتنا الإيمانية والسياسية والجهادية في عصور الانتظار الغيبية، فإن أهداف القرآن وأهداف الرسول (صلّى الله عليه وآله) التي جاءت في آلاف النصوص الغيبية التي تكشف حوادث المستقبل، تبقى سؤالا بحاجة إلى جواب!

وكالة أنباء الإنتظار

الجهلُ المتقنُ

زيد عاشور/ بغداد

في ظلِّ التقدّم العلميِّ الهائل وثورة وسائل التواصل الاجتماعيِّ، وإمكانية امتلاك الجميع لهذه الوسائل، أصبحَ الجهلُ مستشرياً إلى درجة لا يمكنُ السكوتُ عنها. ليسَ لكون المجتمع يفتقرُ للنخب والكفاءات بل لأنَّ الجهلة يستطيعونَ أن ينافسوا غيرَهم في هذا المضمار، وأصبحَ الجاهلُ ينافسُ العالمَ بل يتغلبُ عليه في أغلب الأحيان والسببُ ببساطة أنَّ الإناءَ الفارغَ أكثرُ رنيناً من الإناء الملآن.

فلنراجع -على سبيل المثال لا الحصر- ما حصلَ في أزمة إقرار القانون الجعفريِّ، حينَ تمسكَ البعضُ بكذبة إكراه الفتيات على الزواج بسنِّ التاسعة، بينما تغافلوا عن أنَّ الشارعَ المقدس يشترطُ وصولَها إلى سنِّ الرشد أيضاً، وهو أعلى من سنِّ البلوغ، أمّا صناعُ الجهلِ فكانوا يعمدون إلى الكذب عن علم به، يتقصدونَ تشويهَ القانون، وأمّا عامةُ الناس فتبعوهم جهلاً منهم، ولو وَجدوا الكفايةَ من التوضيح لما انجرفوا خلفَ هذه الأكاذيب، وكما قيل: "عندما تمّ اختراعُ المسدس تساوى الجبانُ مع الشجاع" ولكننا نجدُ أيضاً بأنَّ اختراعَ تقنيات شبكات التواصل الاجتماعيِّ أدّى إلى تساوي العالم مع الجاهل في أعين الناس للأسف الشديد، كما أنَّ تصدي الجاهل لأمور العامة بحدِّ ذاته، يعدُّ طامة كبرى وكما وردَ في الأثر عن الإمام الجوادِ (عليهِ السلامُ): "لو سكتَ الجاهلُ ما اختلفَ الناسُ" [بحارُ الانوار ج ٧٥ الصفحة ٨١].

قديماً، كانت الحروبُ التي هي ذروةُ ما يصلُ إليه الصراعُ بينَ القوى المتحاربة هي معركة بينَ جيشين ومن يُقتلُ في هذه المعارك ينتهي دورُهُ إلى الأبد لأنَّهُ ينتقلُ إلى العالم الآخر، بينما الآنَ، نجدُ أنَّ الحروبَ الفكريةَ تجعلُ من الموالي للمعسكر الفلانيِّ معادياً لهُ، والعكسُ صحيحٌ، أي أنَّ دورَهُ لا ينتهي بعدما تمكنَ العدوُّ منهُ، بل يصبحُ جندياً لهُ وهو في صفِّك ظاهراً، ولكَ أن تتخيلَ عزيزي القارئ شدّة الخطرِ المحدقِ بنا في حروب التجهيل الفكرية!

إنَّ من أوضح مصاديق هذا النوع من الحروب الحديثة، هي وسائلُ التواصل الاجتماعيِّ، كلُّنا نتصفحُ هذه المنصات فنجدُ ما يشيبُ لهُ الغلامُ الحزوَرُ من منشورات، أقلُّ ما يقالُ عنها إنها تتسببُ في انتشار عدوى الجهل بينَ الناس، وهؤلاء الناشرونَ يتفننونَ في استجداء التعليقات والمشاركات والتفاعلات، وآخرُ همِّهم الرصانةُ العلميةُ والمعلومةُ الصحيحة.

بطبيعة الحال هناكَ جاهلٌ وهو يعلمُ أنَّهُ جاهلٌ، هذا النوعُ يحتاجُ إلى توجيه وهو مستعدٌّ لتقبّل العلم، لذا وجبَ علينا تعليمُهُ قبلَ أن يتلاقفهُ الطرفُ الآخرُ، وآخرُ جاهلٌ ويظنُّ أنَّهُ فيلسوفُ عصرهِ ووحيدُ زمانه، واجبُنا تجاهَ هذا الصنفِ من الناس هو دحضُ حججهم وردُّها وكشفُها، كي لا يُخدَعَ العامةُ بجهلهم المركّب، هذا الجهلُ المركبُ هو (الجهلُ المتقنُ) الذي يصعبُ كشفُهُ بالنسبة للعامة، ويكونُ في العادة مغلفاً بغلاف العلم، حيثُ يستخدمُ صاحبُهُ مصطلحات جذابةً وتعابيرَ مغريةً، فيسهلُ عليهم تمريرُ أيِّ شيءٍ على الناس، فتنقلبُ الحقائقُ وتُزيَّفُ الوقائعُ، وهكذا يتمُّ محاصرةُ الحقيقة.

إنَّ من أشدِّ الابتلاءات في عصر الغيبة الكبرى، هي أنَّ الحقيقةَ محاصَرةٌ من كلِّ الاتجاهات، فالعصبيةُ والجهلُ والمكرُ والخداعُ والتزييفُ والكذبُ والافتراءُ وطرحُ الشبهات واتّباعُ الهوى، هي ظواهرُ سائدةٌ في وسائل الإعلام، لذا قيلَ إنَّ السنينَ الأخيرةَ قبلَ الظهور الشريف سنينٌ خداعاتٌ، يُكذَّبُ فيها الصادقُ ويُصدَّقُ فيها الكاذبُ، كما وصفتها رواياتُ أهلِ البيت (عليهمُ السلامُ) [غيبةُ النعمانيِّ ج٥٢، ص ٢٤٥].

إذن، ما دورُنا نحنُ؟ وما هو الحلُّ؟

دورُنا كنخب واعية هو استنقاذُ الناس من حيرة الضلالة وظلام الجهل بكلِّ وسيلة متاحة، وكلٌّ منا بما يستطيعُ ويجيدُ فعلَهُ، وخاصةً في ساحة الإعلام الرقميِّ المنتشر، فمنا من بإمكانه أن ينشرَ نصوصاً، ومنا من يولّدُ المحتوى، ومنا من يكتبُ المقالات، ومنا من يتحدثُ إلى الناس بشكلٍ مباشر، ومنا من يلقي المحاضراتِ ومنا من يفعلُ هذا كلَّهُ، وهكذا.. بمختلف الأساليب، لما لهُ من ضرورة قصوى تكادُ ترقى إلى حدود الوجوب على كلِّ فرد غيور على دينه، ويخشى على مجتمعه من الضياع، وهذا هو جهادُ التبيين الذي أوجبهُ الفقهاءُ.

ومن أخطرِ مظاهرِ الجهلِ المتقنِ هو ما سيحدثُ بعدَ الظهورِ الشريف، وهو ما حذّرت منهُ رواياتُ أهلِ البيت (عليهمُ السلامُ) بخصوص صيحة الظهور، فعلى الرغم من وضوحها وعلى الرغم من قدرتها على الدخول إلى كلِّ مسامع العالم، وفي كلِّ لغات الخليقة، نجدُ أنَّ فئةً من الناس سينكرونَ الإمامَ (عجلَ اللهُ فرجهُ) ويرتدّونَ عن الحقِّ، وهو انتكاسٌ خطيرٌ ليسَ بسببِ غيابِ الدليل، بل بسببِ غيابِ التحصين المعرفيِّ المسبق، لذلكَ تحذّرُنا الرواياتُ الشريفةُ من انعدام البصيرة! فصنّاعُ التجهيلِ في ذلكَ الحينِ سيستغلّونَ أدواتِ الماكنة الإعلامية، من إشاعات تكذيبية ومنصات تضليلية وقوالبَ إعلامية جاهزة تشكّكُ حتى في البديهيات، فتجرفُ مَن لم يقمْ بإحكام وترصينِ أساسه المعرفيِّ خاصةً في الشأنِ المهدويِّ، فالذي تهزمُهُ اليومَ معلومةٌ زائفةٌ على منصة تواصل، كيفَ سيصمدُ غداً أمامَ الفتنةِ التكذيبيةِ الكبرى؟!

وردَ في كتاب الغيبة للنعمانيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلامُ يَقُولُ: هُمَا صَيْحَتَانِ صَيْحَةٌ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَصَيْحَةٌ فِي آخِرِ اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: وَاحِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَوَاحِدَةٌ مِنْ إِبْلِيسَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ نَعْرِفُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: يَعْرِفُهَا مَنْ كَانَ سَمِعَ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ [غيبةُ النعمانيِّ ج١، ص٢٧٣].

هنا تتبينُ أهميةُ المعرفة المسبقة للمؤمنينَ وضرورةُ بثّها في الناس، بناءً على ذلكَ علينا أن ننتقلَ من حالة الدفاع الإعلاميِّ إلى حالة الهجوم، بدلاً من أن يشغلَنا العدوُّ بردِّ شبهاته التي يبثّها فينا فقط، بالإضافة إلى ذلكَ علينا أن نبادرَ نحنُ إلى مهاجمة ثغراته الفكرية بالحقائق الدامغة، فإمّا أن نكونَ من أهل البصيرة الذينَ لا تلبسُ عليهمُ الأمورُ، أو نكونَ صيداً سهلاً في شباك السنينِ الخداعات، لذا فإنَّ جهادَ التبيينِ اليوم يعدُّ تدريباً عملياً لتثبيت الأمّة، وصناعةً لوعيٍ راسخٍ لا تهزُّهُ رياحُ الجهلِ مهما "أتقنَ صُنعُها".

هندسةُ وعي الجماهير

علي الخالدي/ بابل

هل سألَ أحدٌ نفسهُ: لماذا ننفعلُ ونغضبُ وترتجفُ أعصابنا، وتضطربُ أنفاسنا، ولربما تَخورُ قُوَانا عندما نشاهدُ عبر الشاشةِ عمليةَ عنف، أو جريمة قتل، ثم يهدأ روعنا، وتسترخي أعصابنا، ويتلاشى أضطراب النفس، ليُنسى الحدثُ فيما بعد، ويمحى من سجل الذاكرةِ تدريجياً، لنخوضَ مجدداً في متاهات الحياة؟

إنّ هذا السؤالَ التمهيديَّ لا يُعبِّرُ عن حالة نفسية خاصة، بقدرِ ما يكشفُ عن ظاهرة تتصلُ بكيفيةِ تشكُّلِ الوعي الجماهيريِّ في العصرِ الرقميِّ وبالآلياتِ التي تُدارُ بها ردودُ الأفعالِ الانفعاليةُ وتُوجَّهُ ضمن سياقات إعلامية محسوبة.

ومن هذا المنظور، يُعَدُّ الإعلامُ أخطرَ سلاحاً في ساحةِ المعركةِ اليوم، وهو أقوى ما يستخدمُه العدوُّ تجاهَ المسلمين؛ إذ يُعَدُّ أقلَّ كلفةً ماديةً قياساً بغيره من الأدوات المستخدمة في الحروب، ويقومُ بتنفيذ أهداف أشدَّ فتكاً وأعظمَ أثراً ممّا تقومُ به الحربُ الصلبةُ، من هدم البُنى النفسيّةِ والأخلاقيّة لدى خصومه، بأدواتٍ رقمية تُدمِّرُ الأعصابَ وتُتلفُ العقولَ وتُفسدُها، ليصبحَ الإنسانُ مسلوبَ العقلِ والإرادة.

وهذه النتيجةُ التي يراهنُ عليها الإعلامُ الموجَّهُ عبَّرَ عنها القرآنُ الكريمُ بتصوير بالغ الدقة، كما في قوله (تعالى): (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ)[المنافقون: ٤] أو في قوله (تعالى): (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)[القمر: ٢٠] بناءً على ماسبق، يصبحُ من الضروريِّ الانتقالُ من توصيف الأثرِ إلى تحليلِ البُنية، أو بصيغة اخرى: بيانُ الكيفيةِ التي يُعادُ بها تشكيلُ الجماهيرِ عبرَ الإعلام.

ومن هنا، يمكنُ الإجابةُ على التساؤلِ المطروحِ في مقدمةِ المقالِ، بتقسيمِ مستوياتِ الجماهيرِ حسب ارتفاعِ منسوبِ الوعيِ لديهم، باعتبارِ أنّ اختلافَ الاستجابةِ لا يعودُ إلى الحدثِ ذاته، بل إلى مستوى إدراكِ المُتلقي له.

أولاً- الجمهور الحسي:

يعتمد هذا الجمهور في معرفته على ماتُمليه عليه الحواس الخمس، أو بصيغة أخرى على الأثارة الآنية، أو ردود الأفعال اللحظية إزاء حدث معين فلا تتخطى معرفته حدود تأثير السمع والبصر.

ويمكنُ تقريبُ الصورةِ من خلالِ ملاحظةِ تفاعلِ مُشاهدِ لمباراةِ كرةِ القدم مع تدحرجِ الكرةِ بين أقدامِ اللاعبينَ وارتفاعِ صوتِ المعلّق، فيخلقُ أجواءً مليئةً بالإثارةِ والحماسِ، لتخبو شعلةُ ذلك الحماسِ فيما بعد، ما أن تتوقفَ حركتهم.

وهذا النمطُ من التلقي هو غايةُ مايصبو إليه الإعلام المُعاديّ: جمهورٌ حماسيّ انفعاليّ مرتبطٌ بالصورة، منقطعٌ عن الحقيقة.

ثانياً- الجمهور الإدراكي:

ويمثّلُ هذا المستوى من الإدراك درجةً أعلى نسبيّاً إذ يعتمدُ على جمعِ وتحليلِ ما وردَ إليه من المدخلات الحسيّة؛ كصورةٍ أو مشهد لجريمة ما، ليصلَ إلى خُلاصةٍ مفادها: هناكَ ظلمٌ، ضحيةٌ ومعتد.

غيرَ أنَّ هذا النوعِ من الجمهور يتوقفُ عند هذا المستوى، فلا يسألُ: عما حدث؟ ولا يبحثُ في أصل القضية لمعرفة الأسبابِ، بل يكتفي بما حدث ويعتبرهُ أمراً منتهياً.

وهنا يكونُ الإدراكُ ناقصاً، لا لغياب النباهة

والذكاء، بل لغياب العلم المنهجيّ، وهو ما تعمدُ إليه بعضُ شبكاتِ الأخبارِ حين تنقلُ الحدثَ بمعزل عن تاريخه ومقدماته، ليظلَّ الجمهورُ يدورُ في حلقةٍ مفرغة من التفاعلِ المؤقت.

ثالثاً: الجمهور الفكري

ويتجاوز هذا الجمهور مرحلة الاكتفاء بالحدث فيُطرح السؤالُ الجوهريُّ: لماذا حدث هذا؟ فيربط مابين الأحداث ويحللها ليستخلص النتائج، ويتهيأ لاتخاذ المواقف.

غير أنّ الفكرَ هنا، وإن كان خطوةً متقدمةً، قد يبقى عرضةً للتذبذب، إن لم يستند إلى معيار قيمي ثابت.

رابعاً: الجمهور الواعي

وهنا يتحقق الانتقالُ من التحليل إلى الالتزام؛ إذ يرى هذا الجمهورُ الواقعَ بوصفه نتاجاً لاختلال الوازع الأخلاقي والديني، فيربط الإدراك بالفكر ليُثبّت موقفاً أخلاقياً راسخاً، مستنداً إلى ما اكتسبه من قيم شرعية ثابتة، لا إلى مواقف مُتقلبة تُبنى على اعتبارات ظرفية أو إعلامية.

وبهذا المعنى، تصبح نصرةُ القضايا العادلة -كنصرةِ فلسطين- موقفاً مبدئياً لا يخضع لتبدّل المزاج العام.

خامساً: جمهور البصيرة (أو المبصرين)

وهو أرقى المستويات؛ إذ لا يكتفي بفهم الحدث أو تفسيره، بل يستشرفُ نتائجَه ويرى ما وراءه بمواقف ثابتة لا يشوبها الشك، وهي مرتبةُ البصيرةِ التي وصفها القرآن الكريم بأنّها نورٌ يقذفه الله (تعالى) في قلوب المؤمنين، كما في قوله (تعالى):﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨]

ففي البعدِ الفكريِّ، جسَّدَ سماحةُ السيدِ محمدِ باقرِ الصدرِ (قدسَ الله سرَّهُ) هذا الاستبصارَ حين تجاوزَ نقدَ الواقعِ القائمِ إلى استشرافِ نتائجِه تشخيصِ أزماتِ الدولةِ الحديثة، ونقدِ النُّظمِ الاقتصاديةِ السائدة، بلِ استشرفَ مآلاتها على الإنسانِ والمجتمع، وقدّمَ قراءةً لبُنيةِ الدولةِ الحديثةِ والاقتصادِ الرأسماليِّ والاشتراكيِّ، وتنبَّهَ مُبكّراً إلى أزمةِ الإنسانِ المعاصرِ والعالمِ الماديِّ.

وفي السياقِ السياسيِّ، تصدى الإمامُ روحُ الله الخمينيّ (قدس الله سرَّه) بنظرته الثاقبةِ لأهدافِ المشروعِ الغربيِّ في المنطقةِ، وخطورةِ الاستبدادِ المرتبطِ بالخارجِ، وربطَ بين فقدانِ الاستقلالِ السياسيِّ والانحرافِ الثقافيِّ والدينيِّ.

فقراءةُ سماحته لم تكن محصورةً في إيران، بل شملت أقطابَ النظامِ الدوليِّ نفسه، وهو ما جعل مشروعَه يتجاوزُ الحدَّ الإقليميَّ إلى رؤيةٍ أمميةٍ حينما شخَّصَ (أعلى الله مقامَه) أنَّ أمريكا هي الشيطانُ الأكبرُ، وهي الأخطرُ على العالمِ بسياستها المستبدة.

وبناءً على هذا التدرجِ في مستوياتِ الوعي، ينبغي من المُنتظرِ لإمامِ زمانِه أن لا ينفعلَ عند قراءتِه الأولى للأحداث، بل يتابع المشهدَ كاملاً ولا يستسلم للسرديات الجاهزة، بل يُخضعها للفهمِ والمساءلةِ والتقديرِ المسؤول.

وبهذا المعنى، يتشكّلُ المؤمنُ المُنتظرُ بوصفه فاعلاً غير سهلِ التوجيه، وغير قابلٍ للاستهلاكِ ومحصَّناً بدرجةٍ عاليةٍ من الاختراق.

التقاليدُ العشائريةُ وتوجهاتُها المهدوية

إيمان عبد الرحمن الدشتي/ بغداد

يقولُ اللهُ (عزَّ وجلَّ) في كتابه الكريم في [الآية ١٣] من سورة الحجرات: {... وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} فيؤكدُ (سبحانه) أنَّ الجَعْلَ الإلهيَّ في تقسيم البشريةِ إلى شعوبٍ وقبائل؛ ما كانت غايتُهُ إلا التعارفُ بالأنسابِ والأعراقِ ثُمَّ التعاونِ وفقَ الثقةِ المتبادلة، بينما تبقى الطبيعةُ الإنسانيةُ هي مَنْ تجمعهم وتحتضنهم، أما التفاضلُ والتمايزُ فمعيارُهُ الإيمانُ والتقوى والعملُ بالتكليفِ الإلهيّ.

يُعتبرُ النسيجُ العشائريُّ -لا سيما في العراق- من أهمِّ الركائزِ المجتمعيةِ التي يعتمدُ عليها استقرارُ البلاد، حيثُ تُمثلُ العشيرةُ السلطةَ الثانيةَ بعد السلطةِ الوطنية، كونها تُساهمُ في تنظيمِ الحياةِ المجتمعية، وتحافظُ على التعايشِ السلميِّ بين أفرادِ المجتمع، من خلالِ إطفاءِ النائرةِ التي قد تحدثُ بسببِ النزاعاتِ والخصومات، مع تقويمٍ لسلوكِ أفرادِها حفاظاً على سُمعةِ العشيرةِ والمجتمعِ وأمنٍ واستقرارِ البلاد.

بهذا الدورِ النابعِ من مسؤوليةِ التصدي لكلِّ ما من شأنه إثارةُ العداوةِ وتفكيكُ اللُّحمةِ الوطنية؛ تُعتبرُ العشيرةُ الحُضنَ المُربّي للفردِ والأسرة، وبالخصوصِ العشائرِ التي تُراعي انتماءها الدينيَّ والعقائديّ، فما تُلزمُ به أفرادَها من أعرافٍ وسُننٍ، وبما تضعهُ من موروثٍ قيميٍّ للحدِّ من الجريمة، وحين تعارضُ انتهاكَ الحقوقِ وممارسةَ الأفعالِ المستقبحة؛ فهي بذلك تُساهمُ أيَّما مساهمةٍ في بناءِ المجتمع، وتشتركُ في تحصينه من السقوطِ في هاويةِ الانحدارِ الأخلاقيّ.

هذا الدورُ المحوريُّ للعشيرةِ يجبُ أن يتنامى، ويأخذُ حيّزاً أكبرَ في تقويةِ الجانبِ الدينيِّ لأفرادها، فجميعُ الأعرافِ والسُّننِ التي تمارسها؛ إذا لم تكُ خاضعةً للحُكمِ الشرعيِّ فهي باطلة! وتُمثلُ وجهاً من وجوهِ الظلمِ الذي أُمرنا باستنكارهِ ومقاومتهِ واستئصاله.

إذ لا يخفى علينا أنَّ هنالكَ -عند بعضِ العشائر- بعضُ الموروثاتِ غيرُ المتوافقةِ مع نَظرةِ الشرعِ المُقدّس، كالنهوة (وتعني منعُ الفتاةِ من الزواجِ من غيرِ ابنِ العمِّ أو ابنِ العشيرة) ومناصرةِ الظالم، والفصلِ اللاشرعيِّ، والاستفزازاتِ المسلّحةِ حيثُ لا يُراعى بها أمنُ وسلامةُ الناس...إلخ، وإنَّ التوقفَ عن هذه الأعرافِ الباطلةِ ضرورةٌ شرعيةٌ وأخلاقيةٌ وإنسانية، حينها تكونُ العشيرةُ نعمَ السندِ للدولة، ولمقامِ المرجعيةِ الرشيدةِ المُقوِّمةِ للشؤونِ العامةِ للبلادِ بمواقفها الأبويةِ المتواصلة.

لقد اثبتتْ العشائرُ الموالية -لا سيما- في وسطِ وجنوبِ العراقِ ولاءَها الصادقَ لأهلِ البيت (عليهم السلام) وما تركتْ مناسبةً لهم في أفراحهم وأتراحهم إلا وأحيتها بوفائها وبذلها وعطائها، واستنفارِ كاملِ إمكاناتها البشريةِ والماديةِ والمعنويةِ في خدمتهم (عليهم السلام) وفي ذلكَ عُمقٌ إيمانيٌّ واتّباعٌ جادٌّ للدعوةِ المحمديّةِ في وجوبِ التمسكِ بالعترةِ الطاهرة.

كما لن ننسى كيفَ كانَ للدورِ العشائريِّ الأصيلِ بالغُ الأثرِ في إحرازِ النصرِ على العصاباتِ التكفيرية، إبّان فتوى الجهادِ الكفائيِّ المُقدّس، ورفدها لسوحِ الوغى بالمجاهدينَ المُضحّينَ بالغالي والنفيسِ طاعةً للمرجعيةِ وصوناً للعقيدةِ والقيمِ والوطن.

ما شهدناه في الآونةِ الأخيرةِ من تزايدِ هجماتِ الانحرافِ الفكريّ، والعداءِ الناعمِ المنظمِ المُوجّهِ لمجتمعنا الموالي المحافظِ من خلالِ إقامةِ حفلاتِ الطربِ والفسقِ والمجون، وحفلاتِ التخرُّجِ الخادشةِ للحياء، والإختلاطِ المُحرَّمِ في مُناسباتٍ ومُمارساتٍ لا تمُتُّ لديننا وشعبنا بأيّةِ صلة، وكيفَ كانَ للدورِ العشائريِّ المتضامنِ مع رجالِ الدينِ والمؤمنينَ الغيارى، وقعاً في منعِ إقامةِ بعضها، وحيثُ ندركُ أنَّ أشكالَ العداءِ لنْ تتوقفَ عند هذا الحدِّ، فهنا يجبُ أن يكونَ للعشيرةِ صوتٌ تصلُ مديباتُهُ إلى كلِّ أفرادها، في التحذيرِ من هذه الممارساتِ الدخيلةِ ونبذها، وتوعيتهم بل وإلزامهم بالحجةِ المقنعةِ والمنطقِ المؤثرِ بضرورةِ التمسّكِ بالقيمِ الدينيةِ والعشائريةِ العريقة.

إنَّ عشائرَنا الأصيلةَ وبما تُمثلهُ من قيادةٍ شعبيةٍ جليلة، ومن صُلبِ التكليفِ العقائديّ، وبما أثبتتهُ من مواقفَ إيمانية، فهي تؤهّلُ المجتمعَ إلى أدوارٍ رساليةٍ آنيةٍ ومستقبلية، فاعلةً في النهوضِ بدعمِ وإسنادِ القضيةِ الأسمى والمهمةِ الأقدسِ ألا وهي القضيةُ المهدوية، وتأسيسِ قاعدةٍ جماهيريةٍ مُعبّأةٍ ومُستعدةٍ لنُصرةِ الإمامِ المهديِّ (بأبي وأمي) الذي بتنا منهُ قابَ قوسينِ أو أدنى؛ بحسبِ الموروثِ الروائيِّ عن أهلِ بيتِ العصمةِ (عليهم السلام) ومصاديقه التي باتتْ تتحققُ على أرضِ الواقع.

حيثُ أنَّ مضايفَ العشائر؛ العامرةَ بالحكمةِ والعبرةِ والقيمِ والثقافة، يمكن اتخاذها منابرَ دعوةٍ للتمهيدِ لوليِّ العصرِ وإمامِ الزمانِ الحجةِ بن الحسن (أرواحنا فداه) وذلك بالتعاونِ مع رجالاتِ الحوزةِ الدينيةِ الشريفة، ومع مَن يحملونَ فكراً انتظارياً وثقافةً مهدويةً رصينة، بوضعِ برامجَ لملتقياتٍ دوريةٍ تربويةٍ فقهيةٍ عقائديةٍ مهدوية، ودعوةِ أبناءِ العشيرةِ لأن ينهلوا من فيضها وبركاتها، كي يُعبّأوا بالمعرفةِ الفكريةِ والاستعدادِ الروحيِّ ويُهيّأوا للتمهيدِ للظهورِ المباركِ ولنصرةِ الموعودِ (عجل الله فرجه الشريف)

ختاماً نقولُها مُتيقنين بتأييدِ اللهِ (عزَّ وجلَّ) في أنَّ تظافرَ الجُهدِ العشائريِّ مع المقاماتِ الورعةِ -المرجعيةِ الرشيدةِ والفُضلاءِ المُتصدّين للقضيةِ المهدوية- سيُنتجُ مُجتمعاً عقائدياً مهدوياً لا يَقرُّ له قرار، حتى يأذنَ اللهُ (عزَّ شأنُه) لسيدِ الأرضِ وحاكمِها العادلِ (عجّل اللهُ تعالى فرجَه الشريف) بالفرجِ والنصرِ واستئصالِ شأفةِ الظالمين، إنه نعمَ المولى ونعمَ النصير.

مُمارَسَةُ التَّمهيدِ قدرَ المُستطاعِ

علي السراي/ بغداد

يعتقدُ البعضُ أنَّ مفهومَ التمهيدِ ينحصرُ في إطارِ الانضمامِ إلى جماعةٍ ما أو تنظيمٍ يمارسُ أعمالاً معيَّنةً في مجالِ الإعدادِ والتَّسريعِ لعمليةِ الظهورِ المقدَّسِ، من خلالِ إيجادِ قواعدِ النصرةِ والمُكنةِ والمنعةِ، ولا شكَّ أنّ هذا الجانبَ مهمٌّ، بل ممّا يحتاجُ إليهِ المنتظرُ في كسرِ أضلاعِ الغيبةِ الكبرى، ومن ثمَّ شروقِ شمسِ الإمامِ المنتظرِ (أرواحُنا فداه)

ولكن يبقى السؤالُ الجوهريُّ، هل يقتصرُ التمهيدُ على هذا الفهمِ وحدهُ أم أنّ له أبعاداً وأشكالاً أخرى، فرديةً وجماعيةً تؤدي الغرضَ نفسهُ؟

التمهيد بمعناه الشامل

يقيناً، للتمهيدِ معانٍ ووجوهٍ لا تُعدُّ ولا تُحصى، فكلُّ عملٍ يُرضي اللهَ (تعالى) بذاته يُعدُّ تمهيداً وانتظاراً.

فالصلاةُ في وقتها تمهيدٌ، والصيامُ، والحجُّ، والزكاةُ والجهادُ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ، وكذلك حُسنُ الخُلقِ، والكلمةُ الطيبةُ، والرحمةُ، والعطفُ وإغاثةُ الملهوفِ، وحُسنُ الجوارِ، والتوقيرُ، واحترامُ الوقتِ والعملِ، وحسنُ التبعلِ، والشرفُ، والغيرةُ، وطاعةُ الزوجِ، وطاعةُ الوالدينِ، والعفةُ، والطهارةُ، والحياءُ، وتنظيمُ الأمورِ، والجهرُ بالحقِّ، ومحاربةُ الباطلِ والفسادِ، وإقامةُ العدلِ، والدفاعُ عن المظلومِ، والالتزامُ بالوعدِ والموعدِ، وطاعةُ وليِّ الأمرِ الصالحِ، والدفاعُ عن بيضةِ التشيّعِ، بل إنّ منظومةَ الأخلاقِ الإسلاميةِ بأكملها والالتزامَ بالمفاهيمِ الإيمانيةِ كلُّها روافدُ تصبُّ في خانةِ التمهيدِ والانتظارِ.

التمهيد في السلوك والعمل

أنْ تكونَ حُرّاً أبيّاً، حُسينيّاً في المبدأ والعملِ والنَّهجِ القويمِ، فهذا تمهيدٌ.

وأنْ تكونَ قائداً في عملك، أو حيِّك أو محافظتِك، ومدافعاً عن الحقِّ، فهو تمهيدٌ.

وأنْ تُحرزَ أعلى مراتبِ العلمِ، وتَحُوزَ أعلى الشهاداتِ في مختلفِ المجالاتِ، فهو تمهيدٌ.

وأنْ تتقنَ عملَك وتُؤدّي واجباتك على أكملِ وجهٍ، فهو تمهيدٌ.

وأنْ تُربّي أبناءك تربيةً إسلاميةً صحيحةً، تغرِّسُ فيهم مبادئَ الحسينِ (عليه السلام) ومدرسةَ عاشوراء، فهو تمهيدٌ.

وكلُّ ما ذُكرَ إنّما هو صورٌ متعددةٌ من الانتظارِ العمليِّ الجادِّ، تمهيداً للإمامِ (روحي فداه) ودولتِه المباركةِ.

التمهيد في المرحلة الراهنة

في واقعنا المعاصرِ، تُعَدُّ مرحلةُ إيقاظِ الأمةِ من سباتِها من أهمِّ مراحلِ التمهيدِ وأكثرِها إلحاحاً، ويتجسَّدُ ذلك في نشرِ الوعيِ المهدويِّ بينَ أبناءِ الأمةِ، والنزولِ إلى الميدانِ، ومسكِ زمامِ الأمورِ، وإدارتِها بصورةٍ صحيحةٍ بهدفِ إيجادِ قواعدَ النصرةِ للإمامِ، عبرَ بناءِ أسبابِ القوةِ والمُكنةِ والمنعةِ، وهذا كلّهُ لا يتحقَّقُ إلا بالتحرُّكِ على أرضِ الواقعِ، لا بالاكتفاءِ بالشعاراتِ أو الانتظارِ السلبيِّ.

الوعي بالواقع العالمي

إنّ العالمَ اليومَ يمرُّ بمنعطفاتٍ ومخاضاتٍ عسيرةٍ وأحداثٍ مفصليةٍ مصيريةٍ بل وجوديَّةٍ.

ومن هنا تبرزُ مسؤوليتُنا كأمَّةٍ تنتظرُ إمامَها، أنْ نعي هذه الأحداثَ ونواكبَها ونراقبَها بل ونشارك في صنعها لا أنْ نبقى متفرِّجين وكأنّ الأمرَ لا يعنينا، فالحقيقةُ أنّ ما يجري في العالمِ اليومَ يدخلُ في صُلبِ قضيتِنا ويندرجُ ضمنَ إطارِ الوَعدِ الإلهيِّ المحتومِ.

الاستعداد لعالمٍ جديد

الأرضُ بأسرِها تستعدُّ لولادةِ عالمٍ جديدٍ، عالمٍ خالٍ من الظلمِ والطغيانِ، وما يجريُ في أوروبا وألغربِ شاهدٌ على مكرِ اللهِ المُحيطِ بالجميعِ، حيثُ سيكونُ تتبيرُهم في تدبيرِهم مهما خطّطوا ودبّروا ونفذوافالوعدُ الإلهيُّ نافذٌ فيهم لامحالةَ.

وللأسفِ معَ كلِّ مايجري من أحداثٍ عالميةٍ، ما زلنا

نقفُ على عتباتِ مسرحِ التمهيدِ ولم نقطعْ ذلك الشوطَ الكبيرَ في هذا المضمارِ، فمتى نكونُ على قدرِ ومستوى تلك المسؤوليةِ الإلهيةِ العظيمةِ التي تطاولتْ أعناقُنا لحملها؟

المسؤولية الفردية والجماعية

إذاً. على كلِّ شيعي يوالي عليّاً (عليه السلام) أنْ يتحمّلَ مسؤوليةَ التمهيدِ كلٌّ بحسبِ طاقتِه وقدرتِه، الأبُ، والأمُّ والأستاذُ، والطالبُ، والموظفُ، والعاملُ، وكلُّ مَنْ يحملُ همَّ الانتظارِ.

وتقعُ على عاتقِنا مسؤوليةُ إيصالِ فكرةِ ومشروعِ التمهيدِ والانتظارِ إلى الجميعِ، واستثمارِ كلِّ فكرةٍ ووسيلةٍ ومحفلٍ وفرصةٍ تخدمُ هذا الطريقَ.

وسائلُ التمهيدِ ونشرُ الوعي

نمتلكُ اليومَ وسائلَ متعددةً في مقدمتِها الشارعُ والإعلامُ بكلِّ تشعباتِه ومسمياتِه، ففي الشارعِ يجبُ التحركُ بما يعزّزُ الاستقطابَ الواعي، ويُقرّبُ الناسَ من المشروعِ المهدويِّ، ويعرّفُهم بأهدافِه ومضامينِه، أمّا الإعلامُ فينبغي استثمارُهُ لإيصالِ الأفكارِ والمفاهيمِ المهدويةِ بكلِّ أبعادِها، فالأمةُ عطشى لمثلِ هذه المعارفِ.

إنّ أمتنا بحاجةٍ إلى مَنْ يبثُّ في مفاصلِها الوعيَّ والفكرَ المهدويَّ بالكلمةِ والفكرةِ المسؤولةِ.

ساحاتُ العملِ المتاحة

لدينا الجامعاتُ والهيئاتُ بمختلفِ أنواعِها، والمساجدُ والحسينياتُ والشارعُ بأكملِه.

قطعاً، سنمتلكُ القدرةَ والقابليةَ على التحركِ متى ما شئنا ودون عوائقَ حقيقيةٍ أو ضغوطٍ قاهرةٍ، إنْ توفرت الإرادةُ والوعيُ الحقيقيُّ.

التعبئةُ الاستراتيجيةُ للوعي المهدوي

إنّ التعبئةَ الاستراتيجيةَ المنشودةَ لترسيخِ الوعيِ المهدويِّ بين أبناءِ الأمةِ تتطلبُ تظافرَ جميعِ الجهودِ والإمكاناتِ وتحملَ المسؤوليةِ من قبلِ الفردِ والجماعةِ معاً.

ويقعُ الدورُ الأكبرُ على الإعلامِ والمؤسساتِ والهيئاتِ الإسلاميةِ في توعيةِ الأمةِ ورسمِ خارطةِ الطريقِ المهدويِّ، للمضيِّ قدماً في مشروعِ التمهيدِ والانتظارِ عبرَ إيجادِ السُبلِ الكفيلةِ لإحياءِ هذا الأمرِ وتحويلِه إلى واقعٍ ملموسٍ.

والغايةُ هي أنْ تصلَ الأمةُ إلى درجةٍ تستشعرُ فيها وجودَ قائدِها المُغيَّبِ وكأنَّهُ حاضرٌ بينها، فتغدو الغيبةُ كالمشاهدةِ، وحينها يتحققُ الاستعدادُ الحقيقيُّ للنصرةِ والدفاعِ.

فالوعيُ المهدويُّ مقروناً بالاستعدادِ العسكريِّ والنفسيِّ والروحيِّ والمجتمعيِّ، عاملٌ يُسهمُ في كسرِ أضلاعِ الغيبةِ، ويُعجّلُ بظهورِ وعدِ اللهِ الصادقِ (أرواحنا لهُ الفداء) وأخيراً نقولُ: إنَّ على كلِّ مَنْ ينتمي إلى مشروعِ الانتظارِ ألّا ينتظرَ توجيهاً أو إذناً من أحدٍ، بل عليه أنْ يمارسَ التمهيدَ بما يمتلكُهُ من طاقةٍ، وعلمٍ، ومعرفةٍ، وإخلاصٍ لهذا المشروعِ الإلهيِّ العظيمِ.

وليكنْ كلُّ واحدٍ منا عنصراً وقّاداً وقائداً فاعلاً في أيِّ حيّزٍ يُتاحُ لهُ فردياً كانَ أو جماعيّاً، فمسؤوليتنا الكبرى هي إيقاظُ الأمةِ وتعريفُها بقائدِها المُنتظَرِ (أرواحنا له الفداء) لتتهيأَ وتستعدَّ لذلك اليوم الذي نعيشُ إرهاصاته.

مارسِ التمهيدَ قدرَ المُستطاعِ، فالحرفُ الهادفُ والكلمةُ المهدويةُ الواعيةُ اليومَ هي سلاحُك، فتتكبّ هذا السلاح وانزلْ للميدانِ، عسى اللهُ (تعالى) أنْ يهدي على يديك إنساناً كانَ يبحثُ عن مَنْ يرشدهُ، ويضبطُ بوصلته باتجاهِ إمامِه المُنتظَرِ.

القلمُ المهدويُّ

زهراء أحمد جرادي / لبنان

كانت الكتابةُ وعلى مرِّ العصور والأزمان الأداةَ الأساسيةَ التي عبَّرَ فيها الإنسانُ عن ذاته وعلومه وأفكاره ما جعلها خالدةً متوارثةً عبر الأجيال، فكانت جسرَ الوصل بين اللغة والفكر والمشاعر والمعرفة منذُ فجر التاريخ، حينَ خطَّ الإنسانُ حروفَهُ ورموزَهُ الأولى بأدواته البدائية والبسيطة حتى عصرنا الحاليِّ بكافة وسائله الحديثة والمتطورة.

كان لنقل كلِّ هذه الممتلكات الفكرية والعلمية دورٌ كبيرٌ وفعّالٌ في تطوير وعي الشعوب وتنظيم تحرّكاتهم ورسم قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وثوراتهم حتى، ولم تكن الكتابةُ يوماً مجرّدَ اصطفاف لكلمات وكفى، بل كانت بماضيها ومُستقبلها فعلاً واعياً يتطلّبُ الفهمَ العميقَ للأفكار المُتبنّاة، والقضايا المطروحة والقوانين المُصاغة، وصدقاً في التعبير حتى تمتلكَ القدرةَ الكاملةَ على مخاطبة العقول والقلوب في آنٍ واحد معاً.

وبما أنّ الكتابةَ تعبّرُ عن هوية وثقافة مؤلّفها، وعُمق تجاربه، وعن بصمته الخاصة التي ستُخلدُ عبرَ المُتلقّين والمُتفاعلين، فستبقى الأداةَ الأساسيةَ في بناء الفرد والمجتمع.

وممّا لا يمكنُ إخفاؤهُ اليومَ وفي ظلّ الظروف الراهنة الحاجةَ الماسّةَ لكُتّاب، يبلورونَ بأقلامهم وبأفكارهم تنظيمَ وترتيبَ وتسليطَ الضوء على أهمِّ القضايا المصيرية التي تحرّكُ الأمّةَ بالاتّجاه الصحيح، وممّا لا شكَّ فيه إنَّ القضيةَ المهدويّةَ اليومَ، هي من أهمِّ القضايا التي يجبُ أن تكونَ مطروحةً في الساحة الفكرية والعملية، نظراً لما تنطوي عليه من تحدّيات وصراعات، وما يلفُّها ويحاوطها من شبهات وفتن.

ومن هُنا نطرحُ الإشكاليةَ التّاليةَ: ما هو دورُ القلم المهدويِّ في زماننا الحاضر؟ وكيفَ يُمكنُ تحفيزُه وتطويرُهُ بما يتناسبُ مع مرحلة التّحدّيات الرّاهنة؟

ممّا لا شكَّ فيه، أنّ العالمَ بأكمله اليومَ يتدحرجُ نحو كمٍّ هائل من الأحداث المُتسارعة والمُتطوّرة التي تجعلُ كُلَّ الشعوب في صراع حضاريٍّ سياسيٍّ، اقتصاديٍّ، اجتماعيٍّ وحتى فكريٍّ، وأنّ الصّراعَ بين الحقِّ والباطل هو القضيّةُ الّتي تتصدّرُ المشهدَ، وبين كلِّ هذه التّجاذبات يقفُ المُنتظرُ الحقيقيُّ أمامَ معركة الحفاظ على دينه وثواباته المُتمثّلة بالوجود المُبارك، وما يستتبعُها من إظهار الحقِّ بعد الفساد العارم والمُستشري في الأرض في زمن الغيبة.

وهنا يأتي دورُ أهمية أنْ يكونَ هناك فئةٌ قادرةٌ على نقل الوقائع الصحيحة وشدِّ انتباه الأمة بطريقة متتالية، والتذكير الدائم بالإمام المُغيب الذي سيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدما مُلئتْ ظلماً وجوراً.

ولعلَّ المشكلةَ الأبرزَ التي تواجهُنا ليست في قلّة عدد الكُتّاب والمفكّرين المهدويّين، بل في كيفيّة إيصال صوتهم وتنظيم عملهم حتّى يصبحَ مؤثّراً بطريقة فعّالة، وتسليط الضوء على إنتاجهم الفكريِّ الذي يخدمُ القضيّةَ في زمن أصبحتَ فيه القراءةُ ثقيلةً على قلوب عددٍ كبيرٍ من النّاس، بسبب تأثير مواقع التواصل على حياتهم، بسهولتها وجذبها لانتباههم بمغرياتها التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

وهنا يجبُ أنْ تتوحَّدَ الجهودُ لتُقدَّمَ هذه الكتابات بطُرق عصريَّة مُشجّعة للقُرّاء، وفي نفس الوقت يكونُ فيه القلمُ بخدمة القضيَّة، وهنا يأتي دورُ المجلّات والصّفحات والمواقع والمُنتديات الإلكترونيَّة في تنظيم هذا العمل، بحيث تستقطبُ الجيشَ الإلكترونيَّ المُناسبَ لهذا النّوع من المعلومات، وتجمعُ بينهم ما يُساهمُ في سهولة رقعة انتشارها، بحيث تستقطبُ مع الوقت الفئات الرّماديَّةَ المُتأرجحةَ بين بياض وسواد، وتشدُّ اهتمامَهم نحو الغاية المنشودة.

بالإضافة إلى تنظيم دورات تعليمية خاصة، لتخريج كُتّاب جُدُد في طور النموِّ يحتاجونَ دعماً إضافيّاً لصقل مواهبهم وتنميتها، وتسليط الضوء على العناوين الضروريَّة واللّازمة في هذا المجال، للكتابة عنها بتوجيه من متخصصين وأصحاب خبرة وفكر وتجربة، كما يجبُ تشجيعُ الفئات الشابة تحديداً على الكتابة المهدويّة، نظراً لما لهم من دورٍ فعالٍ في التأثير على مَنْ في مثل أعمارهم.

كما ويجبُ أنْ يكونَ هناك لقاءاتٌ فعليةٌ على قَدرِ الإمكان، بحيث يمكنُ من خلالها تبادلُ الخبرات وتنميةُ المهارات والأساليب الكتابية، ومع مرور الوقت سيتحولُ هذا العملُ إلى ثورة مهدويّة بكُلِّ المقاييس، وإلى منبر وصرح ينيرُ دروبَ السائرين المتعطشين للمعرفة، ومحطة انتظار ومساحة جامعة تتسعُ لتتخطى حدودَ الفئة الضيقة والشعب والوطن الواحد، ولتجذبَ أنظارَ الكُتّاب والقُرّاء من كُلِّ أنحاء العالم، تماماً كمجلّة الانتظار ومجلّة المُنتظرة، كمَثَلٍ صارخٍ على ما نقول.

هل يمكنُ للذكاءِ الاصطناعيِّ أن يكون جنديًا في جيشِ الإمامِ المهديِّ؟

محمد المناذري/ النجف الأشرف

في خضمِّ الثورةِ التكنولوجيةِ التي يشهدُها عصرُنا، يطفو على السطحِ سؤالٌ مصيريٌّ ومهمٌّ وهو: هل يمكنُ للذكاءِ الاصطناعيِّ أنْ ينضمَّ إلى صفوفِ جيشِ الإمامِ المهديِّ؟ هذا السؤالُ يحملُ في طيّاتِه إشكاليةً عميقةً تتعلّقُ بطبيعةِ التقنيةِ ودورِها في المشروعِ الإلهيِّ الكبيرِ.

التقنيةُ في جوهرِها محايدةٌ كالسكينِ التي قد تُستخدمُ في تقطيعِ الفاكهةِ أو في ارتكابِ الجريمةِ، فالذكاءُ الاصطناعيُّ بكلِّ تعقيداتِه ليس سوى مرآةٍ تعكسُ نوايا مستخدميه، حيثُ إنّهُ أداةٌ عظيمةُ الفعاليّةِ في تحليلِ البياناتِ وتنظيمِ المعلوماتِ واتخاذِ القراراتِ السريعةِ لكنّهُ يظلُّ عاجزاً عن استيعابِ المعاني الروحيّةِ العميقةِ التي تُشكّلُ جوهرَ الانتظارِ الحقيقيِّ.

ففي الجانبِ الطبيِّ، يمكنُ توظيفُهُ من خلالِ التشخيصِ المُبكّرِ والتنبّؤِ بالأمراضِ، وكيفيةِ إيجادِ الحلولِ الدقيقةِ لها، بل والعملِ على إنتاجِ الدواءِ المناسبِ لها، كما يلعبُ الذكاءُ الاصطناعيُّ دوراً مهمّاً في هذا المجالِ لتميزه بعاملِ السرعةِ، التي يمكنُ من خلالها قطعُ الطريقِ أمامَ الفيروساتِ المعقّدةِ والتي تنتشرُ بسرعةٍ.

أمّا في الجانبِ القانونيِّ، فيُمكنُ توظيفُه لمكافحةِ الفسادِ الإداريِّ وتطويرِ أنظمةِ العقودِ الذكيةِ.

في الجانبِ الهندسيِّ، فيمكنُ توظيفُهُ في بناءِ المدنِ الذكيةِ التي تُدارُ بموردٍ مستدامٍ يُمكنُ من خلالها توفيرُ السكنِ للجميعِ، أيضاً يُمكنُ إنهاءُ أزمةِ الجفافِ ونقصِ الطاقةِ التي تعاني منها البلدانُ، بتشكيلِ شبكاتٍ ذكيةٍ تقومُ بتوزيعِ هذهِ الموارد بشكلٍ مُنتظمٍ وعادلٍ، وضمانِ وصولِها إلى كلِّ بيتٍ بلا انقطاعٍ، كذلك يمكنُ التنبُّؤُ بوقوعِ الكوارثِ من خلالِ إيجادِ حساساتٍ مرتبطةٍ بالذكاءِ الاصطناعيِّ، تتنبّأُ بنقاطِ الضعفِ لإصلاحِها قبلَ وقوعِ الكارثةِ.

وهذهِ أمثلةٌ بسيطةٌ في توظيفِ هذهِ التقنيةِ وهذا العلمِ، علمِ الذكاءِ الاصطناعيِّ، تحتاجُ فقط إلى استثمارٍ صحيحٍ، لإيجادِ حضارةٍ عالميةٍ عادلةٍ.

كما يمكنُ أنْ يدخلَ الذكاءُ الاصطناعيُّ في سياقِ المشروعِ المهدويِّ، حيثُ يستطيعُ أنْ يلعبَ أدواراً مساعدةً عديدةً، فقدْ يكونَ أداةً فعّالةً في إدارةِ الموارد وتوزيعِها بشكلٍ عادلٍ، أو في مواجهةِ حملاتِ التشويهِ الإعلاميِّ عبرَ كشفِ الزيفِ وتحليلِ الأنماطِ، كما يمكنُهُ أنْ يُسهمَ في نشرِ المعرفةِ المهدويةِ على نطاقٍ واسعٍ، أو في تطويرِ حلولٍ تقنيةٍ لمشكلاتِ المجتمعاتِ المسلمةِ.

فعلى سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، يمكنُ استخدامُهُ وتوظيفُهُ في عدةِ جوانبَ منها الجانبِ الإعلاميِّ من خلالِ إنتاجِ محتوىً بصريٍّ وسينمائيٍّ وأيضاً المحتوى القصيرِ أو ما يُسمّى بالريلز، بالإضافةِ إلى صياغةِ الأفكارِ الإبداعيةِ للمحتوى المهدويِّ.

وعلينا أن لا ننسى، أنّهُ يمكنُ من خلالِ الذكاءِ الاصطناعيِّ ترجمةُ المحتوى ونقلُهُ للعالميةِ، أيضاً يُمكن تحليلُ الخوارزمياتِ وصيدُ الشبهاتِ المثارةِ، للردِّ عليها بالحججِ الرصينةِ.

لكنّنا يجبُ أنْ ننتبهَ إلى أنَّ الجنديةَ الحقيقيةَ في هذا الجيشِ المقدّسِ تتطلّبُ ما لا تملكهُ الآلاتُ: إيماناً راسخاً، ووعياً عميقاً، وإرادةً حرةً

فالتقنيةُ قد تكونُ عاملاً مساعداً، لكنّها لن تحلَّ أبداً محلَّ القلبِ المؤمنِ والعقلِ الواعي، فالانتظارُ الفاعلُ ليسَ مجردَ أمنيةٍ، بل هو عملٌ دؤوبٌ وإعدادٌ متواصلٌ، وهنا يأتي دورُ التقنيةِ

دؤوبٌ وإعدادٌ متواصلٌ، وهنا يأتي دورُ التقنيةِ كوسيلة لتعزيز هذا الإعداد.

التحدّي الأكبرُ الذي نواجههُ ليسَ تقنياً بل أخلاقياً وقيمياً، فكيفَ نضمنُ أن تظلَّ هذهِ التقنياتُ في خدمة القيم الإنسانية النبيلة؟ وكيفَ نُربّي أجيالاً قادرةً على توظيفِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في خدمة الحقِّ والعدل؟

هذه الأسئلةُ تحتاجُ إلى إجاباتٍ واضحةٍ، قبل أنْ ننخرطَ في استخدام هذهِ التقنيات.

خُلاصةُ القول، يبقى الإنسانُ هو المحور الأساسيّ في هذا المشروع الحضاريِّ الكبيرِ والذكاء الاصطناعيّ قد يكونُ عاملاً مساعداً لكنَّ الجنديَّ الحقيقيَّ هو ذلك المؤمن الذي يملأ قلبَهُ اليقين وعقلَهُ الحكمة، فالتقنيةُ يمكنُها أن تُسرِّعَ الخُطى، لكنّها لا تستطيعُ أنْ تحلَّ محلَّ الروحِ الإيمانيَّةِ التي تُشكِّلُ عمادَ هذا الجيشِ المباركَ.

فإنَّ عمليةَ توظيفِ هذهِ التقنية في التمهيد لحضارةِ العدلِ الإلهيِّ ودولةِ الإمام المهديِّ (عجَّل اللّه فرجه) هو تحصيل حاصل لمتطلباتِ هذه المرحلة، لإعداد بيئة متناسبة ومتناسقة تُهيِّئُ الأرضيةَ للظهورِ المباركِ لوليِّ اللّه الأعظمِ فيمكنُ أنْ يلعبَ الذكاءُ الاصطناعيُّ دوراً في عمليةِ التمهيد هذه، من خلالِ ما تقدَّمَ ذكرُهُ من أمثلةِ التوظيفاتِ في المجالاتِ آنفاً، ومن خلالِ هذا التوظيفِ يمكنُ بناءُ قوة تكونُ أساساً ومنطلقاً يعتمدُ عليها الإمامُ المهديُّ (عليه السلام) في انطلاقةِ المسارِ التاريخيِّ الجديد، وكلّ ذلك يعتمدُ على البيئةِ التي ستوظَّفُ هذه التقنية لهذا المشروعِ المباركِ.

الشَّبابُ والثَّقافةُ المهدويّة

عَدَّ الإسلامُ العزيزُ فترةَ الشَّباب مرحلةً أساسيّةً للاستعداد لتلقّي المعارفِ والمعنويّات، كما قالَ إمامُ المتّقين (عليه السلام): (إنّما قلبُ الحدث كالأرضِ الخالية، ما ألقيَ فيها من شيءٍ قبلته)[١] وذلك لأنّ مرحلةَ الشَّبابِ مرحلةُ تأسيس، ولذا نرى الشَّبابَ الأسرعَ إلى تقبّل الخيراتِ والأعمال. فعن مولانا صادقِ الحقائق (عليه السلام) قالَ لأبي جعفر الأحول:(أتيتَ البصرة؟ قال: نعم، قال (عليه السلام): كيف رأيتَ مسارعةَ الناس إلى هذا الأمر ودخولَهم فيه؟ قال: واللّه إنّهم لقليل، ولقد فعلوا، وإنّ ذلك لقليل، فقال عليه السلام: عليكَ بالأحداث، فإنّهم أسرعُ إلى كلّ خير)[٢]

ويظهرُ من سياقِ الحديث أنّ أبا جعفر ذهب لتبليغ أمرِ العترةِ الطاهرة، فلم تحصل الاستجابةُ من عامّةِ الناس، ولذا أشارَ مولانا (عليه السلام) إلى التوجّه نحو الشَّباب، لأنّهم الأسرعُ إلى كلّ خير. ومن هنا لا بدّ لنا من معرفة مكانة شبابنا، ولا سيّما شبابِ الغيبةِ الكبرى، لأنّهم الشَّرارةُ الأولى لحركةِ التمهيدِ المهدويّ. وقد ورد أنّ أغلبَ أنصارِ بقيّةِ اللّه الأعظم من الشَّباب، فعن مولانا المرتضى (عليه السلام) قالَ: (إنّ أصحابَ القائم شَبابٌ لا كُهولَ فيهم، إلّا كالكحلِ في العين أو كالملحِ في الزاد)[٣] وذلك لكونهم الأكثرَ حضوراً اجتماعيّاً، ولما يحملون من قوّة وطاقة. فإذا تسلّحَ الشَّابُّ بالمعرفة والإيمان، رأيتَه يتوهّجُ عاطفيّاً بالثقافة المهدويّة، ويتعطّشُ للقاءِ الوليّ الغائب: (بنفسي أنتَ أمنيّةُ شائقٍ يتمنّى، من مؤمنٍ ومؤمنةٍ ذكرا فحَنّا)[٤]

لكنّ هذا اللقاءَ لا يتحقّقُ إلّا بالتطهيرِ من الذنوب، فعن مولانا الحجّة (عليه السلام) قال: (فما يحبسُنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم)[٥]

فالمعاصي والذنوبُ تُؤذي الوليّ وتُؤلمه، ولكي نكونَ أهلاً للقاءِ حجّةِ الزمان، لا بدّ أن نعملَ بالطاعاتِ ونتّصفَ بصفاتِ الصالحين، فعن مولانا سيّدِ الموحّدين (عليه السلام) قال في صفةِ أنصارِ القائم (عليه السلام): (لهم أصواتٌ كأصواتِ الثواكل من خَشيةِ اللّه، قيامُ ليلهم، وصوّامٌ في نهارهم، كأنّهم من أب واحد)[٦]

ومن صفاتهم الشَّجاعةُ وقوّةُ اليقين، فعن مولانا الصادق (عليه السلام) قال: (رجالٌ كأنّ قلوبَهم زُبَرُ الحديد، لا يشوبُها شكٌّ في ذاتِ اللّه أشدُّ من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها يَحفّون به ويقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد منهم)[٧]

لا تهمّهم أنفسُهم، وإنّما يهمّهم سلامةُ إمامهم، لذا تراهم يُحيطون به، وإن أدّى ذلك إلى تضحيتهم، ولذلك ورد في الحديث: (أطوعُ له من الأمَة لسيّدها)[٨]

فإذا توفّرت هذهِ الشروطُ وغيرها، كان الشَّابُّ مصداقاً لقولِ إمامه الصادق (عليه السلام): (بينما شَبابُ الشيعة على ظهورِ سطوحهم نيام، إذ توافَوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غيرِ ميعاد، فيصبحون بمكّة)[٩] ولا سيّما شبابُ العراق، فهم الأولى بالاستعداد، لأنّ العراقَ عاصمةُ الدولةِ المهدويّة.

المصادر:

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص٥٦

(٢) الكافي، ج٨، ص٩٣

(٣) غيبة الشيخ النعماني، ص٣١٥

(٤) المزار، ص٥٨١

(٥) الإحتجاج، ج٢، ص٣٢٥

(٦) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٧

(٧) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٧

(٨) بحار الأنوار، ج٥٢، ص٣٠٧

(٩) غيبة الشيخ النعماني، ص٣٣٠

السيد حسن الياسري/ الديوانية

المُنتظِـــرون والحضـــارةُ الماديّـــةُ

سجاد الموسوي/ البصرة

أنّ الحضارةَ الماديّةَ اليومَ غزت كُلَّ العالمِ، حتى أصبحَ الكثيرُ من الناسِ يتعاملون مع بعضهم البعضِ على أساسِ المادة، لا على أساسِ الوعي والفكرِ وما يمتلكُ من محتوى.

فأصبحت اليومَ جزءاً لا يتجزأ من واقعنا المُعاصرِ والمستقبليِّ، وأضحت المعاملاتُ تعتمدُ على ما يمتلكُ الإنسانُ من مالٍ وقوةٍ ونفوذ... إلخ، فهذه الحضارةُ هي التي أريدَ لها أن تكونَ بديلاً عن الدينِ والقيمِ والثوابتِ والعقيدة لدى البشريةِ، حيث أنّ الاستكبارَ العالميَّ يسعى حثيثاً إلى أن يكونَ التعاملُ وفقَ هذه الحضارةِ، فلا ثوابتَ لدى الإنسان إنّما كلُّ شيءٍ متغيرٌ، وأيّ شيءٍ يُعجبكَ أفعله مهما كانت النتيجةُ.

بالتالي، هذا يعني إخراج الإنسانِ من محتواه الدينيِّ والعقائديِّ والأخلاقيِّ والإنسانيِّ، ليتحولَ إلى مجردِ أداةٍ ليس لديها شيءٌ من ذلك، وما نراه اليومَ أمامَنا أصبحَ واضحاً وجليّاً، فنحن نرى اليومَ المجتمعاتِ المتقدمةَ -كما يروقُ للبعضِ أن يُسميها- أصبحت مجتمعاتٍ خاليةً من الدينِ والإنسانيةِ والرحمةِ، حيث تعتبرُ الإنسانَ مجردَ أداةٍ أو آلةٍ لديها.

وهذا ما يحاولُ العدوُّ فعله، أن يُصدّرَ هذه الثقافةَ إلى مجتمعاتنا الإسلاميةِ، وهو أمرٌ في غايةِ الخطورةِ، ويجبُ أن يدقَّ ناقوسُ الخطرِ لدينا لمواجهةِ هذه الحربِ المادية والثقافية.

وفي ظلِّ هذا التطورِ السريعِ والهائلِ، دخلَ لنا ما يُسمّى بالذكاءِ الاصطناعيِّ، الذي أصبحَ يقودُ حياةَ الإنسانِ بدلاً من أنْ يقودَ الإنسانُ نفسهُ، فأصبحَ يشاورُ الذكاءَ في كلِّ أمرٍ يريدُ أن يفعلَهُ ويعملَهُ، بل يجعلُهُ يفكرُ بدلاً عنهُ.

ومن مخاطرِ هذا الذكاء: أنّهُ أصبحَ يأخذُ دورَ الإنسانِ في العملِ والتربيةِ، وما إلى ذلكَ من الأمورِ التي يجبُ أن يفعلها الشخصُ بنفسه.

لكنّ السؤالَ الأهمَّ، بعدَ كلِّ الذي تقدَّمَ من خطورةِ الحضارةِ الماديَّة، نحنُ اليومَ كمجتمعٍ إسلاميٍّ، كيفَ يمكنُ أن نستفيدَ من هذه الحضارةِ؟ الجوابُ -بلا شك- يمكنُ الاستفادةُ من هذه الحضارةِ الماديَّةِ بالمقدارِ الذي لا يؤثرُ على شخوصنا وتديُّننا ووعينا وحياتنا، حيثُ يمكنُ استخدامُ أدواتِ هذه الحضارةِ من قبيلِ المالِ والنفوذِ والقوّةِ والتطوّرِ في خدمةِ المشروعِ الإسلاميِّ، وبالخصوصِ مشروعِ دولةِ العدلِ الإلهيِّ وقضيةِ الإمامِ المهديِّ المُنتظرِ (أرواحنا وأرواح العالمَين لتراب مقدمه الفداء)

وخيرُ شاهدٍ على ذلك، ما قامت به الجمهوريّةُ الإسلاميّةُ الإيرانيّةُ المظفّرةُ لخدمةِ الإسلامِ والتمهيدِ لمولانا صاحبِ الزمانِ (عليهِ السلام) حيثُ استخدمتْ وسائلَ الحضارةِ الماديّةِ بأفضلِ صورة.

وعليهِ فإنَّ المُنتظرينَ لصاحبِ الزمانِ (عجل الله فرجه) عليهم أنْ لا يسقطوا في فخِّ هذه الحضارة، بلْ يستفيدوا منها أقصى استفادة في خدمةِ القضيّةِ المهدويّة، كاستخدامِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في تطويرِ العملِ المهدويِّ والارتقاءِ به، وكما يمكنُ أنْ تكونَ هذه الحضارةُ سلاحاً عكسيّاً يُجابه بهِ المُنتظرونَ العدوَّ.

ولا بدَّ من الإشارةِ، إلى أنَّ العالمَ اليوم أصبح يستشعرُ خطرَ هذه الحضارة، وفي نهايةِ المطافِ سوف يبحثُ عن البديلِ والمُخلّص من هذا المأزقِ الذي وقع فيه، فيأتي هنا دورُ المُخلّصِ الموعودِ، صاحبِ الزمانِ (روحي فداه) لينهي الظلمَ والجورَ الناتج من آثارِ هذه الحضارةِ التي لوّثت فطرةَ البشرية.

ففي عصرِ الظهورِ الشريفِ، سيكونُ التطورُ على قدمٍ وساقٍ، فلقد حدّثتنا الرواياتُ المُعتبرة على أنَّ الإمامَ المهدي (بأبي وأمي) سيأتي بخمسةٍ وعشرينَ حرفاً من العلمِ، فعن أبي عبدالله (عليه السّلام) قال: (العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرُسل حرفان، فلم يعرَف الناسُ حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا، أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً)[مختصر بصائر الدرجات ص١١٧]

ومع إنَّ البشريةَ وماتشهده اليومَ من تطورٍ علميٍّ وتكنلوجيٍّ هائلٍ في كل المجالات، إلاّ أنها لا تمتلكُ سوى حرفين من العلم، فلك عزيزي القارئ أن تطلق عنانَ خيالك، لتتخيل حجم التطور في زمن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وفي كل المجالات، عندما يأتي بخمسة وعشرين حرفاً من العلم ليضمها للحرفين ليصبحَ العلمُ سبعة وعشرين حرفاً.

لكنّ التطورَ المهدويّ ليس كتطورِ الاستكبارِ العالمي الذي سيُفرغُ الإنسانَ من محتواهُ، بل هو منسجمٌ تماماً مع الدينِ والعقيدةِ والإنسانيةِ ورحمةِ الإنسانِ.

الأسئلة والأجوبة المهدوية

اعداد: مجاميع منتظرون ومنتظرات الحوار المهدوي

السؤال: هل ما يجري الآنَ من معارك بين قوات الجولانيّ وبين قوات قسد في حلب والرقة ودير الزور وعموم شرق سوريا، هو نفسُ ما أشيرَ إليه في روايات أهل البيت (عليهم السلام) بشأن قرقيسياء الأولى، أم أنّ الوقتَ لا زال مبكراً على هذه الأحداث؟ مع العلم، يجول حديثٌ بين الكثيرين في إسقاط هذه الأحداث على ما ورد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) بشأن قرقيسياء.

الجواب: عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قال لي أبو جعفر الباقر (عليه السلام): (إنّ لولد العباس والمروانيّ لوقعة بقرقيسياء يشيب فيها الغلامُ الحزوَرُ، ويرفعُ الله عنهم النصرَ، ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض: أشبعي من لحومَ الجبارين، ثم يخرج السفياني)[غيبة النعماني: ٣١٣-٣١٤ بـ١٨ ح١٢]

هذه الرواية هي المتعلقة بقرقيسياء الأولى، ومحدّداتها التي تعيننا على التمييز بين ما ذكره أهل البيت (عليهم السلام) وبين ما يعترضنا من أحداث في المنطقة هي كالتالي:

المحدد الأول: الأطراف المتقاتلة هي ولدُ العباس، وهم في تشخيصنا الذين يشابهونهم في الراية والشعار والدثار، ناهيك عن المشابهة في موقفهم المناهض لأهل البيت (عليهم السلام) فالعباسيون عُرفوا أول ما عُرفوا بكونهم مسوّدة، أيّ أنّ لباسهم وعمائمهم وشعارهم ورايَاتهم كان اللونَ الأسود، ولا يُشابههم في عصرنا هذا إلا الحركاتُ التي أنتجها تنظيمُ القاعدة وما تفرّخ عنه.

أمّا المرواني، فهو نسبة لبني مروان الكورد الذين حكموا المنطقةَ الشمالية والشمالية الشرقية من سوريا والشمالية الغربية من العراق وجنوب تركيا، وذلك في أواخر الألفية الأولى الهجرية وأوائل الألفية الثانية (٩٩٠ـ١٠٦٩) ويُعزى اسمُها إلى حاكمها الحسن بن مروان وسُلالته، وكانت عاصمتهم في ميافارقين. وبطبيعة الحال، يشترك معهم حلفاؤهم في هذه المناطق.

المحدد الثاني: قرقيسياءُ القديمةُ تُسمّى الآنَ بمدينة البصيرة التي تقعُ عند مصبّ نهر الخابور في نهر الفرات، وتبعدُ عن دير الزور حوالي (٤٢) كلم، أمّا كمنطقة فهي وفقاً لمواقعها التاريخية، تمتدُّ إلى الرقة وصحرائها غرباً وعموم شواطئ نهر الخابور شمالاً، والحدود العراقية وما يليها شرقاً.

المحدد الثالث: أنّ زمانَ بداية معركتها يكونُ قبل خروج السفياني، وفي أثنائها تسقطُ دولةُ بني العباس في دمشق بعدَ خرابها ومقتل زعيمها، وهي قبل نزول الترك إلى جزيرتها، وكذلك قبل اندلاع المعارك بين الرايات الثلاث (الأبقع والأصهب والسفياني) وتنتهي بخروج السفياني.

المحدد الرابع: شدّة المعركة وهولها بالنسبة لمن يُشاركُ فيها، وهذه المعركةُ يوجدُ فيها كرٌّ وفرٌّ فلا يُسجّلُ النصرُ لأحد من المشاركين فيها، و أنّ الخسائرَ فيها كثيرةٌ جداً، حتى أنّ جثثَ القتلى ستكون طعاماً لطيور السماء ومفترساتَ الأرض.

المحدد الخامس: لا علاقةَ لمعركتها بأبعادٍ عقائدية، بل هي من معارك الجبارين الذين ينزعونَ إلى السيطرة والمُلك والنفوذ.

وبناءً على ذلك، فإنّ القراءةَ المنهجيةَ لأحداث اليوم تستدعي منّا أن نقولَ: إن وجدنا تطابقاً بين مجموع هذه المحدّدات وبين ما يجري اليوم سنقول: بأنّ ما يجري هو قرقيسياء التي ذُكرت في الروايات، وإن لم نجد تطابقاً بيّن الذي يجري وبين هذه المحددات قلنا: بأنّ ما يجري لا علاقةَ له بما ذكره أهل البيت (عليهم السلام)

وعليه فإنّ ما نقرأه في الأحداث الحالية بمعيّة أحداث كثيرة، وإن حملت في طيّاتها الكثيرَ ممّا يبعثُ على الأمل، ولكنْ الحكمُ عليها من حيث التطابقَ وعدمه لا زال مُبكراً، ومن الخطأ بمكان، أن نتجهَ لإسقاط ما يجري على ما رُوي عن أهل البيت (عليهم السلام) ولا يسعني إلّا أن أؤكّد على أعزّتنا المتلهّفينَ في انتظارهم لإمامِ زمانهم (صلوات الله عليه) أن يجتنبوا التشخيص، فهو في أحسن الأحوال قول بالظنّ، والظنّ لا يُغني عن الحقّ شيئاً، ولا يفسدوا تلهّفهم بالتشبّث بما قد يرونه مُتشابها، فالاشتباهُ هنا ينعكسُ على حالة أشواقكم وقد يُحيلها إلى يأس وإحباط، وقانا الله وإياكم من ذلك.

السؤال: ما دامتْ معركةُ قرقيسيا الأولى ستقضي على الجبّارين، فلماذا السفيانيُّ يقاتلُ الجبّارينَ مرّةً أخرى؟ هل توجدُ سيطرةٌ مرّةً ثانيةً للجبّارين على قرقيسياء؟

الجواب: قرقيسيا ستُحتلُّ من قبل الأتراك بعد انسحاب المتصارعين الأوائل، وكذلك بنو قيس، والسفيانيُّ يُطلقُ عليه هو الآخرُ وصف الجبّارين.

علينا التَّفكير في البدائلِ الَّتي ترفعُ حالةَ الاستعدادِ لمواكبةِ المرحلةِ والأحداثِ الَّتي تحصلُ الآن، والتَّحدِّياتِ الَّتي يمرُّ بها هذا العالمُ، فالقضيَّةُ اليوم لا تنحصرُ بشيعةٍ هنا أو سنَّةٍ هناك.